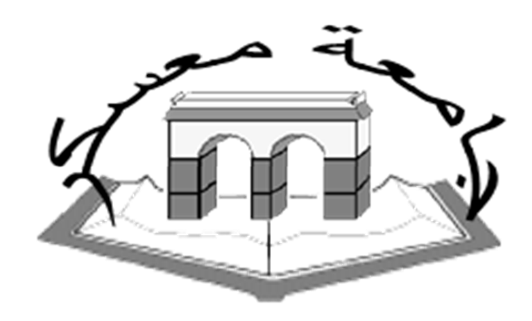
الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة مصطفى اسطمبولي-معسكر

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الانسانية



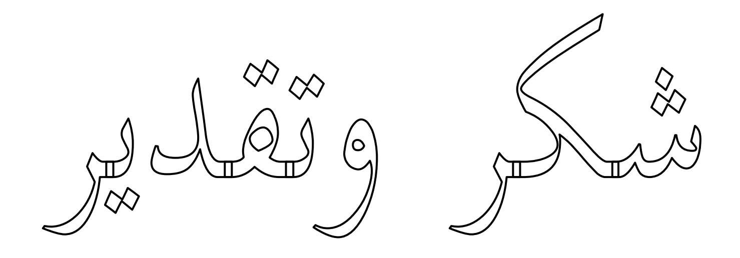
الأسرى الأوربيون في الجزائر خلال عهد الدايات (1671-1830)

أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر

إشراف: أ.د. بوغفالة ودان

إعداد الطالب: قرباش بلقاسم

السنة الجامعية 2015/ 2016



- الحمد والشكر لله الذي منحني القوة لإكمال هذه الأطروحة، وألهمني الصبر في كل لحظة يأس راودتني فيه نفسي بالاستسلام.

- إذا كان هناك شخص يشكر بعد الله، على مساعدتي ودعمي لإخراج هذه الاطروحة لترى النور، فهو أستاذي المشرف ودان بوغفالة، الذي كان الأب والأخ والأستاذ في كل خطوة من خطوات إنجاز هذه الأطروحة، سواء بنصائحه المستمرة أو بصبره على زلاتي المتكررة.

- إلى أخي وصديقي الأستاذ إسماعيل توتة، الذي قام بإعادة قراءة الأطروحة وتنقيحها؛ وكذا تصحيح قائمة الفهارس بعد التغييرات التي طرأت على الأطروحة.

- إلى كل أصدقائي في الدكتوراه غزالي، زقاوي، شوقي، نور الدين، والهاشمي وإلى كل زميلاتي.

- إلى كل من ساهم في إنجاز هذا البحث سواء من قريب أو بعيد...

الإهداء

إلى روح والدي الطاهرة رحمه الله وأسكنه فسيح جنانه...

إلى والدتي الكريمة حفظها الله وأطال عمرها...

إلى أخي مصطفى وزوجته وأولاده تقي الدين ومحمد

مقدمة

إن البحث في موضوع الأسرى خلال الفترة الأخيرة من الوجود العثماني بالجزائر، امتداد لقرون من الصراع بين الاسلام والمسيحية؛ وانتقال للصراع من منطقة المشرق كمنطقة صراع ثقافي وعسكري بين الحضارتين إلى شمال إفريقيا، باعتبارها منطقة جد متقدمة لهذا الصراع (دار الحرب). إن الصراع السابق خلف وقوع أسرى حرب مسيحيين ومسلمين في يد الطرفين، مما خلق صراعا جديدا خارج إطار الصراع العسكري، عرف بالحروب الدعائية التي كانت تنتهجها الكنيسة والسلطات الرسمية وبخاصة المسرح الانجليزي ضد الاسلام؛ إما لجمع التبرعات من أجل تحرير الأسرى أو خدمة للأغراض الدينية والتقليل من عمليات إعتناق للإسلام التي كانت تشهدها أوربا.

تناول موضوع بحثنا قضية "الأسرى الأوربيين في الجزائر خلال عهد الدايات 1671-1830"، وهي الفترة الأخيرة من الحكم العثماني، التي شهدت تشبع الدولة الكلي وانحدارها نحو الانهيار الفعلي، وهذا بعد تفشي الفساد في السلطة وأغلب أجهزة الدولة الذي أنتج ثورات أنتجت بدورها ضعفا في الجهاز العسكري، الذي لم يعد قادرا على تجديد نفسه، وكل هذا كان له أثر بارز في سقوط مدينة الجزائر سنة 1830 بعد مقاومة رمزية. أما فيما يخص الأسرى الأوربيين في هذه الفترة، فلا نعرف عنهم سوى ما تركته لنا المصادر الغربية، والغريب في الأمر أن المصادر الجزائرية لم تخض في قضية الأسرى، وأن دورها انصبّ في معالجة القضايا الدينية في الغالب.

وعمدت إلى توجيه هذه الدراسة من خلال الاعتماد في جزء كبير من الأطروحة على المادة الاخبارية الإنجليزية. وتعتبر كتابات الأسرى الانجليز الثانية من ناحية الكمية والقدم بعد إسبانيا، فأقدم رواية إنجليزية كتبت حول الأسر في العالم الاسلامي كانت بين سنتي 1577-1579؛ أما أول رواية فرنسية فتعود للأسير هنري ليسدام وكانت سنة 1608. واستجابة لمتطلبات منهجية تتعلق بطبيعة الموضوع وإشكاليته ومصادر البحث فيه، يتحدد هذا البحث

زمنيا انطلاقا سنة 1671 وهي نفسها سنة انفراد الرياس بالحكم، وإعادة هيمنتهم على مقاليده، وتغيير لقب الآغا إلى الداي، بعد سلسلة النكسات التي شهدها هذا العصر، وتنتهي هذه الفترة بالحصار الفرنسي على مدينة الجزائر واحتلالها نهائيا سنة 1830.

إن دراستي في مرحلة الماستر لـ"ظاهرة القرصنة الجزائرية خلال فترة البايلربايات"، كانت سببا مباشرا في اختيار الموضوع، فقضية الأسرى تمثل جزءا من ظاهرة القرصنة التي طغت على العصر الحديث إجمالا. إن ميولاتي التي تراكمت نتيجة القراءة في الموضوع، كنوع من الهواية، تحوّلت بعدها إلى موضوع بحث، جسدته في وضعية الأسرى الأوربيين في الجزائر خلال الفترة الأخيرة من الحكم العثماني في الجزائر.

واعتمدت على المنهج المقارن-الاحصائي لإنجاز هذه الأطروحة؛ فالأول منحني تحديد أفكار وثقافة العصر، بما يجنبني الاسقاط التاريخي. أما المنهج الاحصائي فساعدني على إخراج البحث من جانبه النظري إلى التطبيقي، من خلال الجداول والأرقام الخاصة بالأسرى.

وجاءت الاشكالية الرئيسية كالآتي: إلى أي مدى عكست المصادر الغربية الواقع التاريخي للأسرى الأوربيين في الجزائر خلال عهد الدايات؟

إذا أردنا الوصول إلى نتائج مرضية حول الموضوع؛ فيجب أن نطرح تساؤلات فرعية تنبثق عن الاشكالية الرئيسية:

- ما الطبيعة الدعائية خلف استخدام المصادر الأوربية مصطلح "عبد" بدل "أسير حرب" عند إشارتها للأسرى الأوربيين في الجزائر؟

- ما هي الوضعية الطبيعية للأسرى الاوربيين في الجزائر، مقارنة بوضعية الأسرى المسلمين في العالم المسيحي؟ وهل تعرضهم للتعذيب المستمر، صحيح أم مجرد تضخيم كنسي؟ وكيف كانت وضعية المرأة المسيحية في الجزائر؟

- ما هي طرق الفدية التي اعتمدتها الدول الأوربية لتحرير أسراها من الجزائر؟ وما هو عددهم؟ وما هي الأثمان المطلوبة لتحريهم؟

- ما هي أسباب التحول للإسلام الذي كانت تشهده أوربا؟ وهل كان الاسلام ذا قوة جاذبة لدرجة تدفع الأوربي إلى التخلي عن مسيحيته للدخول في الاسلام؟ وما مدى صدق الكتابات الأوربية التي رأت أن الدافع وراء التحول للإسلام جنسيّ ومادي لا أكثر؟

- كيف تطورت المرافق الخاصة بالأسرى (السجون، المستشفيات، الكنائس) خلال عهد الدايات؟ وما مدى سوئها مقارنة بنظيرتها في أوربا؟

ولنجيب عن هاته التساؤلات قمنا بتقسيم الأطروحة على الشكل التالي:

ففي **القسم الأول** بحثت طرق الأسر والفداء، حيث تناولت في **الفصل الأول**: الحوض الغربي للمتوسط خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر، وتعرضنا فيه الصراع العثماني الإسباني، من خلال مصادر ومراجع متخصصة في الموضوع، بداية بالاستيلاء الاسباني على غرناطة، ثم بداية التوسع بشمال إفريقيا والعالم الجديد؛ كما تعرضنا في المقابل للتوسع العثماني في أوربا الشرقية وغرب المتوسط خاصة بعد دخول مصر والقضاء على جزيرة رودس والتأسيس لحاميات ثابتة في شمال إفريقيا (الجزائر، تونس وطرابلس)، ووصولا إلى معركة ليبانتو. كما أشرنا فيه للتنافس البريطاني الفرنسي في البحر المتوسط، بداية بالتعرض للعلاقات العثمانية البريطانية وتطورها على إثر توقيع معاهدة الامتيازات، ثم معركة الأرمادا 1588 ودخول الانجليز للبحر المتوسط، كما تطرقنا أيضا للحروب الدينية الفرنسية (1619-

1629) وصولا إلى التطور الذي شهده العالم الغربي أواخر القرن السابع عشر؛ باختراع مدافع الهاون الضخمة التي يمكنها أن تقصف لمدى بعيد، والسفن العالية أو سفن الجيل الرابع التي كانت تزن أطنانا و تحمل أكثر من مائة مدفع في السفينة الواحدة. وتناولت في الأخير الأسر في المتوسط في الفترة بين 1500-1671، من خلال وضع وتحديد المصطلحات المتعلقة بالأسر، وتوضيح جذوره الغائرة في القدم، كعمل شرعي مارسته كل الأمم في البحر المتوسط، بحيث تطور مع تطور التجارة في المتوسط.

وتطرقت في **الفصل الثاني** للبحرية الجزائرية والحوض الغربي للمتوسط 1671-1830، بداية بعودة الرياس إلى الحكم 1671، وتثبيت نظام الدايات، إثر الهزيمة التي منيت بها الجزائر في ميناء بجاية سنة 1670. إضافة إلى الأحداث البارزة التي ميزت الفترة من 1671-1790 ودور الأسطول البحري الجزائري في البحر المتوسط. وكذا الانتعاش المؤقت للبحرية الجزائرية 1790-1815؛ خاصة مع بروز قادة أشداء أمثال: الريس حميدو، والرايس سليمان؛ ودخول الولايات المتحدة الأمريكية إلى البحر المتوسط، كتجارة نامية، أصبحت سفنها غنائم شرعية بإعتبار أن أمريكا لم تعقد أي سلم من الجزائر، وبهذا أصبحت سفنها غنيمة شرعية لبحارة الجزائر. وختمنا الفصل بالإشارة لنهاية الإيالة 1815-1830: إن وفاة الريس حميدو تركت لنا العديد من التساؤلات؟ هل فعلا أصبحت الجزائر غير قادرة على تجديد نفسها ،كما يدعي مؤرخو هذه الفترة؟ أم أن هناك عوامل أكبر من هذه جعلت من الجزائر غير قادرة على استعادة هيبتها في البحر المتوسط.

وجاء **الفصل الثالث** بعنوان: المصادر الاساسية للكتابة حول الأسرى الأوربيين بالجزائر، وشمل أعمال الأسرى والرحالة الأوربيين بالجزائر؛ بالإضافة لمذكرات القناصل الأوربيين في الجزائر، ولأنني استخدمت مادة خبرية إنجليزية كما سبق وأشرت؛ فإنني اعتمدت بشكل شبه كلي على مذكرات الأسرى والقناصل الانجليز. يضاف إلى ما سبق الرسائل: ضمت رسائل الأسرى والأطر الرسمية، وما يتعلق بالمجموعات حيث أن المؤسسات الرسمية، عملت على جمع رسائل المسؤولين وتقاريرهم في مجلدات سميت بالمجموعات، حيث جنّبت

الباحثين عناء البحث المرهق، وهذا بالذهاب مباشرة لهاته المجموعات، واستخراج رسائل الشخص الذي يبحثون عنه.

وتطرقت في **القسم الثاني** للحياة اليومية للأسرى المسيحيين، وجاء **الفصل الرابع** بعنوان إحصاء الأسرى الأوربيين في الجزائر، قمت فيه بإحصاء للأسرى المتواجدين بالجزائر على ضوء المعطيات المتوفرة لدينا. خاصة وأن عمليات الإحصاء التي قام بها الأوربيون تترك لنا العديد من الشكوك حولها، هذا كونها تستند على مادة تاريخية أوربية محضة؛ إضافة إلى أن الوثيقتين العربيتين الوحيدتين (سجل الغنائم، التشريفات)، تتناقض تماما مع الإحصاءات التي قدمها لنا أوربيون. كما أشرت لوضعية النساء المسيحيات، والعمليات التنظيمية لافتداء الأسرى، وكذا الثمن والعمر، والفترة التي كان يقضيها الأسير بمدينة الجزائر، وهذا بمنحنيات وجداول ودوائر بيانية للتوضيح أكثر.

أما **الفصل الخامس** فقد تناولت فيه وضعية الأسرى الأوربيون بالجزائر من خلال نظرتين أوربيتين مختلفتين، الأولى جاءت معتدلة، تتبع لمفكري وكتاب عصر الأنوار؛ في حين أن الثانية كانت متعصبة، وهذا من خلال الاعتماد على روايات الأسرى؛ كما تطرقت للأعلاج وحاولت معالجة قضية المتحولين اجتماعيا، والنظرة الاجتماعية لهم من قبل المسلمين، وحتى بعد عودتهم لأوربا، وإعادة تعميد الكنيسة لهم، لضمان عودتهم إلى المسيحية بالشكل الصحيح حسب القس جوج.

وتطرقت في **الفصل السادس** لمرافق الأسرى الأوربيين، بداية بسجون الأسرى سواء تلك الخاصة بالدولة (البايلك) أو الملاك الخواص، وتعرضت للباس وطعام الأسرى داخل السجون؛ وكذا العقوبات التي كانت مفروضة على الأسرى؛ كما أشرت للمستشفيات والحياة الصحية للأسرى المسيحيين بالجزائر، ووضعيتهم داخل المستشفى الاسباني الشهير، كما تعرضنا أيضا لوضعيتهم الصحية عند الخواص من الملاك الجزائريين. وختمت الفصل بالحياة

الدينية للأسرى المسيحيين؛ حيث تعرضنا فيه للممارسة الدينية للأسرى المسيحيين بالجزائر، وكذا إحصاء وذكر عدد الكنائس التي أسستها المنظمات الدينية الأوربية لصالح الأسرى.

ولم تكن الأطروحة لتنجز؛ لولا الدراسات السابقة التي تعرضت للموضوع، وجعلت من السهل عليّ تتبع حالة الأسرى الأوربيين بالجزائر. وكما أشرت سابقا؛ فقد كان من الصعب العثور على مصادر عربية أشارت لفئة الأسرى، فعلى سبيل التمثيل لا الحصر نذكر: الزهار الحاج أحمد الشريف ، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهّار، والذي أشار في الكثير من الصفحات لعائدات الأسرى، ونشاط البحارة الجزائريين؛ خاصة الريس حميدو. ومن الأعمال البارزة التي تناولت الهجومات الأوربية على الجزائر، نذكر: ابن رقية التلمساني، الزهرة النائرة فيما جرى بالجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة، عبارة عن مخطوط موجود بالمكتبة الوطنية. ونذكر أيضا: رحلة الشيخ سيدي عبد الرحمن التنلاني (ت1233هـ)، الذي عاصر الحملة الإنجليزية ضد الجزائر سنة 1816، بقيادة اللورد إكسموث، ويعتبر عمله الوحيد الذي أشار للحملة بإسهاب، لم توجد في مصادر أخرى ما عدا كتاب: مسلم بن عبد القادر أنيس الغريب والمسافر.

واستخدمت أيضا بعض الأطروحات الجامعية السابقة، مثل: أطروحة خليفة حماش، الأسرة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث، جامعة منتوري، وأشار في الكثير من مضامينها إلى وضعية الأسير داخل الأسرة الجزائرية، وأيضا حفيظة خشمون، مهام مفتديي الأسرى و التزاماتهم الاجتماعية في مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الاجتماعي لدول المغرب العربي، وتعتبر المذكرة مهمة كونها قدمت لنا معلومات قيمة عن طرق الفدية، والمنظمات المكلفة بعملية تحرير الأسرى. كما اعتمدنا أيضا على عمل دباب بومدين، الأسرى والسجون في مدينة الجزائر العثمانية 1519-1830، مذكرة مقدمة لنيل

شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، وقدم لنا صاحب العمل معلومات مستمرة حول عدد الأسرى واحصائهم، وتقارير حول السجون الموجودة في مدينة الجزائر ووضعيتها.

واعتمدت في انجاز الأطروحة على المصادر الأوربية، التي تنوعت بين مذكرات الأسرى والرحالة، وكذا مذكرات القناصل والتقارير الرسمية فيما يعرف بالمجموعات، ورسائل الأسرى والأطر الرسمية. وسنحاول ذكرها على حسب الأهمية مع التعليق عليها، ليسهل على الباحثين أخذ فكرة عن محتوياتها:

– **توماس سميث** "مغامرات توماس سميث، تاجر إنجليزي أخذ أسيرا من طرف الجزائريين، وجلب إلى البلاد الداخلية لأفريقيا" [1]، تحكي المذكرات مغامرات أحد الأسرى الانجليز، ونشرت بعد أن ألح عليه أصدقائه. لا يزال تحديد اسمه محل اختلاف كبير بين المؤرخين؛ لكن أغلبهم يرجعها إلى توماس سميث. وتضم الرواية وصفا دقيقا لمملكة الجزائر ومناطقها؛ وطريقة أسر الكاتب من قبل بحارة الجزائر في جويلية 1648. وتعتبر وضعية هذا الأسير بمدينة الجزائر نادرة، فالأخير تنقل بين عدة ملاك للأسرى، حيث كان في الأول ملكا لداي الجزائر، ثم ملكا لأحد الفلاحين، وفي الأخير ملكا لأحد القادة الانكشاريين، ومع هذا الانكشاري تنقل لجباية الضرائب من المناطق الداخلية للجزائر.

– **بينيزيت أنطوان**، "بعض الروايات التاريخية حول جيانا..."[2]، ويقدم لنا الكاتب اعترافات أحد الأسرى الإنجليز، الذي وصف كتابات الأسرى الأوربيين بغير الموضوعية،

---

[1] The adventures of T. S., an English merchant taken prisoner by the Turkes at Argiers and carried into the inland countries of Africa; written by the author, and fitted for the public view by A. Roberts, London, 1670.

[2] Bénézet Antoine (1713-1784), Some historical accounts of Guinea, its situation, produce, and the general disposition of its inhabitants: with an inquiry into the rise and progress of the slave trade, its nature, and lamentable effects / by Anthony Benezet.1772.

ومدى اندهاشه للّامصداقية التي يتّبعها هؤلاء الأسرى ضد الأتراك والجزائريين، مع العلم أن هذا الأسير كان متواجدا بالجزائر، وقضى بها عدة سنوات.

– **أبدايك أندرهيل**، "الأسير الجزائري، أو حياة ومغامرات الدكتور أندرهيل أبدايك، ست سنوات أسير بين الجزائريين"[3] ، تمثل رواية الأسير أندرهيل إحدى أهم الروايات الوصفية؛ فهي تعتبر شهادة حية لشخص عاش بين الجزائريين مدة خمس سنوات كاملة. وقدم لنا وصفا مهما لأسواق الأسرى، وهو الوصف الذي لم تقدمه لنا مصادر أخرى تتعلق بتاريخ الجزائر خلال الفترة العثمانية؛ فموضوع الأسواق وخاصة تلك المتعلقة بالأسرى، تعتبر المعلومات المتوفرة عنها نادرة جدا. واشتغل أندرهيل كطبيب جراح في مدينة الجزائر، ويقول: "لو لم أكن عبدا لجمعت ثروة كبيرة من الطب؛ لكن المال كان يُعطى لسيدي".

– **ماريا مارتين**، "قصة أسر ومعاناة السيدة ماريا مارتين"، [4] تعتبر إحدى أهم الروايات النسائية التي ألفت عن المنطقة، فقد قضت الكاتبة خمس سنوات في تنس–ولاية الشلف حاليا– بعد أن تحطمت سفينتهم على سواحل المدينة سنة 1800، فاقتيدت إليها كأسيرة، وبيعت لرجل روسي دخل الإسلام. وما يميز رواية مارتين أنها تطرقت للحياة اليومية للأسرى بمدينة تنس.

إن ما ذكرته سابقا يعتبر جزءا من أعمال ضخمة ألفت حول المنطقة، حملت في طياتها إشارات متواصلة للأسرى في الجزائر: طريقة معاملتهم، وصف المرافق والمنشآت التي كانت تضم الأسرى (السجون، المستشفيات، الكنائس)...إلخ.

[3] Updike Underhill, The Algerine Captive, or the life and adventures of Doctor Updike Underbill, six years a prisoner among the Algerines, New Hampshire, 1797.

[4] Maria Martin, History of the captivity and sufferings of Msr. Maria Martin, Boston, printed for W. Crary, 1807.

لا يوجد بحث لا يمكن أن تعتري صاحبه عوائق، سواء في التعامل مع الوثائق أو حتى في الحياة اليومية للباحث نفسه. إن أكبر عائق واجهني خلال بحثي هذا، قلة المصادر العربية التي تناولت الأسر والأسرى الأوربيين بالجزائر، وهذا استلزم علي الاعتماد المفرط على المادة الخبرية الاوربية، ما خلق نوعا من اللاّتوازن في عملية المقارنة التاريخية، بين وضعية الأسرى المسيحيين في الجزائر ووضعية المسلمين في أوربا؛ فالعديد من الأسرى الاوربيين كتبوا مذكراتهم بعد عودتهم إلى الديار؛ إما بدعم من السلطة أو الكنيسة، وعكس ذلك فإن الأسرى الجزائريين لم يسجلوا يومياتهم كأسرى بالعالم الأوربي، إما بسبب الضرورة الدينية أو نظرا لكونهم رأوا عدم أهمية الكتابة في الموضوع، كونها لم تكن تدر أموالا على الأسير؛ كما كان يحدث مع الأسير الأوربي بعد نشره لرواياته.



الفصل الأول: الحوض الغربي للمتوسط خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر

الفصل الثاني: البحرية الجزائرية والحوض الغربي للمتوسط 1671–1830

الفصل الثالث: المصادر الاساسية للكتابة حول الأسرى الأوربيين بالجزائر

الفصل الأول

الحوض الغربي للمتوسط خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر

1- التنافس الاسباني العثماني في الحوض الغربي للمتوسط

أ- سقوط غرناطة وبداية التوسع الإسباني:

ب- التغلغل العثماني في الحوض الغربي للمتوسط

ج- التقارب العثماني- الفرنسي

د- الاستغلال العثماني للمشاكل الدينية الأوربية

ه- فتح قبرص وإخضاعها للسلطة العثمانية

و- معركة ليبانتو 1571

ز- تصاعد الثورات في أوربا

2- البروز الفرنسي- الانجليزي في البحر المتوسط

أ- معركة الأرمادا والدخول الإنجليزي إلى البحر المتوسط 1588

ب- الحروب الدينية الفرنسية 1620-1629

ج- إنجلترا وفرنسا في البحر المتوسط

3- الأسر في الحوض الغربي للمتوسط 1500-1671

أ- أسير أم عبد

ب- النظرة الدينية للأسير

ج- الأسر في المتوسط 1500- 1580

د- القرن الذهبي للأسر 1580-1671

إثـر سـقوط غرناطـة سـنة 1492، بـدأ الملكـين الإسـبانيين الكـاثوليكيين توسـعهما في كـل مـن إيطاليـا؛ والعـالم الجديـد، وتمكنـا مـن تسـيير مجـالس المـدن ومنظمـات الأقـاليم؛ وهـذا عـن طريـق تعيـين أشـخاص مـوالين لهـم. وفي السـنة نفسـها تم طـرد اليهـود مـن إسـبانيا وإرسـال كريستوف كولمبوس في رحلة إلى الشرق.[1]

إن الأسر في المتوسط حتمية كان يمكن أن يتعرض لها أي مواطن أوربي أو مسلم، يقطن على السواحل الجنوبية لأروبا والشمالية لإفريقيا؛ فمناطق كإيطاليا واسبانيا وجنوب البرتغال وبعض الجزر الانجليزية، والمناطق الساحلية للمغرب الاسلامي، كانت أكثر المناطق تعرضا لغارات "القراصنة" التابعين لإحدى الامبراطوريتين العثمانية أو الاسبانية خلال الفترة الحديثة.

1- التنافس الاسباني العثماني في الحوض الغربي للمتوسط

حسـب المـؤرخ نيكـولاس أنـدرو:" فـإن مـا يسـتدعي الاهتمـام هـو أن القـوّة العسـكرية كـان يمكـن أن تـدعم نفسـها بـالقوة؛ فـالحكم الفـردي كانـت تكفيـه القـوة العسـكرية لحفـظ بقائـه، لكن القوة البحرية كان يجب عليها أن تكسب دعمها من الجماهير لتضمن بقائها".[2]

أ- سقوط غرناطة وبداية التوسع الإسباني:

توفيت الملكة إيزابيلا سنة 1504 ، بعد أن تمكنت من تسوية قضية الوحدة الإسبانية، وقبل هذا توفي ابنها خوان ***(Juan)*** الوريث الشرعي للملك سنة 1497، وكذا حفيدها ميشال ***(Miguell)*** سنة 1500، الذي كان يمكنه توحيد إسبانيا والبرتغال، وبهذا ورثت الملكة خوانا العرش (1497-1535)، وتزوجت فليب الأول الهابسبورغي الذي اتخذ من مقاطعة الكاستيل مقرا له حتىّ وفاته سنة 1506... فاستقرت الملكة خوانا على منح الفرصة للملك فيرديناند لتسيير المملكة كوصي على

---

[1] Antonio Barrera- Osorio, Experiencing Nature: The Spanish American empire and the early scientific revolution, Austin: University of Texas Press, 2006, p.04.

[2] Nicolas Andrew Martin Rodger, The safeguard of the sea: A naval History of Britannia, Vol. 02, London: HarperCollins, 1997, p.433-434.

العرش، وعندما توفي هذا الأخير انتقل العرش لحفيده شارل الخامس (1500- 1558)، ابن الملكة خوانا وفليب الأول، حيث اتخذ الكاستيل مقرا له[3]، وبهذا دخلت إسبانيا مرحلة الحكم الهابسبورغي.

وبعد أن تمكن الإسبان من اكتشاف أمريكا، وضعوا مخططا اقتصاديا في الكاريبي خلال العشر سنوات الأولى من القرن السادس عشر، واحتلوا المكسيك سنة 1519، وإمبراطورية الإنكا بالبيرو سنة 1530؛ ليبدأ تدفق المعادن الثمينة على المركز الاسباني، وفي منتصف القرن السادس عشر تم اكتشاف مناجم الفضة، حيث استمر استخراجها إلى بدايات القرن السابع عشر؛ عندما بدأت شحنات السفن تقل ليدخل الاقتصاد الاسباني مرحلة الأزمات.[4]

وبهذا فشارل الخامس لم يكن فقط المدافع عن العالم المسيحي، وكذا المقاوم للقوة العثمانية... وإنما أصبح المسؤول الأول عن طرد الأتراك والمورسكيّين من الممتلكات الإسبانية، واستعادة القسطنطينية والقدس من يد العثمانيين، وتوحيد العالم على الديانة المسيحية؛ "دعنا نجعلها حظيرة واحدة، براع واحد".[5]

في الوقت الذي كانت تعمل فيه اسبانيا جاهدة للسيطرة على أعالي البحار، ومناطق العالم الجديد وإفريقيا الشمالية، ظهرت الثورات والمجادلات المتعلقة بالحياة الدينية داخل الأراضي الإسبانية وكل هذه المشاكل المهملة من قبل السلطة المركزية؛ ستصبح مستقبلا إحدى عوامل انهيار القوة الاسبانية وسيطرتها في الخارج. "فبعد أن استقر شارل الخامس على العرش، كان عليه أن يواجه مجموعة من الثورات التي استقرت في بعض المدن، ولهذا سميت بثورة البلديات 1517-1522".[6] ويعود سبب هذه الثورة إلى قيام شارل الخامس بإلغاء التعديلات الإدارية، التي اقترحها البرلمان الكاستيلي

[3] Nicolas Andrew Martin Rodger. op.cit, p.433-434.

[4] Jonathan Dewald, Europe 1450 TO 1789, Encyclopedia of the early Modern World, Vol. 01, New York: Thomason Gale, 2004, p.32.

[5] Norman Housley, Religious warfare in Euroupe, 1400-1536, New York: Oxford University Press 2002, p.78.

[6] Juan De Ovando, Governing The Spanish Empire in The Reign of Philip, Norman: University of Oklahoma Press, 2004, p.05.

سنة 1517، والتي تمس تعديلات تخص الملك؛ كما أنه رفض إعفاء طبقة الهيدالغو ***(Hidalgo)***[7] من الضريبة، التي خصصت لدعم المجالس البلدية، إضافة إلى أنه فرض ضريبة الكوارتا ***(Quarta)***، على كنائس الكاتدرائية الإسبانية، وبهذه القوانين المشؤومة أعلنت المدن والقرى الاسبانية الثورة سنة 1520.[8]

وقد دُعمت هذه الثورة، بظهور ثورات معارضة للحكم الهابسبورغي على طول الأراضي الإسبانية؛ فأُعلنت الثورة في كل من صقلية سنة 1516، فيينا سنة 1519، فالنسيا ومايوركا 1520-1523 البيرو 1537-1542، ألبيجراس ***(Alpujarras)*** 1568–1571.[9] وفي سنة 1562 أصدرت كاثرين ميدتشي، مرسوما يعطي الحرية الدينية للبروتستانت الفرنسيين، وذلك تأثرا بالعثمانيين، لتدخل بهذا فرنسا فيما عرف بالحروب الدينية 1562-1598، وفي المقابل أعلنت الأراضي المنخفضة الثورة ضد الحكم الاسباني 1548-1566؛ وفي الفترة الممتدة بين سنتي 1566-1574 أعلن السلطان سليم الثاني ترنسلفانيا مقاطعة عثمانية.[10]

أما في ألمانيا فالكنيسة الكاثوليكية كانت قد بلغت أوج فسادها (الديني والسياسي)، حيث كان يحق للبابا إصدار وإلغاء القوانين، وفرض الضرائب ومباركة الحكام، ليصبح بمثابة القوة الفاعلة الدينية والدنيوية والمرجع الأعلى للمحاكم الكاثوليكية، الذي أرهق الأهالي والحكام الألمان بقراراته التي لم تكن تخدم البلاد.

ومهد هذا الوضع لظهور ثورة الفرسان ***(Move des Chevaliers)*** سنة 1522، المتذمرة من طبقة البرجوازيين؛ منتهزين غياب شارل الخامس، فكانت الأراضي التي تملكها الكنيسة مباحة يمكن الاستيلاء عليها بسهولة، وقد هاجم الثوار الكنائس ودمروا ما كانت تحويه من تماثيل ونفائس

[7] يطلق هذا اللقب على طبقة النبلاء الدّنيا في اسبانيا.

[8] Aurelio Espinosa, The Empire of the Cities, Emperor Charles V, the Comunero Revolt, and the Transformation of the Spanish System, Vol 137, Leiden: Brill, 2009, p.65.

[9] Aurelio Espinosa, op.cit, p.65.

[10] Jonathan Dewald, op.cit., p.84.

هذا في الوقت الذي جمع فيه كبير الأساقفة فرقا عسكرية وقادها بنفسه، وقام بخمس هجمات مضادة رفع على إثرها الحصار الذي كان مفروضا على المدينة، الأمر الذي جعل قائد الثوار سيكنجر يتراجع إلى قلعته لانشول، حيث انهزم وقتل، ومنذ ذلك الحين استبعدت جماعة الفرسان كقوة وعامل أساسي ذات أهمية في ألمانيا.[11] لتندلع بعدها ثورة الفلاحين (1524-1526).

وتزامنت هذه الثورات مع ظهور الحركة اللوثرية التي أسست للمذهب البروتستانتي، حيث أدى هذا لانقسام ألمانيا شطرين: البروتستانت في الشمال يدعمهم الأمراء، الذين رأوا أن من مصلحتهم الانفصال عن الكنيسة الكاثوليكية؛ أما الكاثوليك فقد استقروا جنوبا، يدعمهم البابا في روما وشارل الخامس بإسبانيا.

وفي سنة 1526 انعقد الدايت في سبير (*Speyer*)، حيث حضره الكاثوليك والبروتيستانت، فأصدر قراره بمنح كل أمير الحق في اختيار المذهب الذي يريد اتباعه في بلاده؛ في وقت كان فيه الامبراطور شارل الخامس في وضع حرج، بسبب تقدم القوات العثمانية بقيادة سليمان القانوني ووصوله إلى المجر؛ اضافة إلى تجدد القتال بين الامبراطور وفرانسوا الأول؛ مما جعله يذعن لمطالب اللوثريين.

ب- التغلغل العثماني في الحوض الغربي للمتوسط:

إن المشاكل الإسبانية الداخلية، أضيفت إليها مشاكل خارجية أرهقت الإمبراطورية الاسبانية فشارل الخامس كان عليه أن يحارب جبهتين مجتمعتين؛ تتمثل في فرنسا وأقوى إمبراطورية في العالم آنذاك هي الإمبراطورية العثمانية، والتي استمرت في توسعها بأوربا الشرقية، وقضائها على آخر عقبة في وجه توسعها غربا، بفتحها لجزيرة رودس؛ وفي هذا الشأن يذكر ستانلي لان بول ***(Stanley Lane-Pole)***: "وفي هذه الفترة سقطت جزيرة رودس (1523) آخر عقبة لاستكمال سيطرة الأسطول العثماني على الحوض الشرقي من البحر المتوسط، فمن الآن وصاعدا لا توجد سفينة

[11] إياد علي الهاشمي، تاريخ أوربا الحديث، دار الفكر، المملكة الأردنية الهاشمية، 2010، ص69.

مسيحية آمنة بهذه المياه، فالبحريات القديمة في هذا الوقت كانت أقل قيمة؛ حيث لا توجد قوة تتحدى التفوق العثماني في بحر إيجة، البحر الأيوني وبحر الأدرياتيك".[12]

واعتمد الصراع بين الامبراطوريتين في حربهما التوسعية خلال القرن السادس عشر على عاملين أساسيين:

1- استراتيجية المناطق: عمل كل طرف خلال القرن السادس عشر على وضع قواعد متقدمة في نطاق الآخر، فعمد العثمانيون إلى وضع الجزائر وطرابلس وتونس؛ كمواقع قريبة من نطاق الإمبراطورية الاسبانية تمنع توسعها شرقا، في الوقت الذي عملت اسبانيا على دعم فرسان القديس يوحنا في جزيرة رودس ثم فيما بعد مالطة؛ كقاعدة أمامية في صراعها البحري مع العثمانيين. ولهذا فإن الانتصار في المعركة لم يكن يعني شيئا إذا لم تسقط المدينة أو المنطقة.

2- الجانب الديني: اعتمدت كلا الامبراطوريتين بشكل شبه كلي في دعايتها على الجانب الديني، وهذا للحشد والترويج باعتبار أن الدولة العثمانية كانت تمثل العالم الإسلامي؛ في الوقت الذي كان فيه الاسبان يعتبرون أنفسهم حماة للمسيحية الكاثوليكية، والورثة الشرعيين للإمبراطورية الرومانية.

وقد استعملت كلا الإمبراطوريتين قراصنتها *(Corsaire)*، لإضعاف تجارة واقتصاد الطرف الآخر، حيث يذكر بعض المؤرخين أن البحر المتوسط؛ وفيما بعد المناطق الشمالية لأوربا الواقعة على سواحل المحيط الأطلسي وسفنها " أصبحت عرضة لغارات بحارة المغرب الإسلامي؛ فدول كإنجلترا واسبانيا ومناطق إيطاليا دفعت الملايين لحماية تجارتها البحرية، وقدمت لنا بعض الإحصاءات أن أكثر من مليون ونصف أخذوا من أوطانهم إلى سواحل المغرب الإسلامي". وخلال القرن الخامس عشر،

[12] Lane-Poole Stanley, The Story of the Barbary corsairs, New York: G.P Putnam's Sons 1890, p. 74.

كانت قوائم الافتداء متواجدة بالمئات في أوربا الشرقية، القليل منها بقيت لتكون دليلا كمصادر تاريخية.[13]

وفي المقابل دعمت إسبانيا قراصنتها، ولعل أشهرهم أندري دوريا، ثم نجله دون خوان، اللّذين كانا أكثر القراصنة الإسبان تأثيرا على التجارة الإسلامية؛ ويضاف إلى هذا الدعم الذي كان يقدمه الإسبان لأتباعهم فرسان القديس يوحنا بمالطا، والتي كانت تكتظ بالأسرى المسلمين.

إن السيطرة على البحر من قبل المسلمين، لم تكن تعني تخريب التجارة الأوربية فقط أو تحطيم السواحل الواقعة في الجنوب؛ وإنما أصبحت تعبّر عن التهديد المباشر الذي صار يمثله المسلمون للديانة المسيحية. فمع وصول العثمانيين أسوار فيينا سنة 1529 انتشرت فكرة قرب نهاية العالم في الأوساط الشعبية الأوربية؛ حيث انتج هذا الوضع أشكالا مختلفة من الثقافة في الأوساط الدينية والأدبية والفنية والسياسية، وقد عبر عن هذه الحالة الأديب الفلورنسي بورجيو براشيلوني *(Porggio Bracciloni)* في إحدى الرسائل إلى أحد أصدقائه مباشرة، بعد انتشار خبر انتهاء حكم الإمبراطورية البيزنطية: "أخشى ما أخشاه عودة زمن غزوات الوندال والقوط".[14]

وقبل هذا كان سليم الأول قد قام، بإرسال رسالة إلى البابا يعلمه فيها، بأن القوات العثمانية أصبحت حرة فيما يتعلق بآسيا، وأن الجزء الغربي من البحر المتوسط، سيصبح عما قريب عثمانيا وفي المقابل أمر البابا أحد أتباعه بتوحيد القوات الكاثوليكية؛ لكن البنادقة (حلفاء العثمانيين) أخبروا سليم الأول بأن البابا يحاول تشكيل رابطة للقيام بحملة صليبية ضد بلده. وفي غمرة تحضيرات البابا

[13] Sariya Faroqui, Halil Mluk, The Ottoman Empire and its Hiritage, p.olitics, Society and Economy, Ransom Slavery along The Ottoman Borders (Early Fifteenth- Early Eighteenth Centuries), Vol. 37, Boston: Brill, 2007, p.27.

[14] أحمد رنيمة، المشروع العثماني والمجابهة الفكرية الأوربية خلال القرن السادس عشر الميلادي، ملتقى التنافس الاسباني في غرب البحر المتوسط مطلع القرن 16 الميلادي، 9-10 نوفمبر 2010، كلية الآداب واللغات، جامعة الشلف، ص03.

ليو العاشر *(Leo)*، وصلت أخبار وفاة السلطان سليم الأول، لتعلن الصلوات والشكر في كل الكنائس الرومانية، وألغيت الحملة الصليبية لأن الجميع كان يعتقد أن سليمان القانوني رجل سلام.[15]

ج- التقارب العثماني- الفرنسي:

في سنة 1525 اندلعت الحرب بين شارل الخامس وفرانسوا الملك الفرنسي *(Francis)* للسيطرة على شمال إيطاليا، وأخذ فرانسوا أسيرا إلى اسبانيا، وفي هذا الوقت خلفه ابنه، الذي كان يقاد من قبل أمه لويس دونغلام *(Louis D'Angoulème)*، التي فتحت تحالفا ضد شارل الخامس، حيث أرسلت وفدا إلى استنبول تطلب المساعدة من سليمان القانوني، وقد توفي الرسول الأول بالبوسنة، لكن الثاني جين فرنجيباني *(Jean Frangipani)*، وصل العاصمة العثمانية وقدم الاقتراحات الفرنسية. وفي سنة 1528 دخل التحالف العثماني الفرنسي مرحلة الاختبار فالملك الفرنسي المحرر هاجم الإسبان غربا، في حين توغلت القوات العثمانية شمالا لمساعدة خادمه جنوس زابولا *(Jànos Zàpolya)* في ترانسلفانيا واحتلوا بودا *(Buda)*، ثم أمر السلطان بالتقدم نحو النمسا ومحاصرة فيينا. وفي سنة 1534 عين أول قنصل فرنسي بطريقة رسمية في العاصمة إسطنبول جين دولفورات *(Jean De La Foret)* وبعودته إلى فرنسا في أفريل من سنة 1534، فتحت الأبواب أمام تصاعد التأثير الفرنسي في البلاط العثماني.[16]

ومما زاد من تأزم موقف إسبانيا هو التحالف الرسمي بين الإمبراطورية العثمانية وفرنسا سنة 1536، فيما عرف بمعاهدة الامتيازات، والتي تعتبر أول اتحاد ديبلوماسي يقوم على مبدأ غير إيديولوجي، بين دولة مسيحية وأخرى اسلامية. واستغل العثمانيون الصراعات القائمة بين الأمراء الألمان وشارل الخامس؛ لدعم مركزهم في الجزء الغربي من البحر المتوسط.

---

[15] Charlesa. Frazee, Catholics and Sultan, The church and the Ottoman Empire, 1453-1923, London : Cambridge University Press, 1983, p.26.

[16] Ibid, p.27.

وكان الهدف الفرنسي من هذا التحالف، ضمان مساعد أقوى قوة بحرية آنذاك، للتوغل في الأراضي الإيطالية، وما يثبت قوة هذا الأسطول هو قول خير الدين بربروسة بعد تعيينه على رأس الأسطول العثماني: "هرعت على الفور إلى دار بناء السفن في كثير من المدن، إلا أن أكبرها كان في خليج القرن الذهبي. لم يكن لهذا المصنع نظير في جميع دول العالم، لا في قدرته الكبيرة على استيعاب السفن ولا في عدد العمال الصناع... بل بالعمال والصناع الذين كان معظمهم من الأسرى المسيحيين، أما الفنيون والمهندسون فكانوا جميعا من الأتراك".[17]

وأثبت الأسطول العثماني تفوقه على الأسطول الاسباني في معركة بروزة سنة 1538، بقيادة الشهيرين خير الدين بربروسة والجنوي أندري دوريا قائد القوات المسيحية، وقد تمكن العثمانيون من انهاء المعركة لصالحهم في مدة قصيرة، وبهذا سيسيطر العثمانيون على الجزء الغربي للبحر المتوسط خلال الثلاثين سنة القادمة.

لقد زعزعت هذه الهزيمة الهيبة الاسبانية في البحر المتوسط، مما استلزم الهجوم على أحدى المناطق العثمانية المتقدمة في الحوض الغربي للمتوسط؛ ليكون الاختيار في النهاية على الجزائر سنة 1541، فتدمير المدينة يعتبر خطوة هامة جدا للسيطرة على الجزء الغربي من البحر المتوسط. يذكر صاحب مخطوط المحكمة[18]، أن من جملة أسباب هذه الحملة، ما يتعلق بأسر سفينة اسبانية من قبل الريس كتشك علي وطاقمه، كانت محملة بالسلع ومتوجهة لحامية وهران. لكن ومما لاشك فيه أن سبب الحملة يتجاوز مجرد أسر سفينة.

وبعد تجهيز الحملة بدأت معاناتها بتضييع الكثير من الوقت في جزر البليار، ولم يصل الأسطول الإسباني سواحل مدينة الجزائر إلا بتاريخ 19 أكتوبر 1541؛ وكان هذا الأسطول يضم خمسمائة وستة عشر سفينة شراعية، منها 65 غليارة محملة باثني عشر ألف بحار وحوالي ثلاثة وعشرين ألف

[17] خير الدين، مذكرات خير الدين بربروس، تر. محمد دراج، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص167.

[18] مجهول، "المحكمة"، مخطوط، المكتبة الوطنية، رقم 1624.

وستمائة جندي. لقد كانت الحملة تمثل إحدى أضخم الحملات البحرية خلال القرن السادس عشر، حيث ضمت متطوعين من اسبانيا وألمانيا وإيطاليا، وحتى ابن أخ البابا كولونا شارك في المعركة، كما أرسلت منظمة فرسان القديس يوحنا مائة وأربعين من الفرسان الشجعان، وأربعمائة من أفضل جنودها.[19]

أما التحصينات الجزائرية فقد كانت ضعيفة جدا، مقارنة بالقوات المسيحية؛ بحيث أنها لم تكن تضم سوى ثمانمائة تركي وخمسة أو ستة آلاف جزائري وأندلسي، أغلبهم مبعدون من غرناطة اشتركوا من أجل الانتقام من أعدائهم القدماء.[20]

وعند النظر إلى عظمة تلك القوة يبدوا من الوهلة الأولى أن قضية الاستيلاء على الجزائر، تعتبر مسألة وقت لا أكثر؛ إلا أن سوء الحظ قد رافق هذه الحملة في كل مراحلها، فقد هبّت عاصفة شمالية شرقية دمرت كل الإرمادا الإسبانية بشكل شبه كلي، "وعندما أشرقت شمس اليوم الموالي، لاحظ شارل الخامس أنه فقد مائتي سفينة وثمانية آلاف مقاتل، أخذوا إلى المدينة كأسرى، بعد أن رمتهم الأمواج على الشاطئ".

إن تحطيم هذا المشروع الضخم كان ذا نتائج كبيرة؛ فقد أصبحت الجزائر منذ ذلك الوقت مفخرة المسلمين وعقدة المسيحيين، وزيادة على ذلك تحصل الجزائريون على غنائم كثيرة فقدها الإسبان على الساحل، إضافة إلى أنهم انتشلوا عددا معتبرا من السفن الصغيرة، وبعض الغاليارات الكبيرة، وحوالي خمسمائة قطعة مدفعية برونزية، ومقدار كبير من الأسلحة والتجهيزات المتنوعة... يضاف إلى هذا العدد الهائل من الأسرى.[21]

---

[19] De Grammont. H. D, Histoire d’Alger sous la domination Turque (1515-1830), Paris Ernestl Eroux editeur 1887, p.59.

[20] Esterhazy Walsin, De La Domination Turque Dans la Régence d’Alger, p.aris: libraire de Charles Cosselin, 1847, p.46.

[21] De Grammont. H. D, op.cit., p.68.

لكن ورغم هذه الأزمات المتتالية، ظل المركز الإسباني غنيا ومحميا من قبل بحريته، المدعومة بالقوافل السنوية المحملة بالذهب والفضة، القادمة من العالم الجديد إلى الوطن الأم اسبانيا، يضاف إلى هذا أن الاسبان كانوا لا يزالون يملكون موقعين هامين على سواحل شمال إفريقيا؛ هما: وهران وتونس.

وشجع هذا الانتصار فرنسا على توطيد علاقاتها مع الباب العالي، وهذا بتوجيه الدعوة إلى الأسطول العثماني بقيادة خير الدين بربروسة، لمساعدتهم في الاستيلاء على نيس سنة 1543، وفي هذا الصدد يقول ماتاي:"لقد أجبرت الظروف فرانسوا الأول طلب المساعدة من العثمانيين ضد شارلكان؛ فالمسلمون والمسيحيون توحدوا ضد المسيحيين، هي تلك نقطة خارج الهامش في تاريخ القرن السادس عشر، فقد دفع فرنسوا الأول ذهبا لقراصنته المتحالف معهم، والذين قاموا بسلب المدن الساحلية لإيطاليا واستعبدوا مسيحيين جدد".[22]وأما لان بول فيذكر: "بالغ الفرنسيون في الترحيب بخير الدين؛ لقد انخفضت رايتنا المسيحية لتعوض بالهلال الإسلامي".[23]

ودفع الفرنسيون لحلفائهم العثمانيون 1.2 مليون دوقة ذهبية، لمساعدتهم في اجتياح نيس، أي ما يعادل 72 مليون أقجة، وكانت تضم الخزينة العثمانية خلال هذه الفترة 198.9 مليون أقجة، بإنفاق يصل إلى 112 مليون أقجة ، هذا ما أعطى توازنا إيجابيا لاقتصادها وصل إلى 86.6 مليون أقجة، ما جعلها تتحمل عبء النفقات البحرية لسنوات عديدة.[24]

[22] Mattei. A, p.rotestation Contre Détracteur du Système Administratif Suivi Actuellement en Algérie, p.aris: E. Denni libraire éditeur, 1869, p.25.

[23] Stanley Lane-Poole, The Story of the Barbary Corsairs, New York: G.P. Putnam's Sons, 1890, p.95.

[24] Rhoads Murphey, Ottoman warfare, 1500–1700, London: University College London Press, 1999, p.18.

د- الاستغلال العثماني للمشاكل الدينية الأوربية:

استطاع العثمانيون تجاوز المشاكل الدينية التي كانت تقبع فيها أوربا، وهذا من خلال إرساء معالم التسامح الديني، ويذكر جين بودان *(Jean Bodin)*: "استطاع السلطان العثماني توجيه الديانات بما يخدم مصلحة الدولة، فهو لم يكره الديانات الأخرى ولم يضهدها؛ بل بالعكس من ذلك، سمح لكل بالعيش حسب طقوسه الدينية، وبأكثر من هذا: قربهم من بلاطه بالبيرة، حيث اعترف بأربع ديانات سماوية مختلفة، اليهودية، المسيحية، واليونانية (الأرثودكسية)، والإسلامية".[25]

وعكس ما كان يحدث في اسبانيا من اضطهادات منعا لأي حوار ديني ببلدهم، فإن العثمانيون كانوا يملكون تسع كنائس في غلطة، وثلاثة في اسطنبول نفسها. ويقدم لنا أحد الزائرين خلال هذه الفترة، وجود 500 جنوي و500 عبد حر من مختلف الجنسيات الأوربية، و600 إسباني بندقي ونابولي، وما مجموعه حوالي ستة آلاف عبد، بعضهم تابع للدولة، والآخرون يخصون الأفراد.[26]

وقد تهيأت أسباب الحرب بين الاسبان والألمان من جديد؛ بسبب سياسة الإمبراطور شارل الخامس، الذي كان يطمع إلى تأمين تاج الإمبراطورية الرومانية لابنه وولي عهده في اسبانيا فيليب الثاني؛ ولكن الألمان البروتستانت لم يرضوا به، كما عارضه أخوه فيرديناند وابنه ماكسيمليان *(Maximilian)* ملكا المجر وألمانيا. فنشبت حروب دينية واجتماعية جديدة داخل ألمانيا.[27]

واستغل العثمانيون الفرصة للتدخل في الحروب الدينية في ألمانيا، باعتبارهم حلفاء للملك الفرنسي، الذي تبنى الأمراء البروتستانت في ثورتهم، وفي رسالة أرسلها السلطان سليمان القانوني سنة 1552، شجع فيها الأمراء على الثورة ضد البابا والإمبراطور الاسباني، حيث أقسم بأنهم سيكونون في

---

[25] Daniel Goffman, The Ottoman Empire and Early Modern Europe, New York: Cambridge University Press, 2004, p.111.

[26] Charlesa Frazee, op.cit, p.28.

[27] Blake. W. O, Slavery and The Slave Trade, Ancient and Modern, The Forms of Slavery That Prevailed in Ancient Nations, p.articularly in Greece and Rome, The African Slave Trade and The Political History of Slavery in The United States, London: Columbus Ohio, 1857, p.76.

أمان عندما يدخل ألمانيا... ونصحهم بالتنسيق مع حليفه الملك الفرنسي .[28] ليس هذا فقط ففي رسالة أخرى إلى الأمراء اللوثريين في الأراضي المنخفضة والمناطق الأخرى التابعة لإسبانيا، عرض السلطان عليهم المساعدة العسكرية والوقوف إلى جانبهم، وقال لهم: "أنتم لا تعبدون إلاها مزيفا، بل تؤمنون بإله واحد وتقاتلون ضد الإمبراطور والبابا".[29]

ومثّل التحالف العثماني الفرنسي، مبدأ أساسيا في السياسية العثمانية، وهذه الصداقة قسّمت أوربا وأضعفت الإسبان، ومنعت حدوث أي تحالف مسيحي للقيام بحملات صليبية على الأقل في الوقت الراهن، وقد كانت الحملات الصليبية تحدث عندما يتخلى البنادقة عن العثمانيين؛ فماذا يمكن أن يحدث عندما يتحالف الاسبان والفرنسيون والبنادقة في صف واحد؟، هذا بالطبع كان يعني نهاية الوجود العثماني غرب المتوسط.

هـ- فتح قبرص وإخضاعها للتاج العثماني:

وبعد أن تمكن العثمانيون من السيطرة على اليمن، بقيادة عثمان باشا، واعتراف الشريف مظهر بالحكم العثماني على بلده؛ أصبح من الضروري على العثمانيين فتح جزيرة قبرص التي كانت في يد البنادقة، والتي تعتبر عائقا أما اتصال العثمانيين بولاياتهم في المشرق. وكذا محاولة البحث عن نجاح يعوضون به حصارهم الفاشل لمالطة سنة 1565.

وكسبب مباشر للحرب اتهم العثمانيون القراصنة المسيحيين بالتعرض للسواحل السورية؛ انطلاقا من جزيرة قبرص، إضافة إلى إعاقة حركة الحجاج المسلمين؛ وبهذا وجه العثمانيون حملة ضد الجزيرة تحت قيادة لالة مصطفى سنة 1570 دامت ثمانية وأربعين يوما، سقطت على إثرها المدينة في 9 سبتمبر.[30] ومنح العثمانيون رئيس الأساقفة الأرثودوكسي كافة التسهيلات، وأعطوه الصلاحيات

[28] Holt P.M, Other, The central Islamic Lands from Pre-Islamic Times to The First World War,Vol.1A, Cambridge: Cambridge university Press, 2008, p.329.

[29] Ibid.

[30] Stanly Lane-Pool, op.cit., p.50.

المدنية بالنسبة للجماعة الرومية، ولم تكن لرئيس الأساقفة هذه الصلاحية في العهد البندقي، وغنم الأتراك المدافع الموجودة في الجزيرة والبالغ عددها سبعمائة وستون مدفعا.[31]

و- معركة ليبانتو 1571:

أنتج سقوط جزيرة قبرص صدمة كبيرة للبنادقة، ومساسا مباشر لاقتصادها في الجزء الشرقي من البحر المتوسط و أدى إلى تدهور تام في العلاقة بين الطرفين، ما دفع البنادقة إلى الاستنجاد بالبابا، وحثه على توحيد أوربا أملا منها في استعادة قبرص من يد العثمانيين ثانية. وفي هذا الوقت كانت كل الظروف تنذر بحرب في الأفق بين أوربا المسيحية والدولة العثمانية؛ فبعد ثورة البشرات التي أشعلها الموركسيون في اسبانيا بدعم عثماني، رأى الإسبان ضرورة الدخول في الحرب بجانب البنادقة.

وفي 28 ماي 1570، وفي معاهدة احتفالية بكنيسة سانت بيار بروما، أعلن البابا عن تحقيق الاتحاد بين اسبانيا ايطاليا وألمانيا ضد العثمانيين، واجتمعت سفن جنوة والبابا والبندقية بميناء ماسين... وتكون الأسطول المسيحي من مائتي غليارة حربية، ومائة سفينة للحمولة، أقلّت ثمانين ألف جندي. أما الأسطول العثماني فقد ضم مائتين وثمانين غليارة حربية، تضم حوالي مائة ألف جندي، تحت قيادة علي باشا. تضاف إليها السفن القادمة من الجزائر تحت قيادة علج علي.[32]

حدثت معركة ليبانتو المعركة الأكثر شراسة في العصر الحديث، حيث توفي القائد مؤذن زاده باشا وابنه، وترجع خسارة العثمانيين بشكل أساسي إلى تزمت قادة الجيش، وعدم منح الفرصة إلى القادة البحريين أمثال علج علي، الذين كانوا يعرفون فنون الحرب البحرية جيدا؛ فالقبطان علج علي قائد الجناح الأيمن، تمكن من الفرار دون أن يفقد ولا سفينة من اثنين وأربعين سفينة جزائرية كان

[31] أوزوتونا يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، المجلد الأول ، تر. عدنان محمود سلمان منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، استانبول 1988، ص371.

[32] Mercier Ernest, Histoire de l’Afrique Septentrionale (Berberie) depuis les Temps les plus reculés, Jusqu’à la Conquête française (1830), T2, p.aris: Ernest Lourex Ed, 1868, p.111-112.

يقودها، بل وأكثر من ذلك تمكن من إبادة كامل الأسطول المالطي الذي كان في الجناح الأيسر ويأخذ رايته.

استقبل علج علي استقبال الأبطال من قبل السلطان سليمان الثاني، وعين في منصب الأدميرال الأكبر للأسطول العثماني، تاركا إياه يحتفظ في الوقت نفسه بلقب بايلرباي افريقيا. وهكذا استطاع هذا "القرصان البربري" الفذ أن يرتقي أعلى الدرجات.[33]

بعد أن وصلت الأخبار إلى البندقية بانتصار الحلف المسيحي، دقت الأجراس في كل أنحاء المدينة، وأعلنت ثلاثة أيام للاحتفال بالنصر، واعتلى قوس النصر برج المسرح البندقي؛ في حين راودت الأحلام البابا بيوس الخامس (*Pius 5*)، الذي بدأ بالتخطيط لقيادة حملة صليبية لاستعادة فلسطين. إن انتصار ليبانتو قد تم تضخيمه من قبل المسيحيين أكثر من اللازم، في الوقت الذي استطاع فيه الأتراك بناء أسطولهم مرة أخرى، وبقوة أكثر من السابق، ليكون في البحر سنة 1572.[34] وتمكن العثمانيون سنة 1574 من استعادة تونس من يد الإسبان؛ ودمج ولياتها الثلاث (الجزائر، تونس، طرابلس) تحت لواء واحد.

إن معركة ليبانتو لم تكن نتائجها ذات أثر مادي بحت، وإنما كانت ذات أثر معنوي؛ فقد أزالت عقدة تفوق الأسطول العثماني الذي لا يقهر، وفتحت أمالا جديدة لانتصارات أوربية قادمة. ورغم هذا الانتصار إلا أن الدول الأوربية كانت لا تزال غير قادرة على هزم العثمانيين منفردة.

وفي الفترة الممتدة بين سنتي (1570-73)، نجح البنادقة في تحريض السكان المسيحيين القاطنين بشمال ألبانيا ضد الإمبراطورية العثمانية، لكن هذه الثورات لم تكن لتهدد الحكم العثماني في المنطقة على الأقل خلال القرن السادس عشر.[35]

---

[33] ماخوفسكي ياتسيك، تاريخ القرصنة في العالم، تر. أنور محمد إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2008 ص105.

[34] Charlesa Frazee, op.cit, p.69.

[35] Gábor Ágoston, Bruce Masters, Encyclopedia of the Ottoman Empire, New-York: Facts On File, Inc, 2009.

مثلت معركة ليبانتو بداية الانهيار الفعلي للإمبراطوريتين العثمانية والاسبانية، وختمت على قرن من الصراع الديني بين الجانبين، استنزف طاقتيهما في حروب مهلكة؛ لتفسح المجال أمام قوى صاعدة تتمثل في انجلترا وفرنسا وبعض الدول الأخرى التي ستدخل المتوسط كدول ثانوية؛ لتصبح فيما بعد القوى الفاعلة به.

ومع أواخر القرن السادس عشر وبداية القرن السابع عشر؛ ظهر مجموعة نقاد في الدولة العثمانية كتبوا عن الضعف والهرم الذي أصاب دولتهم. ومنهم علي مصطفى في كتاب نشره سنة 1590، وريشفي *(Reçevi)* في كتيب نشره سنة 1630؛ أما أفضلها فهو ذلك الذي ألفه قوصو باي والمعنون بـ "النصيحة"، محذرا فيه السلطان من تصاعد الفساد، وتراجع العدل وفشل المسؤولين في مراكز إدارة الدولة.[36]

استمر نمو الانكشارية بشكل ملحوظ في الفترة الممتدة بين سنتي 1560-1630، بحيث تزايد عددهم من 16 ألف إلى 40 ألفا، ما سمح لهم بالولوج في البحرية؛ والسيطرة على الجيش البري تدريجيا.[37]

ز- تصاعد الثورات في أوربا:

شهدت أوربا أواخر القرن السادس عشر تغيرات جذرية، وهذا بظهور مؤامرات مزقت المجتمعات والدول، كتلك التي شهدتها الجزر البريطانية، فرنسا، الأراضي المنخفضة، الحدود بين النمسا والامبراطورية الإسبانية، السويد وبولندا. بداية بثورة الفلاحين في ألمانيا؛ وأخرى حدثت في النمسا سنة 1594-1597 انتهت بقتل الحاكم وازيلوا، كما قتل في فرنسا ملكين متعاقبين هما: هنري الثالث سنة 1589، وهنري الرابع سنة 1610، وفي نفس الوقت أزيحت ملكة استكلندا من عرشها سنة

[36] Daniel Goffman, op.cit., p.112.

[37] Ibid, p.113.

1567، وملكة السويد سيجينسماند فاسا *(Siginsmand Vasu)*، وتخلى فيليب الثاني عن نفوذه في هولندا بعد ثورة المقاطعات الألمانية سنة 1581.[38]

ومع أواخر القرن السادس عشر بدأت الحرب العثمانية الاسبانية في الانحسار، بعد أن دامت قرنا كاملا، استنزفت فيها كلا الإمبراطوريتين طاقتيهما؛ لتبرز في الفترة الممتدة بين سنتي 1580-1660 أعمال القرصنة (سواء من قبل المسلمين أو المسيحيين)، التابعين إما للإمبراطورية الإسبانية أو الإمبراطورية العثمانية، وهذا لإرهاق اقتصاد الطرف الآخر. فبحارة المغرب الاسلامي (الجزائر، تونس، طرابلس)، وبالاشتراك مع بحارة بريطانيا والأراضي المنخفضة قاموا بعمليات واسعة ضد التجارة الاسبانية. وفي المقابل قام فرسان القديس يوحنا وتوسكانيا والبحارة الخواص باستهداف التجارة العثمانية وسواحلها.

وحتى سنة 1600 كانت اسبانيا ما تزال ذلك العملاق السياسي العسكري، الذي مشى في تاريخ القرن السادس عشر مشية المختال، ولكن نظرة دقيقة إلى ديوان الملك الاسباني والوضع الديمغرافي والاقتصادي للكاستيل، وإلى وضع المناجم في العالم الجديد؛ حيث سينخفض قريبا سيلان المعادن الثمينة. كل ذلك يدل على أن العملاق كان يمر بمرحلة خطيرة.[39]

وفي سنة 1580 هاجم فليب الثاني البرتغال لضمها إلى التاج الإسباني، حيث أرسل قوة تحت قيادة فيرناندو ألفاريز دوك *(Fernando Alvarez Duke)* حاكم ألفا، وأما القوة البرتغالية فكانت تحت قيادة دون أنتونيو *(Don Antonio)*، بجيش مكون من الفلاحين، والتقى الطرفان بالقرب من حدود ألكانتارا؛ هزم على إثرها البرتغاليون وأصبحت البرتغال تحت التاج الاسباني إلى غاية سنة 1640.[40]

[38] Jeremy Black, European Warfare, 1494-1660, New-York: Routledge, 2002, p.97.

[39] جون.ب.وولف، الجزائر وأوربا، تر. أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1986، ص244.

[40] Tony Jaques, Dictionary of Battles and Sieges: A Guide to 8,500 Battles from Antiquity through the Twenty-first Century, 3Vol (Vol1), London: Greenwood Press, 2007, p.87.

ومع مطلع القرن السابع عشر اندلعت حرب الثلاثين سنة، اشتركت فيها أغلب دول أوربا، وقد بدأت شرارتها ببوهيميا، بعد أن أمر رئيس أساقفة براغ بتدمير إحدى الكنائس البروتستانتية الواقعة بالمدينة، ورغم لجوء البروتستانت إلى الامبراطور ماتياس، إلى أنه لم يكترث لحالهم، ما أدى إلى انتفاضتهم. وامتدت الثورة إلى أغلب مناطق أوربا الغربية، وبدخول فرنسا الحرب أخذت المواجهات طابعا سياسيا محضا، حيث اتحدت مع هولندا والسويد وبروتستانتي ألمانيا والنمسا وإسبانيا. وشهدت المواجهات معارك طاحنة.

ولم تنتهي هذه الحرب إلا بانعقاد مؤتمر وينسلفانيا في 24 أكتوبر 1648، وكان من نتائجها، استيلاء الفرنسيين على الألزاس واللورين، وتقسيم ألمانيا إلى أكثر من 350 مقاطعة، لكل منها استقلالها في المسائل الخارجية.

ولم تكد تنتهي حرب الثلاثين عاما، حتى اندلعت الثورة في برشلونة المقاطعة الاسبانية. "فالمقاطعة كانت تمر بمشاكل اقتصادية واجتماعية وسياسية صعبة، وهذا كله عجل باندلاع الثورة. التي اشعلت شرارتها في احتفالات عيد القربان سنة 1640، قادها الفلاحون في أول الأمر، لكنها سرعان ما انتقلت إلى سكان المدينة حيث اعلنت الحرب ضد فليب الرابع، وفي ديسمبر دخل الثوار تحت الحماية الفرنسية[41].

وقد دعمت البحرية الفرنسية هذه الثورة، إضافة إلى محاولة طرد الاسبان من إيطاليا وبعد عمليات ومعارك بحرية ضخمة في الفترة الممتدة بين سنتي 1641-1648، نجحت فيها فرنسا بشكل محدود وغير حاسم، وفي الأخير تخلت فرنسا عن الثوار نهائيا بعد الثورة التي أصبحت تهددها وهي ثورة الفروند.[42]

[41] Joana Fraga, "The Catalan Revolt of 1640: Between Orality and Memory, international" Conference "Histories and Memories of Early Modern Popular Revolts in Oral Culture", Université de Caen Basse-Normandie, 3-5 avril 2013, p.01.

[42] Jan Glete, The Sea Power of Habsburg Spain and the Development of European Navies, 1500-1700, Conference Guerra y Sociedad en la Monarquía Hispánica: Politica, Estrategia y Cultura en la Europa Moderna (1500-1700), Madrid, 9-12 March 2005, p.31.

2- البروز الفرنسي- الانجليزي في البحر المتوسط

تعود أولى العلاقات الرسمية المباشرة، بين العثمانيين وبريطانيا العظمى إلى الرسالة التي أرسلها السلطان مراد الثالث، للملكة إليزابيث الأولى بتاريخ 1579/03/20، وتتضمن أولى الامتيازات الانجليزية في أراضي الدولة العثمانية، قائلا: "بلادنا كانت دائما مفتوحة لكل من أعدائنا وحلفائنا؛ لكن وبعدما أعلمنا بأن سيادتكم ترغب في بناء علاقات وطيدة معنا، فإن بلادنا ستبقى دائما مفتوحة لمواطنيكم... وأن سفنكم التجارية سواء تلك الكبيرة أو الصغيرة منها ستكون آمنة في نطاق سيطرتنا، عند قدومها ثم عودتها إلى انجلترا ثانية... وكحلفائنا وأصدقائنا الفرنسيين والبنادقة والبولنديين وملك ألمانيا، وكل جيراننا؛ فإن لتجاركم الحرية في القدوم والعودة مرة ثانية إلى أوطانهم، ولهم الحق في تحميل ما يشاؤون من سلع تجارية كباقي المسيحيين؛ شرط عدم الإخلال بالنظام".[43]

وبرسالة مماثلة ردت عليه الملكة إليزابيث؛ بتاريخ 1579/10/25:"الإمبراطور المعظم، لقد استقبلت رسالتك التي كتبتها لي في مارس من هذه السنة"، ثم قامت بتوجيه الشكر له على مراعاة شؤون مواطنيها ؛ كما طلبت منه أن يحترم كل المواطنين سواء الموجودين على البحر أو اليابسة، كما طالبته بمنح المزيد من الحرية للتجار الإنجليز. وأن يتدخل لتحرير الأسرى الإنجليز الذين لا يزالون حتى الآن يجدفون على السفن العثمانية.[44]

كانت هذه المراسلات مهمة جدا في التأسيس للعلاقات العثمانية الانجليزية الأولى، بحيث أعطت الانجليز دافعا قويا للدخول إلى البحر المتوسط كفاعل مهم به. كما ساهمت في ظهور شركة المشرق "التي أسستها الملكة إليزابيث الأولى سنة 1581، واستمرت حتى سنة 1825، وسيطرت على التجارة بين العالم الإسلامي وانجلترا، وتعتبر هذه الشركة احدى أولى الشركات التي نشأت خلال التوسعات الأوربية، مثلها مثل شركة فيرجينا، وشركة الهند الشرقية، وكانت تدار الشركة من قبل تجار يقومون بدعمها من انجلترا".[45]

[43] Richard Hakluyt, The principal navigations, voyages, traffiques, and discoveries of English Nation, made by sea or over-land, South and south-East parts of the World, at any time within the compasse of these 1600 years… exc., 2nd, London: George Bishop, Ralph Newbery, Robert Barker, 1599, p.253.

[44] Ibid, p.255-256.

[45] Gábor Ágoston, Bruce Masters, Encyclopedia of the Ottoman Empire, New-York: Facts On File, Inc, 2009, p.333.

وفي سنة 1592 اندمجت شركة المشرق مع شركة البندقية، التي أنشأت سنة 1583 وبقيت تسمى "شركة المشرق"... وفي سنة 1585 أنشأت "شركة الساحل البربري" كشركة مستقلة، تشرف على التجارة مع مناطق المحيط الأطلسي الواقعة على الساحل المغربي.[46]

ومع أواخر القرن السادس عشر كان لشركة المشرق؛ قناصل معنيين في كل من طرابلس وسوريا والمشرق، ومن الخليج "العربي" وإيران إلى الإسكندرية، وبالجزائر وطرق ما وراء الصحراء لتصبح هذه الشركة الممثل الرسمي لإنجلترا في العالم الاسلامي.

إن دخول انجلترا إلى البحر المتوسط، واقامتها لعلاقات تجارية مع الدولة العثمانية، جعل جيرانها الفرنسيين والبنادقة، ينظرون إليها بعين الريبة؛ لكن بالنسبة لبحارة المغرب الإسلامي (الجزائر، تونس طرابلس) فهي لا تزال دولة صديقة، مادامت علاقاتها مع الباب العالي جيدة، حيث استمرت الجزائر في منح التجار الإنجليز "جوازات سفر" للعبور في البحر المتوسط بأمان، ففي سنة 1583 منح حاكم الجزائر جواز سفر لأحد التجار الانجليز جاء فيه:" نحن نائب مملكة الجزائر حسان آغا، منحنا التاجر توماس سينغلتون وبحارته جواز سفر، يسمح لهم بالإبحار في المتوسط بكل حرية... ونأمر بحارتنا وقادة المشرق بعدم التعرض لهذا التاجر، إن صادف والتقيتم به في بحار جنوة، فرنسا، نابولي، البليار وسردينا... وقعت في قصر الداي بتاريخ 1583/06/23".[47]

وهكذا نرى أن انجلترا وفرنسا ونيذرلاند المتحدة، لم تكن تجد صعوبة مع البحارة العاملين بالإيالات المغربية، طالما كانت هذه الدول في حرب أو في عداء مع الممالك الاسبانية، ولكن عندما وقعت هذه الدول الثلاث السلام مع "العدو" فإن بحارة شمال افريقية توقفوا عن النظر إليهم كحلفاء، وسرعان ما استولوا على السفن التجارية التي تعود إلى أصدقائهم السابقين، و"استرقوا طواقمها".[48] وسنرى أن تأثير الباب العالي كان لا يزال مستمرا على مناطق شمال إفريقيا، خلال النصف الاول من القرن السابع عشر لكن بتأثير محدود على الجزائر.

---

[46] Cristine Woodhead, "England, The Ottomans and The Barbary Coast in The Late Sixteenth Century", Durhan, State Paper Online, 2010, p.2.

[47] Richard Hakluyt, op.cit., p.266.

[48] جون. ب. وولف، مرجع سابق، ص243.

رغم هذا الوضع حافظ الانجليز على توسعهم التجاري والديبلوماسي على سواحل المغرب الاسلامي، وفي هذا الصدد يذكر نبيل مطر: "لا يوجد هناك شعب من الشعوب الغير مسيحية، استطاع أن يتفاعل مع البريطانيين؛ كما تفاعل مسلمي الإمبراطورية العثمانية والمغرب".

وحتى القرن التاسع عشر كانت لا تزال التجارة الأوربية تقوم على المبادلات مع المشرق، باعتبار أنها كانت تجني منها مداخيل كبيرة، واستمرت المنافسة بين الدول الماركنتيلية وشركاتها التجارية، التي كانت تقوم على مبدأ تحطيم تجارة المنافسين... وحتى شركات الدولة الواحدة كانت تعاني المنافسة بينها، فمثلا شركة المشرق أرهقتها المنافسة التي خلفتها شركة الهند الشرقية بعد نشأتها سنة 1600، وبالعكس من ذلك، كانت فرنسا قادرة على ترقية تجارتها في سوريا عن طريق سياسة تجارية راشدة، تدعى كولبارتيزم نسبة لجين كولبارت *(jean Baptiste Colbert)* (1661-1683)، وهو وزير المالية في عهد لويس الرابع عشر، حيث استطاع أن يوسع من المبادلات التجارية الفرنسية مع سوريا.[49]

أ- معركة الأرمادا والدخول الإنجليزي إلى البحر المتوسط 1588:

لقد غيرت المعارك تاريخ الأمم، واستطاعت أن تسقط قوى لها باعها في ميزان القوى، وتؤسس لقوى جديدة يمكنها أن تعوض القوى السابقة، "فرغم أن الملكين الاسبانيين لم يريدا الحرب، فالملك الاسباني كان مغرما بإليزابيث الأولى أخت زوجته، وفي الوقت نفسه كان يوجد بعض الكره بين الطرفين، ففليب الثاني كان يدعم إليزابيث ليس لأنه زوج أختها؛ لكن لأن انجلترا يمكنها أن تكون حليفا مثاليا في حربه ضد فرنسا. وفي المقابل قام الفرنسيون بدعم المنافسة الشرعية لإليزابيث ماري استيوارت في استكلندا، وقد أدرك فيليب الثاني المكيدة الفرنسية التي تهدف إلى الاستيلاء على انجلترا وإسكتلندا، وابعاد الاسبان من الأراضي المنخفضة، أما إليزابيث فقد رأت أن الاسبان يمكن أن يكونوا أفضل مرعب لفرنسا".[50]

وكان فليب الثاني يعلم جيدا الجانب الآخر من القصة، فالسكان الإسبان كانوا أقل مقارنة بفرنسا وكذا وارداتها، فأكبر جزء من سهول شبه الجزيرة قاحلة، ونفس الشيء بالنسبة لممتلكاته

[49] Milly Hanna, The Islamic Mediterranean: Mony, Land and Trade, An Economic History of The Muslim Mediterranean, London: I. B.Tauris Publishers, 2002, p.107.

[50] Wiliam Weir, 50 Battles That Changed the World, The Conflicts That Most influenced the Course of History, U.S.A: Book-Mart Press, 2001, p.151.

بشمال إفريقيا فأغلب أراضيها كانت جبلية، وأكبر وارداته تعتمد على الذهب والفضة القادمتين من أمريكا، والتي كانت أغلبها تستخدم في الانفاق على الجيش، حتى أنها في بعض الأحيان لم تكن تكفي. وعندما كان يحدث هذا، فالشغب وقتل المواطنين كان يحدث دون سبب، هذا ما كان يقوم به الجيش، إضافة إلى هذا أصبح من المستحيل القضاء على الثورة في الأراضي المنخفضة.[51]

وكما هو معروف ففي عهد إليزابيث الأولى، كانت الأراضي المنخفضة (هولندا، الدنمارك) تدار من قبل الاسبان، لكن الهولنديين أرادو الاستقلال، لأنهم لا يريدون أن يصبحوا كاثوليكيين خاصة وأن الأفكار البروتستانتية كانت قد تجذرت في أغلب الهولنديين، بحيث أصبح الوجود الإسباني يهدد ديانتهم، وعملت الملكة إليزابيث على مساعدة الثوار الهولنديين ودعمهم الأمر الذي أغضب فليب الثاني، "الذي اعتبر أن انجلترا أرض هرقطة، وملكتها سيدة الهراقطة، يجب اقتلاعهم وتعويضهم بالمذهب الكاثوليكي؛ وأضاف أن الكنيسة الكاثوليكية لن تكون محترمة ما لم تسقط انجلترا وترتفع راية البابوية، لكن ما أعطى فليب الثاني الشرعية لغزو انجلترا، هو أن البابا نفسه قام بحرمان انجلترا كنسيا".[52]

وتهيأت ظروف الحرب بشكل مباشر، عندما أصبحت الملكة إليزابيث نفسها شريكة للقرصان جون هاوكين في العمليات الموجهة ضد تجارة العبيد الاسبانية، خاصة وأن هذه التجارة كانت تدار من قبل الحكومة الإسبانية؛ ما أضر بالفوائد التي كان يحصل عليها فليب الثاني، وما زاد الطين بلة هو ذلك السكوت التي كانت تتخذه إليزابيث الأولى مع قراصنتها؛ أمثال: فرانسيس، درايك، مارتين فروبيستار، وهاوكين، الذين قاموا بالتعرض للحمولات التي كانت تحملها السفن الاسبانية، عند باي بيسكاي والقناة الانجليزية... وما زاد الاسبان إصرارا على احتلال انجلترا هو ذلك الإلحاح المتسمر الذي كان يأتي من نائب الملك في الأراضي المنخفضة؛ حيث أقنع فليب الثاني بضرورة احتلال انجلترا، والقضاء نهائيا على الهجمات التي كانت تتعرض لها قوافل الدعم الموجهة إلى الجيش الاسباني في حربه ضد الثوار الهولنديين.[53]

---

[51] Wiliam Weir, op.cit, p.151.

[52] Rev Thomas Lathbury, The Spanish Armada, A.D 1588; or The Attempt of Philip 2 and Sixtus 5 to Re-establish popery in England, London: Jhon W. Parker, West Strand, 1840, p.07.

[53] Wiliam Weir, op.cit., p.152.

وفي هذا الصدد يذكر الدكتور لينفارد سنة 1588: " على القارئ أن يعلم أن الملكة إليزابيث عملت على حصر وإضعاف الخزينة الإسبانية، وتقديم المساعدة للثوار الهولنديين، وتأجير مرتزقة خارجية للقتال ضد جيش فليب الثاني، واستخدمت بحارتها لمهاجمة وقتل المواطنين الإسبان المدافعين عن الممتلكات الإسبانية في الأراضي المنخفضة".[54]

وفي سنة 1587؛ قامت إليزابيث الأولى بإعدام الملكة ماري ملكة إسكتلندا، والتي كانت تدين وعدد كبير من مواطنيها بالمذهب الكاثوليكي؛ وقبل هذا كانت قد وعدت الملكة ماري فليب الثاني بأحقية العرش الاسكتلندي بعد وفاتها. ما جعل الملك فيليب الثاني يعطي شرعية لهجومه على انجلترا.

وتفاقمت المشاكل الإسبانية، بعد الموت المفاجئ للماركيز سانتا كروز في 1588/01/30، أحد أمهر القادة الإسبان البحريين؛ ولأسباب مجهولة، قام الملك فليب الثاني بتعيين دوق مادينا سيدونيا خلفا للماركيز، رغم أنه لم يخدم لا في البحرية ولا الجيش[55]، وقبل هذا، وفي سنة 1587، قام القراصنة الإنجليز بمهاجمة ميناء قادس، حيث حطموا العديد من السفن الاسبانية التي كانت راسية هناك.

ولم تتوقف المشاكل الإسبانية عند هذا الحد؛ فعند مغادرة الأسطول الإسباني الميناء في أبريل من سنة 1588، باتجاه المعركة اعترضته عواصف شديدة، أجبرته على العودة إلى الميناء من جديد، وإصلاح العديد من السفن التي تعرضت للعطب. "وتكونت هذه القوات: من 130 سفينة، أغلبها من الحجم الكبير، تحت قيادة دوق مدينة، أما القوات الإنجليزية فقد ضمت من إجماليّ 197 سفينة، منها 34 سفينة فقط هي ملك للدولة؛ أما الباقي فتعود للقراصنة، تحت قيادة القائد هارولد والقرصانين دراك وهاوكين".[56]

وعشية المعركة ولرفع همم الجنود الإنجليز، أرسلت إليزابيث الأولى رسالة إلى القائد الإنجليزي بتاريخ 1588/07/21، جاء فيها: "اجعلوا الطغاة يرهبون، وهذا بخضوعكم التام للقائد الإنجليزي،

[54] Rev Thomas Lathbury, op.cit., p.7-8.

[55] Wiliam Weir, op.cit., p.153.

[56] Thomas Benfield Harbottle, Dictionary of Battles, From the Earliest Date to the Present Time, London: Swan Sonnenschein & Co., 1901, p.49.

وشجاعتكم في المعركة... سنكون في مدة قصيرة أعظم منتصرين ضد هؤلاء الطغاة، أعداء إلاهي، ومملكتي وشعبي".[57]

وجرت المعركة بالقرب من القناة الإنجليزية، حيث دمرت وأحرقت العديد من السفن الإسبانية، التي كانت ضخمة بحيث يصعب عليها المناورة، وعندما قرر دوق مدينة الفرار نحو الأراضي المنخفضة، بدأت العاصفة التي حطمت أغلب السفن الإسبانية على السواحل الاسكتلندية والايرلندية.

أصبحت معركة الأرمادا تمثل حدثا هاما في الفلكور الإنجليزي، بحيث منحتهم دافعا قويا للولوج إلى البحر المتوسط كطرف مؤثر به، وأكثر من هذا توحيد جزرها وأراضيها تحت راية واحدة، والتأسيس لإمبراطورية دامت 400 سنة، لا تختلف عن تلك التي أسسها الرومان.

ب- الحروب الدينية الفرنسية 1562-1629:

لقد أثبتت الحروب الدينية الفرنسية (1562-1629) سرعة انتشار الفرق الدينية الحديثة التكوين، وخطورتها على الأنظمة في أوربا خلال العصر الحديث ، وقد قسم المؤرخون هذه الحروب الدينية إلى تسعة حروب مختلفة بداية من سنة 1562 إلى غاية 1598، وهذا بصدور مرسوم نانت؛ لكن المرسوم السابق لم ينهي الحروب الدينية بالبلاد، ولهذا قام مارك. ب. هولت *(Mack P. Holt)*، بتوسيع تاريخ الحروب الدينية الفرنسية إلى غاية سنة 1629، وهي نفسها السنة التي عقد فيها سلم ألاس في جوان 1629، والذي سمح للبروتستانت بالبقاء في فرنسا، إلى أن قام لويس الرابع عشر بإلغاء مرسوم نانت سنة 1685[58]، وطرد حوالي مائتي ألف بروتستانتي من الأراضي الفرنسية، لجأ أغلبهم إلى الأراضي العثمانية.

ويوضح لنا الجدول التالي تاريخ الحروب الفرنسية بشكل دقيق:[59]

---

[57] « A Message of Elezabeth 1 to her Army at Tilebury on the Eve of Spanish Armada, 1588 », (Manuscript).

[58] Daniel H. Nexon, The Struggle for Power in Early Modern Europe: Religious Conflict, Dynastic Empires, and International Change, London: Prinception University Press, 2009 p.235.

[59] Mack P. Holt, The French Wars of Religion, 1562–1629, Cambridge: Cambridge University Press, 2005, p.183.

«تاريخ الحروب الدينية الفرنسية 1562–1629»

السنة	النزاع	المرسوم والسلم	الحاكم
1563-1562	الحروب الدينية الأولى	مرسوم أمبواز	**شارل التاسع**
1567-1563	الحروب الدينية الثانية	مرسوم لونغجومو	
1570-1568	الحروب الدينية الثالثة	مرسوم القديس جيرمان	
1570-1572	الحروب الدينية الرابعة	مرسوم لاروشيل	
1576-1575	الحروب الدينية الخامسة	سلم مونسيو	**هنري الثالث**
1677-1576	الحروب الدينية السادسة	سلم بارغاراك	
1580-1577	الحروب الدينية السابعة	سلم فليكس	
1598-1584	الحروب الدينية الثامنة	سلم نانت	بعد أن قتل هنري الثالث سنة 1589 خلفه على العرش **هنري الرابع**.
1629-1620	الحروب الدينية التاسعة	سلم آلاس	**لويس الثالث عشر**

بعد التشجيع الذي لقيه شارل الثالث عشر من أتباعه الكاثوليك، أصدر الأخير مرسوما للتعويض في جوان 1617، طلب فيه من كل الكنائس البروتستانتية الواقعة تحت نطاق سيطرته، أن تعيد جميع الممتلكات التي استولت عليها منذ سنة 1569، وتسليمها للكنيسة الكاثوليكية ما أدى إلى اندلاع الثورة في بيرانس *Bearnes*، عاصمة مقاطعة البو *Pau* في ربيع 1618، لكن لويس الثالث عشر قرر القضاء عليها، مصدرا أوامره للجيش بالتحرك نحو الجنوب في 9 ماي 1620. دخل

لويس الثالث عشر المدينة دون مقاومة تذكر في أكتوبر من نفس السنة، ولأول مرة تم إعادة فتح الكنيسة الكاثوليكية التي كانت في يد البروتستانت، وحضر الملك القداس بها.[60]

إن استسلام مدينة البو، استقبل برعب كبير في مدينة لاروشيل، باعتبار أنها كانت تدار من قبل الثوار البروتستانت، وكتب آن روهان "أنا متأكد بأنه عما قريب ستكون المدينة محاصرة، وأقسم أنهم سيقومون بإبادتنا (يقصد جيش الملك الفرنسي)".[61]

قرر الهوغونوت (فرقة بروتستانتية) أن يدعموا قوتهم إضافة إلى تنظيم وتحصين مدينة لاروشيل لأنهم كانوا يعلمون جيدا أن مدينتهم هي القادمة؛ باعتبارها ملجأ للثوار. وهذا يعتبر سببا كافيا لإبادتها، "وكان سبب الهجوم الذي اتخذه لويس الثالث عشر، هو أن تحصين وتسليح مدينة لاروشيل يعتبر مخالفا لمرسوم نانت 1598... خاصة بعد اللامبالاة التي أبداها النبلاء (روهان، سوبيس شاتيلون، لاسيجدار، لافورس، وبوبلون)، ورفضهم أي سلم أو حتى توقيع هدنة مع الملك؛ إذا استمر في تجميع قواته دون السماح لهم بتحصين مدينتهم، وحسب المؤرخ مالينغر الذي عاصر هذه الأحداث، فإن النبلاء هم من قادوا الجمهورية الفرنسية نحو الحرب، بعد أن رأوا أنفسهم الحكام الشرعيين للمدينة؛ فأبقوا السلطات الادارية وكامل القوة تحت سيطرتهم... وبهذا فإن لويس الرابع عشر لم يتردد لحظة في التأكيد أن كل من شارك في هذا الحشد، يعتبر خائنا للبلاد".[62]

إن الظروف كلها كانت تنذر بحروب دينية جديدة، رغم أن الملك حاول التقليل من شأن هذه الأحداث الجارية، لكن رفض الثوار التبعية والخضوع له، جعل الملك يعلن الحرب، ويعتبرهم خارجين عن القانون؛ خاصة وأنه كان يعلم جيدا أن استمرار التغاضي عن الثوار، سيزيد من سيطرة النبلاء على المدينة.

وعكس الحملة السابقة فإن حملة سنة 1621، شهدت مقاومة ومواجهات عسكرية كبيرة في كل من مدينة جيندانفيلي، ومونتوبان؛ لكن مدينة جيندافيلي التي كان يحكمها روهان، لم تستطع المقاومة طويلا حيث سقطت في يد القوات الملكية في 23 جوان 1621، بعد شهر واحد فقط من حصارها وكانت تمثل القلعة الرئيسية في حراسة الجانب البري لمدينة لاروشيل... أما أكبر نزاع فهو

---

[60] Mack P. Holt, op.cit, p.183.

[61] Ibid.

[62] Ibid, p.184.

ذلك الذي شهدته مدينة مونتوبان، ثاني أكبر قلعة بعد لاروشيل في يد البروتستانت، حيث حوصرت في شهر أوت... والتي استخدمها النبيل روهان ولافورس كقاعدة رئيسية في مقاومتهم، وفي المقابل كان الجيش الفرنسي عرضة للمرض والموت، فبعد ستة أسابيع فقط من الحصار تناقص عدد الجيش الملكي إلى ¼، ما اضطر لويس الثالث عشر إلى رفع الحصار عن المدينة في نوفمبر 1621.[63]

لكن في أفريل 1622 هُزمت قوات الهوغونوت، التي كانت تحت قيادة الدوق سوبيس على ساحل جزيرة راز، الواقعة شمال لاروشيل، وساعدت هذه الهزيمة في القضاء على آمال الاستقلال الذي كان ينشده الهوغونوت.[64] ونفس الدوق استطاع أن يجدد الثورة ضد الملك الفرنسي، ويستولي على مجموعة من السفن الملكية على سواحل بالفاد، والسيطرة على جزيرتي زي وأوليرون؛ لكن القائد الفرنسي هنري دومنتور تمكن من هزيمة سوبيس بالقرب من مدينة لاروشيل، واستعاد منه الجزيرتين السابقتين، ووقع الطرفان معاهدة صلح في سبتمبر 1625.[65] وبهذا لم يتبقى في يد الهوغونوت سوى قلعة واحدة، حوصرت سنة 1627 من قبل القوات الملكية الفرنسية، وقد أرسل شارل الأول أسطولا إنجليزيا تحت قيادة بانكينغهام، الذي استطاع أن يستولي ثانية على جزيرة زي؛ إلا أن لويس الثالث عشر أرسل أسطولا فرنسيا لدعم القوات الفرنسية المتواجدة بجزيرة زي، مكون من 15 ألف مقاتل استطاع أن يستعيد الجزيرة في أوت 1627، وفي الأخير استسلمت مدينة لاروشيل بتاريخ 28 جوان 1629، بتوقيع معاهدة ألاس.[66]

ج- إنجلترا وفرنسا في البحر المتوسط:

لم يكن يعني انتهاء الحروب الدينية في فرنسا نهاية لمشاكلها، فخارجيا كانت قد تورطت في حرب الثلاثين سنة، إضافة إلى الغارات التي أصبحت تتعرض لها تجارتها في البحر المتوسط من قبل بحارة المغرب الإسلامي؛ وبخاصة بحارة الجزائر بعد التوتر الذي شاب العلاقة بين الطرفين، "ففي الفترة الممتدة بين سنتي 1628-1634، أسر الجزائريون 80 سفينة فرنسية تجارية، وأخذوا 986 أسيرا".[67]وحتى الانجليز لم يكونوا أكثر حظا من نظرائهم الفرنسيين، فرغم المعاهدة التي وقعها الإنجليز مع الجزائر إلا

[63] Mack P. Holt, op.cit, p.185.

[64] Jeremy Black, op.cit., p.142.

[65] Tony Jaques, Vol2, op.cit, p.672.

[66] Jeremy Black, op.cit., p.142.

[67] Ibid, p.143.

أنها لم تشفع لهم: "ففي الفترة الممتدة بين سنتي 1628-1641، استولى الجزائريون على 131 سفينة إنجليزية، محملة بـ 2555 أسير... أما إحدى تقارير البحرية الملكية البريطانية؛ فقد أعلنت عن فقدان 466 سفينة إنجليزية واسكتلندية، استولى عليها بحارة الجزائر بين سنتي 1606-1609؛ أما بيار دان فقد ذهب إلى أبعد من ذلك، عندما ادعى أن بحارة الجزائر استولوا على 936 سفينة فرنسية، هولندية، ألمانية، إنجليزية وإسبانية بين سنتي 1613-1623".[68]

ومما زاد من توتر العلاقات بين الجزائر وانجلترا، ذلك الصلح الذي عقده الملك البريطاني جيمس الأول مع الملك الإسباني، العدو الأول بالنسبة لبحارة الجزائر، ما أعطى بحارة الجزائر مبررا للهجوم على السفن الإنجليزية. ففي شهر أوت 1604، توصل الطرفان الإنجليزي والاسباني إلى معاهدة سلام وتعاون تلزم بحارة الطرفين بتجنب التعرض للطرف الآخر.[69]

ومست المعاهدة القراصنة التابعين للملك الانجليزي، وهذا بعدم التعرض للسواحل أو الممتلكات الاسبانية؛ وطُلب من العديد منهم مغادرة انجلترا نحو بلدانهم الأصلية، ومن بين هؤلاء القراصنة "البحار وارد *Ward* "، الذي ورغم أنه لم يطرد؛ إلا أنه أصبح مجرد بحار عادي فوق السفينة الملكية المسماة "شبل الأسد"، ثم كحارس للقناة الانجليزية، وهذه الوظائف كانت تتعارض ورغباته. فوارد ألف العيش الغير نظامي، والذي يسمح له التجوال والهجوم عل السفن البحرية، والاستيلاء على حمولاتها.

وفي هذه الأثناء تمكن عثمان باشا أحد الانكشاريين أن يصبح بايا لتونس، وقد كان "وارد" ذكيا كفاية ليقنع عثمان باشا بالانضواء تحت لواءه، بشرط أن يهاجم سفن كل الدول الأوربية باستثناء السفن الانجليزية، حيث منحه الباي ميناء تونس كمركز لعملياته. وليس ببعيد انظم القرصان الشهير سيمون دانسر الذي عرف بنهبه لأغلب سواحل العالم إلى البحرية الجزائرية، وجعل الداي فرقة

[68] Robert. C. Devis, Cristian slave, Muslum masters, White slavery in the Mediterranean, the Barbary coast and Italy, p.algrave Macmillan, 2003, p.6.

[69] A Collection of All The Marine Treaties Subsisting between Great-Britain, Commencing in The Year 1546, and including the Definitive Treaty of 1763, London: Printed for J.Millan, Charing-Cross, 1779, p.70.

بحرية تحت إمرته. وبعد استقرار الاثنين على سواحل المنطقة، درّسوا لبحارتها طرق الإبحار على السفن الحربية؛ وكذا طريقة الولوج إلى المحيط الأطلسي.[70]

نتج عن طرد المورسكيين من اسبانيا سنة 1609؛ تأسيس ميناء سلا "للقرصنة"، وبهذا بدأت هجمات هؤلاء البحارة ضد القوى الأوربية، وسمح لهم قربهم من مضيق جبل طارق العبور إلى المحيط الأطلسي والتعرض للسفن الإسبانية والانجليزية القادمة من أمريكا، ورغم أن الاسبان استطاعوا وضع قوة بحرية في المضيق بعد أشهر من تأسيس المدينة؛ إلا أن بحارة المغرب الاسلامي استمروا في الولوج إلى المحيط الأطلسي.[71]

ومع أواسط القرن السابع عشر كانت الثورة قد عمت معظم أنحاء أوربا؛ حيث شهدت إنجلترا ثورة المتزمتين بين سنتي 1648-1653، وقد صاحب هذه الأزمة مجموعة من الثورات في كل أنحاء أوربا؛ كثورة الفروند بفرنسا[72] وفي سنة 1650 شهدت الأراضي المنخفضة انقلابا عسكريا، أسس لشكل جديد من الحكومة، وتزامنت الحرب الأهلية الإنجليزية مع أزمات مرت بها اسبانيا، ففي سنة 1640 اندلعت ثورة كاتالونيا، ثم الثورة الناجحة في البرتغال؛ أما في سنة 1647 فقد اندلعت الثورة في نابولي، أو ما يعرف بثورة ماسانيليو.[73]

وفيما يخص الملاحظين الذين عاصروا تلك الفترة، فقد أكدوا أن المجتمع نفسه كان يمر بأزمة "هذه الأيام أيام الهزات" هذا ما قاله أحد الوعاظ الانجليز سنة 1643، "وشملت هذه الهزات كل من

---

[70] Jullian S. Corbett, England in The Mediterranean, Vol1 (2Vol), 2nd Ed, London: Longmans, Greend and Co 1916, p.14, 16.

[71] Ibid, p.20.

[72] **ثورة الفروند:** (1648-1653)، ثورة أهلية اندلعت خلال حكم لويس الرابع عشر، وقد قادها البروتستانت ضد النظام الملكي وقانون الامتيازات المفقودة؛ أما مصطلح الفروندي فكان يطلق على الشخص الذي يؤمن بحدود السلطة الملكية، أو الشخص الذي يتحدث علانية ضد الحكومة؛ وفي هذا الوقت لم يكن لويس السادس عشر يتجاوز 10 سنوات عندما أعلنت الثورة ضده ورغم أن الثورة لم تكن موجهة ضد الملك الطفل، وإنما كانت ضد الكاردينال مازارين وأم لويس الرابع عشر أنا Anne ملكة النمسا، التي كانت مسؤولة عن حكم فرنسا إلى غاية وصول لويس سن الرشد. أنظر: Encyclopedia of World History, Vol3, p.139.

[73] H.R. Trevor Roper, The Crisis of the Seventeenth Century, Relegion, The Reformation, and Social Change, U.S.A: Liberty Fund, 1967, p.43.

بوهيميا، ألمانيا، البرتغال، إيرلندا وانجلترا"، فأغلب الدول الأوربية كانت تبدو وكأنها مسارح عامة منفصلة، رغم الاختلاف اللغوي والمحلي.[74]

أدت هذه الأزمات التي كانت تمر بها أوربا، إلى عمل فرنسا على التوصل إلى اتفاق مع دول المغرب الاسلامي؛ لكن الانجليز أهملوا هذا الجانب، الأمر الذي أدى إلى مزيد من المضايقات لتجارتها في البحر المتوسط. ويعتقد "بيتر إيزل أن القرصنة خلال القرن السابع عشر أصبحت أكثر قوة، حيث كانت تقلع من موانئ المتوسط أكثر من 100 سفينة مسلحة لتهاجم السواحل والسفن التجارية، ومع هذا فقد استمرت التجارة في نموها؛ فالسلع كانت نادرا ما تبقى في أيدي "القراصنة" بعد سلبها، فهذه السلع جعلت مالكيها يعملون المستحيل لافتدائها، فهي تمثل ثروة لا يمكن التفريط فيها عكس الرهائن والأسرى".[75]

وأمام هذا الوضع لم تعد السفن الانجليزية في مأمن من الغارات الجزائرية، وكانت أكثر المناطق الانجليزية عرضة لهجمات البحارة الجزائريين هي جزيرة بالتيمور الايرلندية الخاضعة للنفوذ الإنجليزي، ففي 1631/06/21 تعرضت المدينة لهجمات بحارة الجزائر، تحت قيادة مراد رايس وخلفت هذه الحملة 107 أسير بيعوا في الجزائر.[76]ونذكر للشاعر الايرلندي الكبير توماس دافيس، أبياتا شعرية من قصيدته " نهب بالتيمور"، التي قال فيها: "شمس الصيف تسطع ناعمة على الجزيرة... والهدوء المخَيّم يسمع مدّ المحيط على الشاطئ، والماجنون ممدودون على الساحل، أما الأطفال فقد توقفوا عن اللعب، وغادر الأصدقاء الحانة الصغيرة؛ وأفراد الأسرة راكعون للدعاء، مملوئين بالحب، الأمان، والطمأنينة، هنا فوق الخليج تقع بالتيمور... وفجأة تنكسر صرخة الله فوق المصلي، ويصرخ ويزأر، آه الله العظيم! الجزائريون أصبحوا سادة بالتيمور".[77]

وبعد أن استطاع الهولنديون التحرر من سيطرة التاج الاسباني سنة 1608، وفي سنة 1612 وقعوا معاهد "امتيازات" مع العثمانيين، حصلوا بموجبها على المتاجرة مع المشرق، كما حصلوا أيضا على

---

[74] H.R. Trevor Roper, op.cit, p.43.

[75] John B. Hattendorf, Naval Policy and Strategy in The Mediterranean, p.ast, p.resent and Future, London: Frank Cass, 2000, p.22.

[76] Theresa D. Marruy, From Baltimore to Barbary: The 1631 Sack of Baltimore, History Irland, July/August 2006, p.14.

[77] Thomas Davis, The Poems of Thomas Davis with Notes, Historical Illustrations, Etc., New York: D. & J. Sadlier & Co., 1866, p.132, 134.

مجموعة من الحقوق للمتاجرة على طول الموانئ العثمانية الواقعة على المتوسط.[78] هذه المعاهدة لم تغير الوضع مع بحارة الجزائر، فقد ظل الجزائريون ينظرون إلى الهولنديين بعين الريبة، ولم يعترفوا بالمعاهدة العثمانية الهولندية السابقة؛ "ففي الفترة الممتدة بين سنتي (1613-1622) استولى الجزائريون على 447 سفينة هولندية كغنائم كانت معظمها سفنا تجارية صغيرة".[79]

ما يمكن أن نلاحظه خلال النصف الأول من القرن السابع عشر؛ هو أن أغلب الدول الأوربية باستثناء إسبانيا لم تكن تملك بحريات قوية، تسمح لها بالدخول في حرب بحرية مستمرة في المتوسط، خاصة مع عدو وهمي كدول المغرب الاسلامي، يعتمد على المناورة والهجمات السريعة في حروبه.

لكن مع أواسط القرن السابع عشر سمح ظهور السفن العالية ***(Ship of Line)*** بتغيير مستقبل الحروب البحرية، رغم أن استخدامها ظل محدودا خلال النصف الأول من القرن السابع عشر، باعتبار أنها كانت تكلف أموالا طائلة، كانت تحتاجها هذه الدول في دعم موقفها بأروبا وبقي استخدامها منحصرا وبشكل متواضع بيد الدول العظمى؛ "فكانت انجلترا تملك سفينتين هما "الأمير الملكية" ذات 55 مدفعا، بنيت سنة 1610، وسفينة "ملكة البحار" ذات 90 مدفعا، بنيت سنة 1637، وواحدة تملكها فرنسا هي "كورون" ذات 68 مدفعا، بنيت سنة 1638".[80]

وكانت نقطة التحول الكبرى سنة 1649؛ عندما قرر البرلمان الانجليزي، بناء فرقة من السفن الكبيرة والمسلحة تسليحا جيدا، بحيث يمكنها أن تحمل 20 مدفعا وأكثر؛ وهذه السفن كانت عبارة عن سفن تجريبية للسفن العالية، أطلق عليها اسم "السوبر كلاس" والتي كانت جاهزة في الفترة بين 1650-1654.[81]

وتبرز أهمية السفن العالية في كونها تزامنت مع اختراع نوع جديد من المدافع، هو مدفع الهاون الذي اخترعه الفرنسي رينو ديليكاغاري، يقصف إلى نقاط بعيدة وبقذائف ضخمة؛ مما أصبح يسهل

---

[78] John B.Hattendorf, op.cit., p.23.

[79] جون. ب. وولف، مرجع سابق، ص261.

[80] Jonathan R. Dull, The Age of the Ship of the Line, The British & French Navies 1650–1815, London: University of Nebraska Press, 2009, p.2.

[81] Ibid, p.2.

قصف المدن والحصون الساحلية، على مسافة تقدر ب 700 تواز *(Toises)* حوالي 1.350 متر،[82] بعد أن تم دمج هذا المدفع في السفينة.

ومن مميزات هذه السفن أنها كانت تستطيع أن تطلق النار من جوانبها الأربعة (الأمام والخلف) وهذه الخاصية تمثل ميزة جديدة في سفن ذلك العصر، التي كانت تقصف من الجانبين الأيمن والأيسر فقط؛ كما أن هذه السفينة كانت ثقيلة جدا ما يسمح لها بحمل مدافع ضخمة تزن العديد من الاطنان... فهي عبارة عن قلاع عائمة... ليس هذا فقط فهي ذات قوة تدميرية هائلة، إضافة إلى أنها كانت سريعة جدا وتستطيع المناورة في حالة تعرضها للهجوم... وأفضل حماية أضيفت للسفينة هي أنها كانت تستطيع رد الهجمات التي تأتي من الخلف والامام مباشرة.[83]

3- الأسر في الحوض الغربي للمتوسط 1500-1671

إن الحديث عن نشأة "العبودية" و"الأسر"؛ سيؤدي بنا حتما للحديث عن اختلافات حادة بين علماء التاريخ "فبعضهم يرجعها إلى الحاجة للعمال، وآخرون يؤمنون بأن الأسباب السياسية هي الدافع الرئيسي لظهورها. أما بعضهم الآخر فيرجعها إلى التجارة، كونها السبب الأولي لظهورها.[84]

أ- أسير أم عبد؟

أصبح الأسر خلال الفترة الحديثة يأخذ شكلا جد مختلف عن الطريقة، التي كان يمارس بها خلال الفترات القديمة؛ ذلك أن السلطات الحاكمة القائمة على طول السواحل المتوسطية، أصبحت تمنح "جوازات للقرصنة"، يمارس من خلالها القرصان نشاطه في المتوسط؛ بحيث لا يتعرض إلا لسفن الدول المعادية، والتي توجد دولها في حالة حرب مع الدولة التي يخضع لها القرصان، فمثلا: "في سنة 1317 قام الملاح الايطالي مانويل بقيادة سفينة برتغالية، ورخصة لممارسة مهنة القرصنة على السواحل المغربية".[85]

---

[82] جون. ب. وولف، مرجع سابق، ص179.

[83] Jonathan R. Dull, op.cit, p.4-5.

[84] Groody, J, "A Slavery in The Time and Space", Asian and African System of Slavery, Los Angeles: University of California Press, 1980, p.18.

[85] Christian De La Compaigne, Une Histoire de l'esclavage de l'antiquité à nos jours, p.aris: Libraire Générale Francise, 2002, p.129.

وارتكز الأسر خلال هذه الفترة على القرصنة؛ كشكل من أشكال "العبودية" عند البعض؛ أما البعض الآخر فنظروا إلى القرصنة كشكل من أشكال "الحروب"؛ ولهذا يدخلون هذه الغنائم في إطار "أسرى الحرب"، باعتبار أن ممارسي القرصنة كانوا يخضعون لسلطة مركزية، تمنحهم جوازات لممارستها، ما يعطي شرعية لعملياتهم البحرية.

وعند المقارنة بين الأسير والعبد، سنجد أن الأسير كان ذا قيمة "تبادل"؛ أما العبد فقد كان ذا قيمة "للاستعمال". وإن أغلب الأسرى كان يتم شرائهم من قبل ملاك السفن المشتغلين في الشرق؛ أما العبيد فكان يتم شرائهم من قبل ملاك العبيد، وهذا للعمل بالمزارع. ويذكر فونتناي (*Fontnay*): "أن الأسرى المسيحيين المتواجدين على سواحل المغرب الاسلامي، كانوا يتحصلون في النهاية على حريتهم. عكس ذلك فإن "العبيد السود" كانوا يموتون كعبيد في المزارع".[86] ويرى فرناند بروديل أن العبودية كانت تعتبر ميزة بارزة في المجتمع المتوسطي. وقاسية جدا تجاه الفقراء؛ رغم كثرة الحركات الدينية المنتشرة آنذاك.[87] ويطلق روبرت دافيس مصطلحا مهما على أسرى المتوسط "عبودية الإيمان أو الدين" *(Faith Slavery)*، في إشارة إلى أن العبودية التي كانت تمارس في المتوسط بين المسلمين والمسيحيين، كانت تأخذ طابعا دينيا، يمارسها الطرفان لرفع راية الدين والايمان.

وفي المقابل فإن العديد من هؤلاء الأسرى، لم يقعوا في الأسر نتيجة لحروب بحرية أو على الأرض؛ ولهذا فإن النظرية التي طرحها العديد من المؤرخين، قد تكون غير تامة بالمعنى الكامل. وفي نفس السياق يفتح أمامنا مجالا جديدا لدراسة الموضوع، فالعديد من هؤلاء الأسرى كانوا يهاجرون من الأراضي الأوربية؛ أو من الممتلكات الاسبانية الواقعة على السواحل الإفريقية باتجاه الجزائر، وفي هذا الصدد يقول نبيل مطر: "في الفترة التي أعتلت فيها الملكة إليزابيث (*Elizabeth*) العرش وحتى نهاية القرن 17؛ آلاف الانجليز، الاسكتلنديين الولزيين والإرلنديين، رجالا ونساءا تفاعلوا مع شمال إفريقيا بشكل مباشر. فقد توجه التجار، الجنود والفنانون إلى شمال إفريقيا للعمل والحصول على الفرصة".[88]وعلى امتداد اثنى عشرة سنة أثبتت وثائق المحكمة في إشبيلية أن 500 جندي إسباني تركو

---

[86] Daniel Bernardo Hershenzon, Early Modern Spain and the Creation of the Mediterranean: Captivity, Commerce, and Knowledge, University of Michigan: A Thesis for The degree of Doctor of Philosophy (History), 2011, p.25.

[87] Fernand Braudel, The Mediterranean and The Mediterranean World in The Age of Philip II Vol 2 (2 Vol), Translated From The French by Sian Reynolds, p.755.

[88] Daniel J. Vitkus, p.iracy, Slavery, and Redemption, Barbary Captivity Narratives From Early Modern England, New York: Columbia University Press, 2001, p.2.

قلاعهم؛ نتيجة "لفقرهم المدقع" ليصبحوا "مرتزقة" أتراك... وآخرون تركوا مناصبهم آملين إن هم أصبحوا جنودا أتراكا، استطاعوا جمع أموال الفدية.[89]

لكن في أي إطار يمكن أن ندخل هذه الفئة من الأسرى؟ خاصة إذا علمنا أن هؤلاء الأسرى كانوا يأتون إلى سواحل المغرب الاسلامي برغبة منهم ودون إجبار. وعند التدقيق في الموضوع سنجد أن أغلبهم كانوا يأتون خوفا من السلطة السياسية؛ أو لأسباب إقتصادية؛ ولهذا فأن أغلبهم كان مستعدا للتخلي عن دينه، خاصة إذا طلب منه ذلك. ومن المحتمل أن هؤلاء الأسرى كانوا يعلمون الوضع في شمال إفريقيا، وبمقارنة بسيطة سنجد أن هؤلاء "المهاجرين" كانوا لا يثقون في الدعاية التي شنتها المنظمات الدينية ومراكز السلطة في بلدانهم الأوربية؛ خاصة وأن العديد منهم كانوا يتصلون بالأسرى المتواجدين بالجزائر، والذي يُعتقد أنهم أعطوا صورة غير تلك التي أعطتها المنظمات الدينية..

إن حالة "الأسير" أو "العبد" كانت تتعايش في نفس الأشخاص بشدة، ويشار إلى هذه الفئة بعبارة "من أجل الفدية" حيث كانوا يوضعون للعمل مع الآخرين. ويرتب بعض هؤلاء "المسترقين" عملية الفدية بأنفسهم؛ حتى بعد قضاء سنوات في "العبودية"... (*Bondage*) واستخدمت المصادر المعاصرة لتلك الحقبة كلا المصطلحين (أسير وعبد)، فظهرت الإشارات إلى الأسرى (*Cautivo, captif*) والعبيد (*Esclavo, Esclave*) بشكل كبير في هذه المصادر. فكتاب كأنطونيو دوسوسا وقابريال دو لوسادا (*Gabriel de Losada*) وهايدو والأب بيار دان خصصوا صفحات عديدة في أعمالهم للصبغة القانونية لاسترقاق المسيحيين في المغرب الاسلامي مستخدمين مصطلح "عبيد" وفي نفس الوقت مصطلح "أسرى" في أعمالهم.[90] ويقول أنطونيو دو سوسا: "على الرغم من العدد الهائل للمسيحيين من كل نوع ووطن هناك، فهم يأتون هنا في العادة كأسرى وعبيد".[91] ومما سبق يمكن أن نلحظ أن البون بين الأسير والعبد يبقى مشوشا وصعبا تحديده؛ خاصة خلال الفترة الحديثة؛ علما أن الأسر خلال هذه الفترة، أصبح يأخذ طابع "العبودية" في شكله العام، باعتبار أن الأسير كان يعامل معاملة العبد، حيث يتم في كثير من الأحيان شراؤه من

[89] Eric R. Durstler, Venetians in Constantinople Nation, Identity, and Coexistence in the Early Modern Mediterranean, Baltimore: The Johns Hopkins University Press, 2006, p.115-116.

[90] Daniel Bernardo Hershenzon, op.cit., p.26.

[91] Antonio de Sosa, Topoghraphy and History of algiers in an Early Modern Dialogue with Islam: Antonio de Sosa's Topoghraphy of Algiers (1612),Edited by Maria Antonia Gracès, Tr. Diama de Armas Wilson, Indiana: University of Notre Dame Press, 2011, p.109.

أجل المصلحة الفردية، ليوجه إلى العمل في المزارع وتدبير الشؤون المنزلية... وغيرها من الأعمال، التي كان يقوم بها العبد.

ب- النظرة الدينية للأسير:

تعرف موسوعة الإسلامية **العبد** (*Abd*) كالتالي: "هو المصطلح الاعتيادي لكلمة (*Slave*)، عبد في اللغة العربية حيث تخص كثيرا الرجل، أما المرأة فتلقب "بالآمة"، وكلا المصطلحين يأخذان جذورهما من اللغة السامية القديمة؛ وحتى التوراة تستخدم نفس المعنى. وتوظف اللغة العربية الكلاسيكية فكرة "العبد" على كلا الجنسين (الرجل والأنثى)، أما في الجمع فتوظف مصطلح "الرقيق"، حيث لا يوجد مصطلح كهذا في القرآن. ومن جهة أخرى فإن القرآن استخدم تكرارا مصطلح "رقبة"... كما استخدم مصطلح "غلام" على العبد الرجل، أما المرأة فأشار إليها بمصطلح "الجارية". ومصطلح آخر كان يستخدم في بعض الأحيان للدلالة على "العبد" هو مصطلح "أسير"... ومصطلح "عبد" في اللغة التركية يقابله "قل" (*Cul*)؛ إضافة إلى الكلمة الدخيلة "باندي" (*Bande*) من اللغة المغولية، وفي الفارسية غولام للرجل؛ أما المرأة فتلقب ب"كينيس".[92] أما مصطلح أسير فتعود جذوره إلى اللغة اللاتينية (*Capere*) بمعنى يأخذ، وحسب القانون الدولي فهو الشخص الذي يعتقل في الحرب "أسير حرب".[93]

وأما عن حكم الأسارى والسبي في الإسلام ، قال أبو عبيد: جاءنا الخبر عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في حكم الأسارى من المشركين بثلاث سنن: المنّ والفداء والقتل، وبها نزل الكتاب، قال الله تبارك وتعالى: "فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وإِمَّا فداءًا". وقال: "فَاقْتُلُوا المشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ". وبكل عمل رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.[94] وقد اختلف العلماء في حكم قتلهم بين رافض ومؤيد.

وحسب اعتقادي فإن الاسلام حفظ للأسير كرامته وإنسانية، واعتبره من الفئات الاجتماعية المستضعفة، التي يجب على كل مسلم الإحسان إليها، يقول الله تعالى: "وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ

---

[92] "Abd", The Encyclopedia of Islam, V1 (A-B), Leiden: Brill, 1986.

[93] "Captive", Encyclopedia Britanica, A Dictionary of Arts, Sciences, Literature and General Information, V5 (C), New York: Encyclopaedia Britannica, Irtc., 1910.

[94] حميد بن زنجويه (ت251هـ)، كتاب الأموال، تحقيق شاكر ذيب فيّاض، ج1، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، 1986، ص292-293.

مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا". (الإنسان، الأية 08)؛ "وأما الأطفال فإنه يحكى أن الأوزاعي أنه كان لا يرى أن يردوا إليهم أبدا، بعد أن يباعوا، أو يقسموا، بفداء ولا غيره. ويرى أن الصغير إذا صار في ملك المسلم فهو مسلم، وإن كان معه أبواه جميعا، وهما كافران. ويقول: المِلْكُ أولى به من النسب.[95]

وفي حالة هروب الأسرى المسلمين ولجوؤهم إلى البلاد الإسلامية؛ فهم يعتبرون أحرارا ولا يتم دفع أي فدية للدولة التي كانوا أسرى على أراضيها، يقول القاضي إبن السراج الأندلسي: "الذي يترجح من جهة الفقه هو أنه لا يجب غرم فديتهم (الأسرى الفارين) ولا ردهم، لأن المراكب بالعادة اليوم تنزل منزلة بلادهم ومعاقلهم، لأنهم لا يسرحونهم فيها، ولا ينزلونهم منزلة أموالهم التي أخذوا الأمان عليها".[96]

ج- الأسر في المتوسط 1500- 1580:

إن عمليات الأسر خلال الفترة الحديثة، كانت توجه في الغالب ضد أصحاب البشرة البيضاء أو ما يعرف "بالرقيق الأبيض" *(White slavery)*، وهنا يبرز الصراع الإسلامي المسيحي في المتوسط، والذي أعطى شرعية لهذه الهجمات البحرية، وجعلها في مركز القداسة؛ فالمسلمون كانوا دائما ما ينظرون إلى هذه العمليات "كجهاد بحري"، أما المسيحيون فرأوا فيها حربا مقدسة *(La Guerre Sainte)*، ولهذا فإن هذه العمليات كانت ذا طابع مرغوب عندما توجه ضد القوى الدينية المعادية، في حين أنها تنبذ إذا وجهت ضد القوى الدينية الصديقة.

وخلال العصور الوسطى، أخذ المسيحيون والمسلمون أنفسهم كأسرى في البحر المتوسط وفي ساحات الحرب، وكنتيجة، فإن الحكام المسلمين من الأندلس إلى الإسكندرية، أنشؤوا فرقا من المبعوثين يدعون "الفكاكين" *(Fakkakin)*، للمفاوضة حول افتداء إخوتهم في الدين[97]، ففي سنة 1468 وصلت إلى السلطان المغربي رسالة من غرناطة، تشير إلى إسمين من أسماء الفكاكين هما سعيد بن يحي الجناق ومحمد ابن حسين الفقيه، اللّذين كانا يستعدان لدفع رطل من الفضة الخالصة لفدية

---

[95] حميد بن زنجويه، مصدر سابق، ص209.

[96] أبي القاسم بن السراج الأندلسي (ت 848هـ)، فتاوى أبي القاسم بن السراج الأندلسي، تحقيق أبو الأجفان محمد، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 2000، ص223.

[97] Gerald Maclean, Nabil Matar, Britain and The Islamic World, 1558–1713, New York: Oxford University Press, 2011, p.124.

أسير اسمه أحمد ابن أحمد البسطي،[98] وفي نفس الوقت أنشأت الكنيسة الكاثوليكية منظمة الثالوث المقدس 1198، ومنظمة سيدة الرحمة 1218، اللتان نشطتا في فرنسا وإسبانيا، وكلاهما أصبحت ناجحة ومؤثرة، حيث استمرت في الحصول على الامتيازات من السلطة الملكية لتسهيل نشاطها.[99]

ومع مطلع القرن الرابع عشر كان المسيحيون قادة "قراصنة " المتوسط، حيث تعاملوا مع العديد من العبيد والسلع المحجوزة. وأدى ظهور الأساطيل التجارية الكبرى إلى إعاقة هذه المهنة، وبعدها بقليل أصبحنا نسمع أقل عن "القراصنة الأوربيين"؛ وأكثر عن "القراصنة" المغاربة. فالسكان المستقرين على سواحل خليج قادس كانوا ذا نزعة "قرصانية"، وكانت مدينة المهدية أو إفريقيا ملجأ "للقراصنة". ويشير البكري خلال القرن الثاني عشر أن أساطيل عنابة كانت تجهز للإبحار في المتوسط من أجل الغنائم.[100] ويقول ابن خلدون:" شرع في ذلك (القرصنة) أهل بجاية منذ ثلاثين سنة فيجتمع النفير والطائفة من غزاة البحر، يضعون الأسطول ويتخيّرون له أبطال الرجال، ثم يركبونه إلى سواحل الفرنجة وجزائرهم على حين غفلة فيختطفون ما قدروا عليه، ويصطادون ما يلقون من أساطيل الكفرة فيظفرون بها غالبا ويعودون بالغنائم والسبي والأسرى، حتى امتلأت سواحل الثغور الغربية من بجاية بأسراهم تضجّ طرق البلاد بضجّة السلاسل والأغلال".[101]

إن سقوط غرناطة سنة 1492؛ أدى إلى هجرة واستقرار العديد من الأندلسيين على طول سواحل المغرب الاسلامي (المغرب، الجزائر، تونس، طرابلس)، وبهذا أصبحت مدن كوهران، بجاية وغيرها مراكز "للقرصنة"، ويذكر حسن الوزان: "كان تجار وهران فيما مضى يجهزون على الدوام سفنا شراعية وأخرى مسلحة يمارسون بها القرصنة، ويجتاحون سواحل قلطونية، وجزر يابسة ومنورقة وميورقة، حتى أصبحت المدينة تزخر بالأسرى المسيحيين".[102] لكن الوسائل التي كان يستخدمها هؤلاء البحارة، كانت تعتبر بدائية بالمقارنة مع وسائل ذلك العصر. ولهذا فإن التوسع الاسباني في

---

[98] Nabil Matar, Euroupe Through Arab eyes 1578-1727, New York: Columbia Press University 2009, p.47.

[99] Gerald Maclean, Nabil Matar, Britain and The Islamic World…, op.cit, p.125.

[100] Stanly Lane-Pool, op.cit., p.24.

[101] عبد الرحمن ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر، ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح. خليل شحادة، ج6، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2004، ص578.

[102] حسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، ج2 (جزأين)، ط2، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1983، ص30.

المنطقة لم يلقى صعوبة تذكر؛ وبطبيعة الحال كانت الحجة التي اتخذها الاسبان، هي وضع حد لهجمات البحارة المغاربة، يقول آبي بورجس: " إنّ العالم المسيحي يدعم فكرة تدمير وكر الفساد، أين يحلق يوميا لصوص القرصنة يدمرون السواحل الاسبانية، البروفانس، وإيطاليا، ويحملون الرجال والأطفال، لبيعهم في الأسواق الافريقية (المغرب الاسلامي)".[103] ففي الفترة الممتدة بين سنتي 1505-1510، استولى الإسبان على المرسى الكبير، وهران، بجاية، وعجل ملوك تنس، تلمسان والجزائر بدفع الضرائب، أما طرابلس التي رفضت أن تتبع مثالهم، فقد كان الهجوم عليها عنيفا جدا سنة 1510، هلك على إثرها خمسة آلاف ساكن.[104] واقتيد عدد هائل من الأسرى وبيعوا بأسعار بخسة في الأسواق الاسبانية (بين الثلاثة إلى خمسة وعشرين دوقة)، لتصبح سفن الدولة مكتظة بالمجدفين.[105]

لم يكن البحارة أو "القراصنة" المغاربة يقلقون الاسبان في توسعاتهم؛ ولكن عندما ظهر البحارة المشارقة في وسط وغرب البحر المتوسط، حدثت تطورات جديدة، ذلك أن هؤلاء الرجال جاؤوا بسفن أكبر حجما وكانت أكثر تسليحا، كما كانوا هم أفضل تدريبا على فنون الحرب البحرية، فكانوا يفهمون استخدام القوس والنشاب والصلب السريع والانكسار، ومن جهة أخرى فإنه كان لهؤلاء، قائد مثل عروج اجتمعت فيه الشجاعة والمهارة، كما أظهر ذلك في مهنته مبكرا حين أسر سفينتين كبيرتين من سفن البابا.[106]

ومع مطلع القرن السادس عشر كانت التجارة، تمثل شريان الحياة بالنسبة لجنوة؛ لكن تجارتها أصبحت تحت هجمات البحارة المسلمين (المغاربة)، الذين كانوا يبحرون من شمال إفريقيا. حيث استولى الأخوين بربروسة على حمولة جنوية غنية سنة 1510، وكان الرد الجنوي سريعا وهذا عندما هاجمت 11 سفينة جنوية قواعد الأخوين، ونجحوا في الاستيلاء على أربعة سفن من أصل ثمانية.[107]

---

[103] Bargès Abbe J-J, complètement de l'Histoire des Beni Zeiyan, p.aris: Ernest Loroux, libraire-éditeur, 1737, p.405.

[104] Masson Paule, Histoire des établissement et du commerce Française dans l'Afrique Barbaresque (1560-1793), (Algérie, Tunisie, Tripoliane, Maroc), p.aris: librairie Hachette et Cie, 1903, p.04.

[105] Fernand Braudel, Vol.02, op.cit., p.755.

[106] جون ب. وولف، مرجع سابق، ص182.

[107] Deborah Goodwin, p.irates, p.rofits and Politics: the Dilemma of Gunboat Diplomacy, Sandhurst Occasional Papers, No 4, Royal Military Academy Sandhurst, 2011, p.04-05.

وأصبح تصاعد عمليات "القرصنة" ملحوظا في الجزء الغربي للمتوسط، خاصة بعد طرد فرسان القديس يوحنا من جزيرة رودس سنة 1523. ومن ثم استقرارهم بجزيرة مالطة، وجعلها مركزا لعملياتهم ضد التجارة الإسلامية. ومن جانب آخر فإن التوسع العثماني غرب المتوسط، اعتمد بشكل كبير على التنسيق مع سواحل شمال إفريقيا؛ وهذا بدعم قواعدها هناك للهجوم على السواحل الخاضعة للنفوذ الاسباني.

إن الملاحظة الهامة التي يمكن أن نستشفها خلال القرن السادس عشر، هي أن القرصنة"كانت تثار وتدعم من قبل المدن التي ترغب في أن تصبح مدنا تجارية مركزية؛ إضافة إلى تطوير نفسها لتكون مراكز حقيقية للنشاط الماركنتيلي. "وبالتأكيد فإن مدينة فاليتا كانت واحدة من هذه المدن، حيث أسست من قبل القراصنة المالطيين سنة 1566، وتمثل الميناء الرئيسي لمالطا. يضاف إليها فيتوريوزا (*Vittoriosa*) سنغليا *(Senglea)*، وكوسبيكوا *(Cospicua)*، وفي الأخير ضاحية فلوريانا *(Floriana)*. وتبقى هذه المناطق بالإضافة إلى الجزائر وليفورن، أهم المناطق "القرصانية" في المتوسط خلال القرن السادس عشر والسابع عشر.[108]

لقد أعقب تحطيم قلعة البينيون غارات بحرية واسعة، قام بها البحارة الجزائريون، ولعل أشهرها تلك التي قادها ايدن رايس (الملقب في الكتابات الغربية بالشيطان الضارب) وصالح رايس ضد السواحل الاسبانية، "فعند عودة القائد العام للأسطول الاسباني بورتندو من جنوة، اشتبك مع 14 سفينة كان يقودها إيدين رايس؛ لقد كانت النتيجة كارثية بالنسبة للأسطول الاسباني؛ فقد توفي بورتندو، وتم الاستيلاء على ستة سفن من أصل ثماني غاليارات ضخمة، في حين أحرقت واحدة أخرى".[109]

وجاء في رسالة كتبها نائب ملك بلنسية إلى الإمبراطور بتاريخ 12 نوفمبر 1529: "لقد أعلمت جلالتكم عن طريق البريد عن الحالة التي تعيش فيها المملكة، خصوصا بسبب المحن التي تصيبها من جراء العمليات والتخريبات وأعمال النهب، التي يقوم بها الأتراك أعداء عقيدتنا الكاثوليكية... إنهم

---

[108] Fernand Braudel, op.cit., Vol. 2, p.757.

[109] Emrah Safa Gürkan, Ottoman Corsairs in The Western Mediterranean and Their Place in The Ottoman-Habsburg Rivalry (1505-1535), A Thesis for the degree of Master in History Ankara: Bilkent University, June, 2006, p.95.

أخذوا سكان القرى التابعة لبارونة برسنت *(Barcent)* وسيد هذه القرية وكل المورسكيين القاطنين بمورلة في مقاطعة أوليقا".[110]

عاتبت الإمبراطورة الاسبانية زوجها شارل الخامس، وذكرته أن ضياع قلعة البينيون غير التوازن الموجود بشمال إفريقيا؛ وأن كلا من جزيرة أيبيريا وقلاع شمال إفريقيا وبالأخص وهران وبجاية؛ أصبحتا تحت التهديد المباشر لمدافع بحارة الجزائر، وأن كل سفينة أخذت منهم أصبحت تشكل خطرا على الامبراطورية؛ إضافة إلى أن هذا الانتصار جعل العديد من القراصنة الخواص ينظمون إلى صف خير الدين.[111] وقد جاء الرد الإسباني على تحطيم قلعة البينيون عشوائيا، حيث هاجم أندري دوريا شرشال بأمر من الإمبراطور شارل الخامس؛ لكن الحملة فشلت بعد سوء التنظيم التي شهدته منذ البداية، وخلفت حوالي ستمائة أسير وقعوا في يد الجزائريين.

لم يقتصر الأسر خلال هذه الفترة على الهجمات "القرصانية"؛ بل تجاوزه إلى المعارك والحملات البحرية، فمثلا: خلفت معركة لابريفيزا سنة 1538، التي وقعت بين الاسبان والعثمانيين عددا هائلا من الأسرى. وحسب خير الدين فإنه بعد استيلاء الاسبان على تونس سنة 1535، قاموا بذبح ثلاثين ألفا من سكانها، وعشرة آلاف امرأة وطفل، وخربوا المساجد والمقابر ونهبوا محتويات القصور وأحرقوا آلاف الكتب والمخطوطات[112]؛ ورغم أن خير الدين بالغ نوعا ما في إحصاء عدد القتلى؛ إلا أنه يعطي لنا الهمجية الاسبانية في الاحتلال، "فشارل الخامس منح المدينة لجنوده ثلاثة أيام، ليفعلوا بها ما يشاؤون، فالجنود أنفسهم كانوا يتقاتلون للحصول على الغنائم".[113] إضافة إلى هجوم شارل الخامس على الجزائر سنة 1541؛ حيث يذكر ماثيو كراي: "أن الجزائريين باعوا عددا منهم بطريقة ازدراء مقابل حبة بصل عن كل اسباني".[114]وقد خلفت معركة مزغرين سنة 1558، بين حسن

---

[110] مروش المنور، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني " القرصنة، الواقع الأساطير"، ج2، دار القصبة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص89.

[111] Emrah Safa Gürkan, op.cit., p.95-96.

[112] خير الدين، مذكرات خير الدين بربروس، تر. محمد دراج، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر العاصمة، 2010، ص178.

[113] Stanly Lane-Poole, op.cit., p.90.

[114] ماثيو كاراي، مختصر في تاريخ الجزائر، تر. علي تابليت، ثالة، الجزائر، 2013، ص37.

باشا وآل كوديت بالقرب من مستغانم عددا هائلا من الأسرى، إضافة إلى وفاة القائد آل كوديت وأسر ابنه.[115]

كان يمكن للمسلمين أن يقعوا كأسرى في يد المسيحيين؛ فالمصادر المسيحية أكدت أن المسلمين كان يمكنهم أن يفقدوا حريتهم بنفس الطريقة التي فقد بها المسيحيون حريتهم. "وقد وصف ألونسو دو كونتريرس *(Alonso de Contreras)*، أحد فرسان منظمة مالطا أنه حوالي سنة 1600، تمكنوا من أسر سفينة تجارية تركية، حيث أرغموا طاقمها على النزول في لامبيدوزا *(Lampeduza)*، والبحث عن ملجأ على الجزيرة... وما نلاحظه خلال هذه الفترة، هو أن المسافرين عملوا على إخفاء ممتلكاتهم، والتخلص من أي علامة أو دليل يجعل منهم أغنياء، ما قد يرفع من قيمة فديتهم مستقبلا.[116]

وما يمكن أن نلاحظه أيضا عند التدقيق في مسار القرن السادس عشر؛ هو أن الأسرى المحتجزين، في أغلبهم كانوا من أصل متوسطي، ويدخلون في إطار الصراع الاسلامي المسيحي؛ فالقراصنة المسيحيون هاجموا بشدة الجزر والسواحل العثمانية الشرقية، وخاصة المناطق اليونانية التي أصبحت تخضع للنفوذ العثماني. ونفس الشيء قام به البحارة العثمانيين؛ "فالعديد من المؤرخين المتأخرين قللوا من تأثير العبودية "البربرية"، ذلك أن هجمات البحارة المغاربة، كانت موجهة ضد العالم المسيحي، والتي كانت متناظرة مع ما كان يقوم به البحارة الذين اشتغلوا على موانئ مالطة، ليفورنو، وحتى بورستموث، وهاجموا حتى الدول الأوربية المحايدة؛ كما هاجموا سفن المغرب الاسلامي. وآخرون رأوا أن الأوربيين الذين أخذوا إلى سواحل المغرب الاسلامي والمشرق، لم يكونوا عبيدا، بل جلبوا كأسرى حرب، حيث كانوا يتوقعون استعادة حريتهم من خلال الفدية أو التبادل.[117]

تعتبر المهدية إحدى أهم المناطق البحرية، التي استخدمها العثمانيون لمهاجمة السواحل الأوربية، وفي هذه الفترة كانت المدينة تحت قيادة البحار درغوث باشا، أحد أكفأ القادة البحريين في عصره. "وفي سبتمبر 1550، تمكن الإسبان من الإستيلاء على المهدية؛ إلا أن درغوث استطاع الفرار ، وفي أفريل من سنة 1551، نصب الجنوي أندري دوريا فخا لدرغوث، وهذا بإغلاق القناة عند جزيرة

---

[115] Stanly Lane-Poole, op.cit, p.90.

[116] Daniel Bernardo Hershenzon, op.cit, p.27.

[117] Robert Davis, op.cit, p.21-22.

جربة؛ لكن درغوث باشا استطاع الفرار، وبعد سنتين أوكلت له مهمة حكم طرابلس التي أخذها العثمانيون من فرسان مالطة سنة 1551".[118] وفي شكوى من مجالس مرسيليا سنة 1550 إلى كاثرين ميديتشي، أطلعوها عن المضايقات وحالات الاستيلاء التي تتعرض لها بعض السفن المارسيلية من قبل "قراصنة" الجزائر.[119]

لقد انتشرت الأسواق الخاصة بالأسرى بشكل ملحوظ خلال الفترة الحديثة، وتبرز أهمية هذه الأسواق على حسب النشاط القرصاني لبحارتها، فأغلب هذه الأسواق وجدت على مدن ساحلية؛ ولعل أهمها: ليفورن، ماسين، جنوة، الجزائر، واد الملح، مارسيليا، سيغنا *(Segna)*، وكانت السلطات العليا وملاك السفن يرسلون مبعوثيهم إلى هذه المدن لشراء الأسرى، "ففي سنة 1547 قام دوق توسكانيا، الكونت دو ميديشي بشراء خمسين عبدا لحاكم صقلية، بمبلغ أربعين إيكة في المتوسط عن كل خمسة أشخاص... وقد أعلن السيد الأعظم لمالطا، أن ستة من سفنه أسرت من قبل درغوث باشا، وأن عدد العبيد على الجزيرة، لا يكفي لتأدية الأشغال[120]، وفي سنة 1549 قام السيد الأعظم لتوسكانيا *(Grand Duke of Tuscany)*، بإرسال وكيل إلى سيغنا لشراء العبيد الأتراك".[121]

ويمكن أن نرجع تطور الأسر خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر، إلى حاجة السفن الحربية والتجارية للمجدفين، حيث أن العديد من هؤلاء الأسرى كان يتم شراؤهم للتجديف على على السفن؛ سواء الإسلامية أو المسيحية، والتي كانت حتى تلك الفترة تعتمد بشكل شبه كلي على المجدفين، "فهذه السفن كانت تحتاج بين 150-240 مجدفا، وفي بعض الأحيان قد تصل إلى ثلاثمائة مجدف وأكثر".[122] وما ساعد أيضا على تطور الأسر؛ هو أن المجدفين الأحرار كانوا يتقاضون مبالغ كبيرة للعمل على السفن كمجدفين، ولهذا كان يلجأ ملاك السفن وحتى السفن الملكية، إلى شراء أو

[118] Salvatore Bono, Les Corsaires en Méditerranée, p.aris: Ed. La Porte, 2000, p.20.

[119] Géraud Poumarède, Rivalités maritime Européennes (16-19 siècle), Revue d'Histoire Maritime, N°4, PUPS, 2005, p.118.

[120] Salvatore Bono, op.cit., p.80.

[121] Fernand Braudel, Vol.02, op.cit., p.757.

[122] Bono Salvatore, "Achat d'esclaves turcs pour les galères pontificales (XVIe - XVIIe siècles)", Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, N°39, 1985, p.79.

كراء مجدفين يشتغلون دون تقاضي رواتب. وهؤلاء كانوا يلقبون في الجزائر حسب هايدو "بالبقارين" (*Bagarin*).[123]

شهدت الفترة الممتدة بين سنتي 1550-1580، تصاعدا ملحوظا للغارات البحرية الجزائرية في البحر المتوسط، ما انعكس على عدد الأسرى المسيحيين بالجزائر؛ ويذكر هايدو الذي أقام بالجزائر (1578-1581) " أن الغنائم كانت كثيرة بحيث لا يمكن إحصاؤها... حيث تصبح الأماكن مكتظة أيام الاحتفالات الدينية، ففي بعض الأحيان كان يتوجب إلقاء القداس بالخارج".[124] وقد فقد آلاف المسلمين حريتهم، في حين إستعادها مسيحيون بعد أن كانوا مجدفين على ظهور السفن الإسلامية؛ ففي معركة ليبانتو 1571[125]، "وبعد ساعات من بداية المعركة، تمكن المسيحيون من أسر أكثر من ثمانية آلاف مسلم، في حين أن خمسين ألف مسيحي تمكنوا من استعادة حريتهم. وفي معركة وادي المخازن، أو الملوك الثلاثة، فقد أربعين ألف برتغالي حريتهم، من بينهم نبلاء. وبعد أن استعاد العثمانيون تونس من يد الإسبان سنة 1574، أسروا الآلاف من الجنود الاسبان".[126]

كان يمكن للأسياد أن يصبحوا أسرى في كثير من الأحيان، وذلك عندما يقوم المجدفون على السفن بالثورة على أسيادهم، والهروب بها نحو السواحل؛ إما المسيحية أو الإسلامية، وفي هذا الصدد يذكر التمقروتي: "ولقد سافرتا السفينتين اللتين جئنا فيهما راجعتين من الجزائر إلى استانبول بأموال كثيرة وجباية البلاد وهدايا بأمثالها، للسلطان والوزير والقبطان وغيرهم وأموال التجار وذخائر الجند وغير ذلك وسافر فيها كثير من المسلمين... فبعد أن انفصلوا عن البلاد بليلة قام فيها العلوج مماليك رايسها، من فيها من نصارى القذف ونصارى الهدية فقتلوا الرايسين ومن حاربهم من المسلمين، فرمى بعض المسلمين أنفسهم في البحر فنجا بعضهم بالسباحة وغرق بعضهم، وذهب النصارى بالسفينتين

---

[123] Haedo Fray Diego, Topographie et Histoire générale d'Alger, Tr. Mounreaut et Berbrugger, 1870, p.88.

[124] Haedo Fray Diego, op.cit, p.203.

[125] ينظر: Manuel Rivero Rodriguez, La Batalla de Lepanto: Cruzada, Guerra santa e Identidad confisional, silek, Madrid: 2008.

[126] Daniel Bernardo Hershenzon, op.cit, p.15.

إلى بلادهم بما فيها من الأموال والنساء والصبيان، ومن دخل أيديهم من رجال المسلمين وهناك من استسلم لم يقاتل ولا رمى بنفسه".[127]

د- القرن الذهبي للأسر 1580-1671:

لقد شهدت الفترة الممتدة بين سنتي 1580-1680، اتساعا غير مسبوق للغارات البحرية، ويمكن أن نرجع ذلك إلى سببين رئيسيين:

1- التراجع العثماني غرب المتوسط، ونهاية زمن المعارك البطولية بين العثمانيين والإسبان وتوكيل بحارتهم لتصفية الحسابات بين الطرفين؛ وبهذا قام العثمانيون بدعم بحارتهم المستقرين على سواحل المغرب الاسلامي، ونفس الشيء فعله الإسبان مع بحارة مالطا وتوسكانيا وطنجة؛ وفي المقابل شهدت سنة 1609 حدثا هاما هو طرد المورسكيين من الأندلس، وتأسيس موانئ جديدة "للقرصنة"، أشهرها مدينة سلا.

2- دخول دول جديدة إلى المتوسط أوائل القرن السابع عشر، ممثلة في دول شمال أوربا: (إنجلترا، هولندا، السويد، الدنمارك، هامبورغ وليباك...إلخ). يضاف إلى هذا التحاق العديد من "القراصنة" الإنجليز والهولنديين بسواحل المغرب الاسلامي؛ خاصة بعد توقيع الإنجليز (الملك جيمس الأول) لمعاهدة سلم وصلح مع الاسبان سنة 1604؛ فعلّموا بحارة المنطقة، طرق الولوج إلى المحيط الأطلسي، ولعل أشهرهم البحار دانسر الذي يعتقد الأب بيار دان أنه قدم إلى الجزائر سنة 1606؛ وكذا البحار وارد (*Ward*) الذي وصل تونس سنة 1605.[128]

إن العلاقات الهولندية مع دول شمال إفريقيا، سبقت تأسيس العلاقات الرسمية مع الباب العالي؛ ففي سنة 1604، وجهت السلطات الهولندية رسالة إلى باشا الجزائر، تعلمه فيها عن تمكن بحارتها من تحرير مسلمين "أتراك"، كانوا على متن سفينة إسبانية، بعد الاستيلاء عليها في سلويس ***(Sluis)***

---

[127] مولاي بلحميسي، الجزائريون من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1981 ص59.

[128] ينظر: A true and certain report of the beginning, p.roceedings, overthrows, and now present state of Captains Ward and Dansker, the two late famous pirates; from their first setting foorth to this present time, p.ublished by Andreiv Barker, Master of a ship, who was taken by the confederates of Ward and by them sometime detained prisoner, London: 1609.

الواقعة في مقاطعة الفلاندر[129]، دون اشتراط أي فدية، ورد الجزائريون بحركة مماثلة؛ ذلك أنهم قاموا بتحرير الهولنديين المتواجدين في قبضتهم.[130]

وشهدت السنوات الأولى من القرن السابع عشر، تزايد عدد السفن المشتغلة على سواحل المغرب الاسلامي، وتطورها من الغاليه ***(Galley)*** إلى سايلينغ فيزلس ، ***(Sailing Vessels)*** القادرة على الإبحار في المحيط الأطلسي، "ففي سنة 1617 كانت تملك الجزائر 50 سفينة، ثم 80 سفينة سنة 1625، وفي أحيان أخرى ترتفع لتبلغ 120 سفينة؛ أما تونس فقد كانت دائما أقل من نظيرتها الجزائر، ففي هذه الفترة كانت تملك بين 20-30 سفينة... وفي المقابل فإن دول أوربا الشمالية؛ وخاصة هولندا كلفت 130 قرصانا في الفترة الممتدة بين سنتي 1606-1609 وهذا بترخيص رسمي لمهاجمة أي سفينة تعود للإسبان، لجلب فوائد للخزينة، فـ 20% من هذه الغنائم كانت تمنح للدولة، و10% إلى الطبقة الحاكمة.[131] وحتى القراصنة الإنجليز نشطوا خلال هذه الفترة بشدة، ففي سنة 1600، كان الداي مسرورا ومرحبا بأحد القراصنة الذي يدعى قريفون ***(Griffon)***، بعد أن جلب إلى المدينة غنيمة تحتوي مواد وسلع، تخص أعدائهم الإسبان... أيام قليلة بعد ذلك، ظهر قبطانين إنجليزيين أمام سواحل مدينة الجزائر، وادعوا أنهم من لندن، محملين "بالصوف والخشب البرازيلي"، حيث استقبلهم الجزائريون بحفاوة.[132]

وفي سنة 1611، تم تجهيز حملة بإيطاليا (ماسينا)؛ تكونت من: 11 سفينة نابولية، وأكثر من عشرة سفن جنوية، 5 سفن مالطية، و7 سفن صقلية، تحت قيادة الماركيز سانتاكروز، وكانت الحملة موجهة ضد مدينة قرقنة ***(Kerkanna)*** بخليج قابس، خلفت 500 أسير، نقلوا إلى سواحل

---

[129] **الفلاندر**: جزء من شمال أوروبا كان في الماضي وحدة قائمة بذاتها حتى بداية العصر الحديث. يشكل ثلث المنطقة التاريخية للفلاندر حاليًا مقاطعاتُ الفلاندر الشرقية والغربية في شمالي بلجيكا، وتمتد قليلاً لتدخل في هولندا. أما بقية الفلاندر فتقع حاليًا في النصف الشمالي من المنطقة الإدارية الفرنسية المعروفة باسم نورد.

[130] Alexander de Groot.H., Ottoman North Africa and the Dutch Republic in the seventeenth and eighteenth centuries, Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, N°39, 1985 p.131.

[131] Alexander de Groot.H., p.131.

[132] Gerald Maclean, Nabil Matar, op.cit., p.22.

صقلية.[133] وفي شهر أكتوبر 1621، أحصى السفير البندقي في لندن، فواجع عظيمة مسّت الاقتصاد الاسكتلندي، وهذا بتعرض خمسين سفينة تجارية للأسر، بها 2000 شخص".[134]

إن جزءا كبيرا من الأسر الذي كان يقع خلال الفترة الحديثة، كان يحدث نتيجة تحطم السفن *(Shipwreck)* على السواحل الإسلامية والمسيحية، وكان هؤلاء الاشخاص يعتبرون أسرى يخضعون للمنطقة التي تدمرت سفينتهم على سواحلها. "مثلما حدث مع إليزا برادلي من ليفربول سنة 1818، زوجة الكابتن برادلي، قائد السفينة سالي الانجليزية، التي كانت متوجهة نحو جزيرة توليرايف (الكناري)، أين تحطمت سفينتها على سواحل منطقة المغرب، واقتيدت كأسيرة بين عرب المنطقة وقضت مع زوجها والطاقم حوالي ستة أشهر، إلى أن قام القنصل الانجليزي بافتدائها".[135]

أنتجت الحروب الدينية الأوربية؛ وخاصة الفرنسية تهجير العديد من الأسرى البروتستانت نحو السواحل العثمانية، وفي أحيان أخرى بيعهم كعبيد في الأسواق الاسلامية. "ففي إحدى المرات قام أحد القباطنة الفرنسيين، بإعطاء وعود لطائفة الهوغونوت[136] الفرنسية، لترحيلهم نحو العالم الجديد لكنه بعد ذلك قام بجلبهم إلى مدينة الجزائر، أين باعهم كعبيد".[137] ونفس الشيء حدث مع مسلمي الأندلس بعد طردهم من قبل فليب الثالث سنة 1609، وحسب أحمد بن قاسم الحجري؛ فأن مسلمي الأندلس قاموا بإكتراء الرياس الفرنسيين على أن يبلغوهم في أمان إلى البلاد الإسلامية لكنهم

---

[133] Jullian S. Corbett, England in The Mediterranean 1603-1713, Vol.01 (02.Vol), 2nd Ed, London: Longmans, Greend and Co 1916, p.24.

[134] Nabil Matar, English Accounts of Captivity in North Africa and The Middle East: 1577-1625, Renaissance Quarterly, 54, 2001, p.564-565.

[135] Eliza Bradley, An Authentic Narrative of the Shipwreck and Sufferings of Mrs. Eliza Bradley, the Wife of Capt. James Bradley of Liverpool, Commander of the Ship Sally, which was Wrecked on the Coast of Barbary, in Jun 1818, Boston: Printed by James Walden, 1820, p.05-21.

[136] **الهوغونوت**: طائفة بروتستنتية كانت سبب كل الحروب الدينية الفرنسية الممتدة بين سنتي 1562-1629. كان أتباعها يستقرون بالجنوب الفرنسي، بمدينة لاروشيل، وبعد القضاء على ثوراتهم تعرضوا لكثير من الاضطهاد ما دفعهم إلى الهروب نحو الأراضي العثمانية، التي كانت تشهد تطورا كبيرا فيما يخص التعامل مع الطوائف الدينية. ينظر: Goffman Daniel, *The Ottoman Empire and Early Modern Europe*, New York: Cambridge University Press, 2004.

[137] Piracy and Privateering in the Golden Age Netherlands, Virginia: Palgrave Maclilian, 2005, p.80.

غدروا بهم؛ فنهبوهم ورموهم على جزر المتوسط.[138] وفي سنة 1640 عرض أندلسيي سلا مدينتهم على الاسبان، إضافة إلى تحرير جميع الأسرى الإسبان الموجودين بالمدينة، مقابل أن يسمح لهم الاسبان بالعودة إلى إسبانيا، واستعادة أطفالهم؛ حتى وإن قابلوا عديد المشاكل من البحرية الانجليزية أو السلطة المغربية، فهم يشعرون بأنهم إسبان.[139]

وفي سنة 1662، طلب الفارس دو غوت *(La chevalier de Gout)* إمدادات لشراء أتراك من مالطة، من أجل المشروع القادم، وهو الذي اقترح الحملة التي قادها الدوق بيفورت *(Duc de Beaufort)* بعد سنتين ضد جيجل...[140]

ويعتقد البعض أن نشاط البحارة المالطيين في المتوسط، كان يرتكز على ثلاثة أسس رئيسية أولا: دعم وخدمة الهدف الإقتصادي، ليس فقط من خلال الإستيلاء على الغنائم والعبيد؛ لكن أيضا بتقليل هجمات البحارة المسلمين على الأراضي المسيحية، ثانيا: خدمة الهدف الديني؛ وذلك من خلال شن الحرب إعلاء لكلمة الله، وأخيرا: الإبقاء على الفرسان في البحر، لكي لا يكونوا كسالى على الأرض.[141]

شهد الأسر خلال الفترة الممتدة بين 1500-1700 تطورا كبيرا؛ لم تشهده العصور السابقة، حيث أصبح يوجه ضد أصحاب البشرة البيضاء، وقد ساهمت "القرصنة" في تطويره؛ وجعله يأخذ طابعا مشروعا، باعتبار الواقعين في الأسر خلال هذه الفترة، يدخلون في إطار الصراع المسيحي الإسلامي، ما يجعلنا نلقبهم بـ "أسرى حرب".

---

[138] أحمد بن قاسم الحجري (أفوقاي)، رحلة أفوقاي الأندلسي، مختصر رحلة الشهاب إلى لقاء الأحباب 1611-1613، تح. محمد رزوق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2004، ص19.

[139] Nabil Matar, Euroupe Through Eyes…, op.cit, p.14.

[140] Berbrugger, De l’esclavage musulman en France, R.A, N°1, 1856, p.39.

[141] Emanuel Buttigieg, Clash of Civilation; Crusades, Knights, and Ottomans, An Analysis of Christian-Muslim Interaction in The Mediterranean, Roma: Piza University Press, 2007, p.212.

الفصل الثاني

البحرية الجزائرية والحوض الغربي للمتوسط 1671-1830

1- عودة الرياس إلى الحكم

أ- انفراد الرياس بالحكم 1671

ب- الوصول إلى اتفاق مع هولندا 1679

ج- الصراع الإنجليزي-الجزائري 1672-1682

د- تصدع العلاقات الجزائرية الفرنسية

هـ- التوصل إلى اتفاق مؤقت

و- دول شمال أوربا والبحر الأبيض المتوسط

ز- فشل الحملة الدنماركية ضد الجزائر 1770

ح- تدهور العلاقات الجزائرية الإسبانية 1775-1783

2- انتعاش مؤقت للبحرية الجزائرية 1790-1815

أ- فتح وهران وتوحيد الإيالة 1791

ب- الولايات المتحدة الأمريكية والجزائر 1783-1795

ج- تصاعد النشاط البحري الجزائري 1795-1815

3- نهاية الإيالة 1815-1830

أ- الحرب الأمريكية الجزائرية 1812-1815

ب- الحملة الانجليزية على الجزائر 1816

ج- نهاية الإيالة الجزائرية 1817-1830

إن القصف الانجليزي للجزائر، أدى لإصدار الديوان قرارا بأسر القنصل الانجليزي. وهذه الأحداث لم تكن لتمر، دون أي رد فعل إنجليزي متوقع، فالشرف الملكي أصبح عرضة للمساس، والهيبة الإنجليزية يمكن أن تتعرض للاهتزاز، ولهذا أصبح الإنجليز مطالبين برد فعل يحفظ الشرف الإنجليزي على الاقل. وشهدت سنة 1670 عمليات بحرية ناجحة ضد الأسطول الجزائري، استطاعت انجلترا من خلالها أن تضعف الحركة البحرية الجزائرية بشكل واضح.

1- عودة الرياس إلى الحكم 1671:

شهدت العلاقات الانجليزية الجزائرية، تدهورا ملحوظا أواخر ستينيات القرن السابع عشر، ورغم أن توماس آلان عاد إلى الجزائر في أوت سنة 1669، إلا أنه لم يتوصل إلى أي نتائج مرضية، وفي سبتمبر عاد مرة أخرى وقام بقصف المدينة والاستيلاء على مجموعة من الفرقاطات الجزائرية الموجودة بالميناء، وفي نوفمبر من نفس السنة كتبت ثلاث رسائل من قبل القنصل الإنجليزي إلى السيد ويليامسان *(Williamson)*، أكد له فيها تواجده كأسير في منزله الخاص، لكنه "إذا تدخل الملك وطلب تحريري فسيوافقون على الفور". ويعتبر القنصل صديقا مقربا للباشا الذي وفّر له الحماية ، وفي هذه الفترة كان يتواجد بالجزائر حوالي مائتي أسير انجليزي بالمدينة.[1]

أ- انفراد الرياس بالحكم 1671:

في 12 أوت 1670 شوهدت مجموعة من السفن الجزائرية، وتم الاستيلاء عليها. جاءت أسماء السفن الجزائرية كالآتي: سفينة إناء الزهرة، 44 و488 رجل، سفينة النمر، 44؛ 488

[1] Jullian S. Corbett, England in The Mediterranean, 2Vol (Vol 2), 2nd Ed, London: Longmans, Greend and Co 1916, p.101.

رجل، سفينة الفهد، 44؛ 380 رجل، سفينة النخلة، 40؛ 300 رجل، سفينة راعي الغنم، 38؛ 360 رجل، والوردة الذهبية، 38؛ 330 رجل.

وفي ماي 1671، وصلت أخبار إلى القائد الانجليزي مفادها أن مجموعة من السفن الحربية الجزائرية ترسو على ساحل بجاية، وبعد هجوم إنجليزي فاشل، وفي الوقت الذي كان يجهز فيه الانجليز أنفسهم لهجمة ثانية؛ استطاع الجزائريون حماية أنفسهم خلف مجموعة من الكتل الخشبية القوية؛ لكن الإنجليز اخترقوها واستطاعوا تدمير سبع بوارج جزائرية ذات الثمانية والعشرين إلى الثلاثين مدفعا. هذه الأحداث دفعت الرياس إلى الثورة ضد السلطة وتعيين أول داي ذات صلاحيات جديدة ودخول الجزائر مرحلة الدايات، وبهذا تمكن الإنجليز من إجبار الداي على توقيع معاهدة صلح وسلام جديدة.[2]

أدت الثورة إلى عودة الرياس إلى الحكم، وتنظيم أنفسهم بشكل أقوى من ذي قبل كما أنهم استمروا في احترام قرارات الباب العالي في ارسال الباشوات إلى الجزائر إلى غاية سنة 1711. وكان الدايات الأربعة الاوائل من أفراد البحرية.

إن تجول الأساطيل الأوربية في عرض البحر المتوسط، وتهديداتهم المستمرة بقصف الجزائر أخاف "الأهالي"، مستغلين الضعف التي وصلت إليه البحرية الجزائرية والاضطرابات الداخلية أيضا، وبما أن قوة الرياس غدت ضعيفة ومنفكه، فقد نشأت قوة جديدة هي القوة اليولداشية، وأصبحت تنمو شيئا فشيئا على حساب الانكشارية التي انهارت هي الأخرى وغدى من الصعب ايجاد عناصر جديدة لأن الأناضول؛ لم تعد توفد إلى الجزائر الأبطال الشجعان، وغدت العناصر الوافدة إلى الجزائر معظمها من القتلة والمشاغبين.[3]

---

[2] Jullian S. Corbett, op.cit, p.359.

[3] ألتر عزيز سامح ، الأتراك في إفريقيا الشمالية، تر. محمد علي عامر، دار النهضة العربية، بيروت، 1989، ص406.

وما يثبت تحول عقلية الجهاد إلى عقلية القرصنة، وما صاحبها من تحول أخلاقي، أن الباشوات الذين تعاقبوا بين سنتي 1515-1659، وعددهم أكثر من ثلاثين ، لم يقتل واحد منهم؛ ما عدا واحد سقط تحت ضربات انتقام شخصي، في حين أن كل الآغوات، وحوالي نصف الدايات قتلوا.[4]

ب- الوصول إلى اتفاق مع هولندا 1679:

أدت الثورة إلى استقدام داي جديد، ذا جاه واحترام من الرياس، فهو لم يستأثر بالحكم لنفسه؛ بل لعب صهره بابا حسن (زوج ابنته) دورا كبيرا في الحكم، ونشطت في عهده "القرصنة" بشكل كبير.

وأعطى الداي تلميحات لرغبته في تجديد الصداقة مع الهولنديين؛ "خاصة وأن العلاقة بين الطرفين شهدت أسوأ انحطاط لها في الفترة الممتدة بين 1662-1674، وأرسل رسالة إلى ستاندثولدر *(Standtholder)*، الأمير وليام الثالث، بواسطة التاجر يعقوب دو باز *(Jacob De Baz)* والفزيائي الأمستردامي موسي رافيال سالوم *(Mossi Rafeal Salom)*، وكان هدفهم تثبيت علاقات جديدة مع الجزائر، وقررت هولندا ارسال وفد تحت قيادة توماس هيس، مع تعليمات بعقد معاهدة. وصلت الجزائر أربعة بوارج حربية في 12 أكتوبر 1675. وكان عقد المعاهدة بطيئا جدا ذلك أن الجزائريين ترددوا في اختيار مع من يوقعون الصلح فرنسا أم هولندا؛ خاصة وأن الجزائر فتحت الحرب ضد الإنجليز سنة 1677 والتي استمرت لغاية 1682. وفي الأخير قرر الجزائريون اختيار هولندا سنة 1679، وعيّن هيس كقنصل والتاجر يعقوب دوباز كنائب له".[5]

---

[4] الميلي مبارك، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج3، مكتبة النهضة الجزائرية الجزائر، 1964، ص183.

[5] De Groot Alexander.H. Ottoman North Africa and the Dutch Republic in the seventeenth and eighteenth centuries, Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, N°39, 1985, p.139.

ورغم أن المعاهدة وقعت في 30 أفريل 1679؛ إلا أن العلاقة لم تشهد ثباتا، فعلى سبيل التمثيل لا الحصر: اشتكت سنة 1686 جزر الزيلانتية *(Zeelant)*، التي كانت تتبع لهولندا إلى المجلس العام عن استيلاء بحارة الجزائر على العديد من "حمولاتها الغنية"، وقد "ادعى" الجزائريون أحقية الحمولات، باعتبار السفن الزيلانتية لم تكن تحمل جوازات سفر صالحة.[6]

ج- الصراع الإنجليزي-الجزائري 1672-1682:

استطاع الداي الجديد توقيع معاهد سلام مع الإنجليز سنة 1672، تسمح لهم بافتداء أسراهم بثمن البيع الأصلي؛ "كما عين السيد ساموال مارتين *(Samuel Martin)* (1674-1680)كقنصل انجليزي في المدينة والتاجر اللّندني *(Samuel Bontell)* مساعدا له، الذي نشط كوكيل لافتداء الأسرى، ما كلفه فقدان كلّ ثروته".[7]

بعد عودة هذا التاجر إلى انجلترا، قام باطلاع الملك عن وضعية القنصل الانجليزي الخطيرة، ونصحه بضرورة الإسراع بافتداء الأسرى، إن أراد الإنجليز الحفاظ على العلاقات الحسنة مع الجزائر؛ وقد قام الإنجليز بتقديم عرض للداي يتم من خلاله افتداء الأسرى الأقل قيمة؛ إلا أن الداي رفض الأمر، وطالب بافتداء الأسرى المتواجدين لدى كبار وأعيان المدينة. "لكن الحقيقة تقول أن غرفة البرلمان الإنجليزي؛ لم تكن بها سوى 44.416 من الجنيهات للفدية، بينما هناك مائتان وثلاثة وثمانون رقيقا، يقدرون بـ 22.369.245 من الجنيهات".[8]

---

[6] Piracy and Privateering in the Golden Age Netherlands, Virginia: Palgrave Maclilian, 2005, p.123.

[7] Playfair, E. L, The scourge of Christendom, Annales of British relations with Algiers prior to the French conquest, London: Smith, Elder, And Co, 1884, p.114.

[8] جون ب. وولف، مرجع سابق، ص331.

ورغم هذه المشاكل التي كانت تقبع فيها الخزينة الملكية؛ إلا أن الملك الإنجليزي قرر تعيين لجنة لافتداء الأسرى الإنجليز... وفعلا ففي 8 ديسمبر 1674 وصل الأسطول الإنجليزي الجزائر، محملا بـ 75 ألف قطعة ذات الثمانية، لافتداء الأسرى الإنجليز، ورغم الصعوبات التي لاقتها البعثة بسبب تزييف اليهود لدليل الأسرى الموجود بقصر الداي؛ إلاّ أنه وفي 18 جانفي 1675 تمكنت البعثة من انهاء مهمتها بافتداء 189 أسير بمبلغ 56 ألف قطعة ذات الثمانية، وهدايا بقيمة 6052 قطعة ذات الثمانية قدمت للديوان.[9]

ورغم هذا الاتفاق لم تشهد العلاقات الجزائرية الإنجليزية استقرار طويلا؛ خاصة وأن الإنجليز استولوا على المواقع الهولندية بعد هزمهم سنة 1675، "ولم يمرّ وقت طويل حتى خلق هذا التوسع التجاري الإنجليزي مشاكل مع الجزائر؛ فقد كانت السفن الإنجليزية تبحر وبين طاقمها "غرباء"، وبجوازات سفر مزودة من القيادة البحرية نفسها، وكان الضباط الانجليز يرفضون تسليم المسافرين الذين كانوا أعداء للولاية".[10]

وفي المقابل استولى الكابتن توماس هارمين *(Thomas Herman)*، قائد السفينة الإنجليزية سفاير شهر أوت وسبتمبر 1677 على سفينتين جزائريتين، تدعى الأولى "شجرة العهد" والثانية "الحصان الذهبي" (46 مدفعا)... وفي 28 أكتوبر تمكنت سفينة "بورستموث" من أسر سفينة حرب جزائرية (38 مدفع) بالقرب من مضيق جبل طارق، في الوقت الذي فرّت فيه العديد من السفن الجزائرية الأخرى؛ كما استولت سفينتين انجليزيتين على سفينة جزائرية وقائدها الألماني (العلج)، بعد مقتل 160 شخصا من طاقمها؛ وفقد الإنجليز بين عشرين وثلاثين قتيلا وجريحا.[11]

---

[9] Playfair, op.cit., p.116-117.

[10] جون ب. وولف، مرجع سابق، ص334.

[11] William Laird Clowes, The royal Navy, A History From the Earliest Times to the Present, Vol.2, London: Sampson Low, Marston and Company, 1898, p.452.

كان الرد الجزائري عنيفا جدا؛ وذلك عندما هاجم الجزائريون التجارة الانجليزية في البحر المتوسط بشراسة؛ ففي قائمة نشرها السيد آرثر هاربرت في لندن سنة 1682، أكد استيلاء الجزائريين في الفترة الممتدة بين 1677–1682 على 153 سفينة إنجليزية. وأحصى كاتب مجهول خلال الفترة الممتدة بين 1679–1682، أن الإنجليز خسروا نصف مليون باوند، ومن بين هذه السفن أربعة سفن من ماساشوستس *(Massachusetts)* الأمريكية (البركة الوردة، الوحدة، وليام ماري).[12]

ويبدوا أن الإنجليز لم يكونوا راضين عما يحصل معهم؛ خاصة بعد توصل الهولنديين إلى توقيع معاهدة صلح، منحت بموجبها للجزائر تجهيزات حربية سيستعملها البحارة الجزائريون ضد التجارة الإنجليزية مستقبلا؛ وكان يعلم الإنجليز أن بقاء الجزائر في عداوة معهم ومع فرنسا يعني نهاية ولاية الجزائر، فقاموا باستغلال حالة الفتور التي تمر بها العلاقات الفرنسية الجزائرية، لتوقيع معاهدة سلام مع الداي؛ خاصة وأن الحصار المغربي لمدينة طنجة (الإنجليزية)، جعل من الصعب على الإنجليز انفاق مبالغ إضافية لتنظيم حملة ضد الجزائر.

وفعلا فقد تمكنوا من التوصل إلى توقيع معاهدة صلح مع الجزائر سنة 1682، وجاءت هذه المعاهدة لتحلّ نقاط الخلاف؛ التي أدت إلى انغلاق العلاقة بين الطرفين. "وقال لوفشيي *(Le Vacher)* بعد توقيع الإنجليز للمعاهدة: "السلم الاكثر عارا، والذي يمكن أن يتخيل"[13]. ومن النقاط التي عالجتها المعاهدة؛ "قضية سلامة المواطنين الإنجليز في البحر المتوسط، حيث تمنح لهم الحرية في شراء السلع من المدينة دون إجبار؛ على أن تكون التعريفة المعلومة 10% عن كل السلع التي باعوها أو لم يبيعوها في السوق الجزائرية؛ أما قضية تفتيش السفن الإنجليزية فللجزائريين الحق في إرسال قارب يحمل مراقبين اثنين، على أن لا يتعرضوا

---

[12] Adrian Tinniswood, p.irates of Barbary, Corsairs, Conquests, and Captivity in The Seventeen-century Mediterranean, New-York: The Penguin Group, 2010, p.151.

[13] De gramont H. D, op.cit., p.247.

لأي ممتلكات موجودة على ظهر السفينة؛ كما نصت على أن لا تباع السلع الإنجليزية المسلوبة في الجزائر، وأن الملك البريطاني غير ملزم بتحرير أي من أسراه حاليا"[14]. وشملت المعاهد 22 بندا تمحورت في أغلبها حول حماية المصالح البريطانية في البحر المتوسط.

د- تصدع العلاقات الجزائرية الفرنسية:

بعد صلح نيمجين 1678 وعودة الهدوء النسبي للقارة الأوربية، عادت فرنسا إلى سياسة القوة إزاء الجزائر، وبسبب أسر الفرنسيين لعدد من البحارة الجزائريين، ومطالبة الجزائر افتكاكهم؛ ورغم تجدد المفاوضات بين الطرفين التي استمرت حتى سنة 1680، وابداء الجزائريين نيتهم في الوصول إلى اتفاق يرضي الطرفين، حيث اطلقوا جميع الأسرى الفرنسيين المتواجدين بالجزائر؛ لكن رفض الفرنسيين تسليم الأسرى المسلمين، دفع الجزائر لإعلان الحرب ضدها، "وفي 18 أكتوبر 1681، وبعد شهر من فشل هذه المفاوضات، تمكن الرياس من أسر تسعة وعشرين سفينة فرنسية"[15].

رغم محاولات التهدئة التي عمد إليها لوفاشي والسيد دوسول، الذي أكد أن الحرب ضد الجزائر ستكون وبالا على فرنسا؛ إلاّ أن "الأسطول الفرنسي اقلع من ميناء طولون بتاريخ 12 جويلية 1682 باتجاه الجزائر، والتي وصلها في 29 جويلية".[16] وتكوّن الأسطول

[14] Article of Peace and Commerce between the most serene mighty Prince Charles 2, by the grace of God King of Great Britain, France and Ireland, defender of the faith, and the most illustrious Lords, The Bashaw, Dey, Aga, and Governours of the famous City and Kingdom of Algiers in Barbary: concluded by Arthur Herbert, Esquire, Admiral of his Majesties Fleet in The Mediterranean seas: on the Tenth of April, Old Stile, 1682, Printed by John Bill, Henry Hills, Thomas Newcomb, London, 1682, p.04-11.

[15] De gramont H. D, op.cit, p.247.

[16] Ibid, p.248-49.

الفرنسي: 20 سفينة وفرقاطة، 70 غليوطة، حراقتين، و30 فلوتة وقارب، انظمت له فيما بعد 16 غليارة.[17]

وكان الفرنسيون يعتمدون على السلاح جديد، وهو مدفع الهاون الذي ابتدعه رينو ديليكارغازي *(Renau Cagarazy)*، .... ويؤكد الأمر ابن رقية التلمساني عندما يشير إلى ضخامة المقذوفات المرمية على المدينة: " ورموا قدر مائة وخمسين بومبة في الثقل قنطار، هدموا بها قدر مائتي دار، وسقطت منها بومبة واحدة في الجامع الجديد وأخرى في الجامع الكبير".[18]

ورغم المحاولات التي عمد إليها الديوان للتهدئة الأوضاع؛ إلا أن كلّها باءت بالفشل، نظرا للتّزمت الذي أبداه القائد الفرنسي، باعتباره في مركز قوة؛ خاصة وأنه لاحظ الدمار الذي لحق بالمدينة. لكن اضطراب الأحوال الجوية، دفعت الأسطول الفرنسي لمغادرة سواحل المدينة، مع نية العودة في العام القادم.

غادر دوكين ميناء طولون في 6 ماي 1683 مرة ثانية، متوجها نحو الجزائر، مع 20 سفينة، 7 غليوطات، و32 فلوتة وتارتان. وكان القصف هذه المرة عنيفا جدا؛ ورغم هذا إلا أن الداي بابا حسن رفض الاستسلام؛ ويذكر ابن رقية التلمساني: "خاف الداي بعد أن سقطت قنبلة على بيته، حيث سارع لإبرام الصلح مع الفرنسيين، على أن يطلق جميع الأسرى الفرنسيين الموجودين بالمدينة، وعددهم 550 أسير؛ إضافة إلى دفع تعويضات قدرت بثلاثمائة ريال متاع الميزان".[19]

---

[17] De Grammont. H. D, "Relations entre la France et la Régence d'Alger au XVIIe Siècle, Quatrième Partie les Consules Lasaristes " le Chevalier D'Arvieux (1646-1688)", R.A, Vol 29,1869, p.08-09.

[18] ابن رقية التلمساني، الزهرة النائرة، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية، رقم 2063، ص29.

[19] المصدر نفسه، ص30.

أدى قرار الداي إلى غضب الرياس، فبعد اجتماع الداي بالديوان، واخبارهم بما جرى عبر ميزمرتو عن غضبه وأخبر الحضور أن القائمين الجبناء على البلد، تسببوا في دمار المدينة، معارضا فكرة إرجاع الممتلكات التي أخذت من الفرنسيين، فاغتالوا الداي ليلا، وفي الصباح قاموا باختيار ميزمرتو دايا على الجزائر.[20]

هـ- التوصل إلى اتفاق مؤقت:

أقلع دوتورفيل *(M. de Tourville)* في أفريل 1684، وبرفقته ممثل الباب العالي، ووصلوا الجزائر بعمارة ضخمة[21]، وبعد وصوله الجزائر أكد دوتورفيل أن تحرير الأسرى الفرنسيين، ضرورية لبدء المفاوضات بين الجانبين؛ لكن الداي لم يكن يرغب في الصلح، حسب ابن رقية التلمساني: "وأما ميزمورطو فلم يلتفت لهم أصلا، وبقوا على هذه الحالة قدر شهر ونصف، وميزمورطو على الإباء، واللعين (دوتورفيل) أعطا هدايا مثيرة للأعوان حتى صاروا بسببها يراودون ميزمورطو إلى الصلح... أجابهم (الفرنسيون) بأنكم إن أعطيتم أسارى المسلمين الذين عندكم من الترك وغيرهم، وكان الكلّ أكثر من أربعمائة نصطلح فأجاب اللعين بالرضى".[22] وتم إعلان وتوقيع السلم "على أن يدوم مائة سنة"، واسفرت المفاوضات السابقة عن معاهدتين، الأولى: تخص الاستغلال الفرنسي للباستيون؛ أما الثانية فقد كانت تتعلق بتثبيت السلم بين الطرفين الجزائري-الفرنسي.[23]

وضمّت معاهدة السلم 29 بندا، تناولت إطلاق صراح الأسرى الفرنسيين وتسليمهم إلى السيد ديسو حاكم الباستيون، وأن تعطى الأوامر لأوجاق مدينة ومملكة الجزائر بجمع

---

[20] Mathew Carey, A Short History of Algiers, with a Concise View of the Origin of the Rupture between Algiers and the United State, 3^{TH} Ed, New-York, Evert Duychink, 1805, p.61.

[21] De Gramont H. D, Histoire …, op.cit, p.253.

[22] ابن رقية التلمساني، مصدر سابق، ص31.

[23] جمال قنان، معاهدات الجزائر مع فرنسا...، مرجع سابق، ص294-301.

الأسرى الفرنسيين، وبيعهم للقنصل الفرنسي بأفضل سعر. وأمّا الأسرى الذين وقعوا في أيدي الجزائريين بعد 1670؛ فيعتبرون أحرارا دون دفع فدية؛ كما جاءت المعاهدة لتعالج قضية تفتيش السفن الفرنسية، حيث يسمح لمراقبيْن جزائريين بالصعود على ظهر السفن الفرنسية لكن دون المساس بالأشخاص أو الممتلكات.

واستمرت المعاهدة قائمة خلال القرن الثامن عشر، وكانت يتم تجديدها كل مرة؛ سواء بإضافة بنود أو انقاص أخرى على حسب ما تقضيه الضرورة. وفي سنة 1765 حدث اتفاق بين فرنسا وتونس من أجل العمل على ما أفضت به الاتفاقية بين الجزائر وفرنسا:

- إن "قرصان" السلاوية -يقصد بحارة مدينة سلا- إذا دخل مرسى من مراسي الجزائر، لا يقعد فيها إلا أربعة عشرين ساعة ويغادر. وإذا كان عنده غنيمة لا يبيعها... ويشهد القنصل الفرنسي الذي بتونس بأن الشرط الذي أعلاه هو الخامس من الشروط المتفق عليها بين وجق الجزائر وفرنسا. في 12 رجب 1177 وسنة 1765 من حساب النصارى.[24]

و- دول شمال أوربا والبحر الأبيض المتوسط:

إن المشروع السويدي في البحر المتوسط أواسط القرن السابع عشر، لم ينتج فقط نظرا لأسعار الملح الرخيصة في المنطقة؛ لكن أيضا نتيجة للسياسة الأمنية للرجال المرافقين للسفن... فقد شهدت السياسات السويدية خلال هذه الفترة تشكّل مصالح جديدة في البحر المتوسط: وهذا لإيجاد الملح بثمن رخيص وأسواق للسلع السويدية في أوربا الجنوبية فارتفاع الملح في ستيبل ولشبونة، دفع التجار السويديين للولوج إلى البحر المتوسط، وهناك دخلوا إلى عالم يتميّز بالعنف والحروب.[25]

[24] تصريح بالعمل بالفصل الخامس من الاتفاقية المبرمة بين فرنسا والجزائر بشأن قرصان المغرب، الحافظة 205، الملف 60، الأرشيف الوطني التونسي.

[25] Joachim Ostlund, "Swedes in Barbary Captivity: The Political Culture of Human Security", Historical Social Research, Vol35, N°4, 2010, p.149.

أصبحت السفن السويدية مفضلة لدى بحارة الجزائر؛ باعتبارها لم توقع السلم مع دولتهم، ما يجعل سفنها غنائم شرعية؛ "ففي تقرير فرنسي يعود لأواسط القرن الثامن عشر جاء فيه: أن التجارة البحرية السويدية تحتل المرتبة الخامسة في أوربا؛ خلف كلٍّ من بريطانيا، فرنسا، الأراضي المنخفضة والدنمارك، ومتقدمة بذلك على الإسبان والصقليتين (مملكة نابولي وجزيرة صقلية).[26]

شهدت الفترة الممتدة بين سنتي 1670-1680 استقرار كبيرا للتجارة السويدية، حيث كانت السفن السويدية تتجه نحو البرتغال محملة بالحديد، الزفت، القطران؛ الأسلحة، لتعود إلى الوطن وهي تحمل الملح البرتغالي؛ إلا أنه وفي سنة 1690، وبعد ارتفاع أسعار الملح البرتغالي، غيّر التجّار وجهتهم نحو سواحل البحر المتوسط... ورغم التدهور الذي شهدته التجارة السويدية خلال الحرب الشمالية العظمي 1709-1720، عادت التجارة السويدية بقوة، بعد توقيع السّلام مع روسيا سنة 1721 ونهاية الحرب. وأصدر السويديون قانون *(Produktplakated)*، القانون البحري السويدي الذي يمنع الاستيراد إلى السويد في غير السفن السويدية، والقانون تم استلهامه من القانون البحري الإنجليزي.[27]

تصاعدت الأصوات في السويد، مُطَالِبَةً بالعمل على تحرير الأسرى المتواجدين على السواحل الجزائرية، "فالرحالة السويدي جون غابريال سباروانفيلديت *(Jhon Gabriel Sparwenfeldt)*، الذي زار شمال إفريقيا سنة 1691، قدم تقريرا مفصلا للملك السويدي، يصف له فيها وضعية الأسرى السويديين في المنطقة[28]، وفي سنة 1727 كانت كلّ الخطوات قد اتخذت لتوقيع السلم مع الجزائر. وجاءت هذه المعاهدة نتيجة للسلم الذي وقّعه

[26] Leos Muller, "Swedish Shipping in Southern Europe and Peace Treaties with North African States: An Economic Security Perspective", Historical Social Research Vol35, N°4, 2010, p.191-192.

[27] Ibid, p.192.

[28] Joachim Ostlund, op.cit., p.150.

الهولنديين مع الجزائر سنة 1726... وفي سنة 1729، تمكن السويديون من توقيع السلم مع الجزائر عن طريق جين فون أوتفال. ونصّت المعاهدة أن تدفع السويد ضريبة سنوية؛ كما أرسلت الحكومة السويدية 40 مدفعا، 800 سيف، 1600 كرة مدفع، صواري، مراسي بقيمة 21.000 ريكس دولار ***Rix-Dollar***.[29]

ومع منتصف القرن الثامن عشر، نمت السفن التجارية الدنماركية-النرويجية بشكل سريع، وقد رأى المؤرخون أنه مع نهاية القرن، كان يمكنها أن تتباهى بكونها رابع وخامس أسطول تجاري في أوربا؛ فالقرن الثامن عشر يعتبر القرن الأكثر ميكيافيلية، حيث أن الدويلات الصغيرة هوجمت وقسمت، وافترست من الدول الكبرى؛ وعلى الرغم من كل هذا استطاعت السلطة الدنماركية أن تؤسس لبحرية تجارية، تعادل 3/1 من تلك التي تملكها بريطانيا و2/1 من التي تملكها فرنسا، ومعادلة لهولندا.[30]

وخوفا من سقوط مواطنيها أسارى بيد الجزائريين، "استطاعت الدنمارك بين 1747-1753، توقيع مجموعة من المعاهدات مع دول شمال افريقيا، وهذا لتوفير مرور آمن في البحر المتوسط، يجنب دولة الدنمارك تسليح سفنها".[31] وفي سنة 1747 أرسلت الدنمارك للجزائر 40 مدفع، وأربع مدافع هاون، عشرين ألف كرة مدفع، و6 آلاف قنبلة وكمية كبيرة من وسائل البناء.[32]

وما يلاحظ هو أن الحروب الأوربية الكبرى، أنتجت دويلات صغيرة أصبح بإمكانها أن تؤسس لتجارة بحرية، تعتمد في الأساس على المصالح التجارية؛ فهذه الدويلات لم تعد ترى

---

[29] Joachim Ostlund, op.cit, p.194.

[30] Dan H. Andersen, Hans-Joachim Voth, "The Grapes of War: Neutrality and Mediterranean Shipping Under The Danish Flag, 1750-1807", Discussion Papers in Economic and Social History, N° 18, Sept. 1997 p03.

[31] Ibid, p.04.

[32] De Gramont H. D, Histoire …, op.cit., p.253.

مانعا في عقد معاهدات سلم وصلح مع الدول الإسلامية، ما دامت هذه العلاقات لا تؤثر على مصالحها الاستراتيجية.

ز- فشل الحملة الدنماركية ضد الجزائر 1770:

لم تشهد العلاقات الجزائرية الدانماركية حالة من الهدوء، بعد توقيع المعاهدة بين الطرفين فالسفن الدانماركية كانت تعتبر إحدى أكثر السفن تفضيلا لدى بحارة الجزائر؛ كونها سفنا تجارية غير مسلحة، عكس السفن الفرنسية والإنجليزية والهولندية التي كانت في الغالب تحمل تجهيزات عسكرية.

ظهر الأسطول الدنماركي أما السواحل الجزائرية في جويلية 1770، مكوّنا من أربعة سفن عالية ذات 70 مدفعا، فرقاطتين ذات 40 مدفعا، وغليوطتين ورامية قنابل، وأربعة سفن ذخيرة، تحت قيادة نائب الأميرال الكونت دوكاسي؛ ورفع العلم الابيض[33]، ورغم المفاوضات التي أجراها الطرفان، إلا أنها باءت بالفشل؛ نتيجة رفض الديوان لتعويض أي خسائر تعرضت لها التجارة الدنماركية، من جراء هجمات البحارة الجزائريين.

واستمر القصف أحد عشر يوما دون انقطاع؛ دون أية نتائج مرجوة؛ فغادر الأسطول السواحل الجزائرية، معطيا الأعذار الشرعية لاستمرار الهجمات الجزائرية ضد التجارة الدنماركية في البحر المتوسط، ما جعلهم يطلبون الصلح؛ فحسب الشريف الزهار: "طلب منهم ثمن الصلح ومصروف القيرة (الحرب)، ومقداره زوج ملايين ونصف مليون دورو، ومنهم أنهم يدفعون الغرامة كل سنة... وبعد ثلاثة أيام دفعوا مال الصلح ودفعوا فدية أساراهم وحملوهم لمراكبهم".[34]

---

[33] De Gramont H. D, Histoire …, op.cit, p.319.

[34] الحاج أحمد الشريف الزهار، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهّار، تح. أحمد توفيق المدني، ش.و.ن.ت، الجزائر 1974، ص25.

ح- تدهور العلاقات الجزائرية الإسبانية 1775-1783:

عملا على تأمين مدينة وهران التي استعادها الإسبان سنة 1739، قرر شارل الثالث استعادة الجزائر، وطرد العثمانيين من المنطقة نهائيا، "فأرسل 500 سفينة[35] وحوالي 20000 رجل حرب، تحت قيادة الإيرلندي أوريلي *(O'reilly)*، في جوان 1775"[36]، وكان يلقب بأورلاي الدموي؛ فشارل الخامس كان متفائلا بنجاح هذه الحملة، خاصة وأن إسبانيا لم تشهد قائدا مثله منذ فترة.

ورغم أن الكلّ في اسبانيا كان يضع ثقته في هذا القائد؛ إلا أن حملته فشلت، وخلّفت وراءها ألفي قتيل، بينهم خمسة جنرالات وعدد كبير من الجرحى... وانهت الحملة مساره الحافل، وأصبح يلقب بـ *"Mala Suerte"*، أي انسان مقدر عليه جلب الحظ السيء، وتم عزله من منصب الأميرالية.[37]

إثر هذا الفشل؛ أصبحت التجارة والسواحل الاسبانية مباحة لبحارة الجزائر، ففي الفترة الممتدة بين سنتي 1775-1780، وجد بالجزائر 1611 أسير اسباني، وهي أعلى نسبة من بين أسرى الدول الأخرى[38]، وبهذا فإن الإسبان أصبحوا مطالبين باسترجاع زمام المبادرة في المنطقة؛ فبعد أن حاصرت قوات جزائرية وهران، رد الإسبان بإرسال عشرة فرقاطات وأكثر من 60 سفينة صغيرة ضد الجزائر، تحت قيادة الدون أنطونيو دو بارثيلو *(Don Antonio De Barcelo)*، وخلّف القصف الذي دام تسعة أيام دمارا هائلا؛ لكن دون أي

---

[35] يبدو أن الرقم به نوع من التضخيم، فديغرامون يؤكد أن الجيش الإسباني تكوّن من 400 سفينة. ينظر: De Gramont H. D, Histoire …, op.cit., p.324.

[36] Thomas Benfield Harbottle, op.cit, p.33.

[37] Samuel Fannin, "Alexander "Bloody" O'reilly a Monster of Fortune", History Ireland, Autumn 2001, p.29.

[38] Devoulx Albert, Tachrifat. Recueil de notes historiques sur l'administration de l'ancienne Régence d'Alger, Algiers, 1852, p.134.

نتيجة.[39] وفي السنة الموالية عاد الإسبان مرة ثانية إلى الجزائر على رأس 130 مركبا، وآلافا من الجنود قذفوا المدينة بما لا يقل عن 10.680 قذيفة، و3379 قنبلة، و2145 مفرقعة، 401 قذيفة رشاش.[40] ورغم الدمار إلا أن الحملة كانت فاشلة، وأوعز الإسبان فشلهم إلى التخاذل الذي أبدته الدول الأوربية، التي كانت تسارع لعقد معاهدات سلام مع الداي، وتزويده بتجهيزات عسكرية.

2– انتعاش مؤقت للبحرية الجزائرية 1790–1815:

شهدت الفترة الممتدة بين سنتي 1790-1815، صعودا بارزا للبحرية الجزائرية في البحر المتوسط والمحيط الأطلسي، ويمكن أن نرجع ذلك لعدة أسباب أهمها: فتح وهران وتوحيد الأقطار الجزائرية. اندلاع الحروب النابولية؛ ما أدى إلى اشتغال أوربا كلّها في هذه الحروب واهمالها تأمين تجارتها في البحر المتوسط. ونفس الفترة شهدت دخول الولايات المتحدة الأمريكية إلى العالم القديم، وتدعيم الحروب الأوربية بالقمح الأمريكي، نظرا للانهيار الذي عرفه الاقتصاد الأوربي، وبهذا أصبحت سفنها عرضة لهجمات بحارة المغرب الاسلامي عامة والجزائر خاصة.

أ– فتح وهران وتوحيد الإيالة 1791:

إن فتح وهران يعتبر أحد أهم وأكثر الأحداث؛ تناولا من قبل المصادر الجزائرية خلال الفترة العثمانية، باعتباره الحدث البارز الذي مكّن من توحيد البلاد، وطرد الاسبان من مدينة ظلّ ينظر إليها السكان كإرث إسلامي، كان يجب استرجاعه.

---

[39] Thomas Benfield Harbottle, op.cit., p.33.

[40] يحيى بوعزيز، علاقات الجزائر مع دول وممالك ودول أوربا 1500-1830، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر 2009، ص102.

اتفق الطرفان الجزائري والاسباني عام 1786 على شروط السلم، وتناولا قضية وهران والمرسى الكبير في البند العشرين كالآتي: "تبقى قاعدة وهران وحصونها وقاعدة المرسى الكبير على ما كانت عليه من قبل دون اتصال بالضواحي، ولن يهاجمها داي الجزائر، ولا يقوم باي معسكر بأي غارة إذ لم يتلقّ أمرا من الداي، وبما أن الباي هذا يحكم الناحية باستبداد فإن داي الجزائر، سيوافق على أي اتفاق يحصل بين إسبانيا والباي المذكور، الذي تلقى أمرا بمنع الاعتداء على القواعد والحصون الاسبانية".[41]

لكن الموقف الجزائري شهد تطورا خلال السنوات اللاحقة؛ ففي رسالة بعث بها الداي بن عثمان إلى الملك الاسباني كارلوس الثالث، بتاريخ 1786/03/17، جاء فيها: "من الآن تبقى قلعة وهران تحت إمرة وفي يد ولدنا الباي، وذلك حسبما جاء منصوصا عليه في شروط الأمان، فهو يتصرف فيها كما يهوى".[42] ويمكن أن نلاحظ بأن الداي حاول استثناء نفسه ومدينة الجزائر، من أي عمل قد يصيب وهران من قبل باي معسكر.

وسمح الداي لباي معسكر بحصار وهران؛ شرط أن لا يطلب منه أي إمدادات مالية وعسكرية، وهذا ما يؤكده صاحب الرحلة القمرية: "فأذنوا له بشرط ألاّ يعينوه بالعساكر ولا بشيء من الدراهم والدنانير، ولا شيء من البارود ولا السلاح".[43]

---

[41] بلبروات بن عتو، "الداي محمد بن عثمان باشا وسياسته: 1766-1791"، مجلة عصور، ع 10، جوان 2005 ص101.

[42] يحيى بوعزيز، المراسلات الجزائرية الاسبانية في أرشيف التاريخ الوطني لمدريد 1780-1798، ط.خ، دار البصائر للنشر والتوزيع الجزائر، 2009، ص66.

[43] ابن زرفة أبو عبد الله بن عبد الرحمن، الرحلة القمرية في السيرة المحمدية، ج2، تح. مختار الحساني، مخبر المخطوطات الجزائر، 2002، ص180.

أدى الزلزال الذي ضرب مدينة وهران سنة 1790 إلى وفاة 2000 شخص[44]، ولحق بالمدينة دمار هائل؛ ورغم استغلال باي معسكر للوضع بهدف اسقاط المدينة في يد الأتراك، إلا أن الاسبان استمروا في المقاومة، وفشل الباي في اختراق التحصينات.

ومع مطلع السنة الجديدة، شرع الجزائريون في التحضير لهجوم واسع في مدينة الجزائر وفي أوساط القبائل. وكتب الباي محمد الكبير إلى الجنرال كورتين الحاكم الإسباني الجديد، يقترح عليه مباشرة المفاوضات؛ خاصة وأن الاسبان كانوا يرغبون في هذه المفاوضات مقابل أن يحتفظوا بالمرسى الكبير، فالثورة الفرنسية كانت تهدد إسبانيا نفسها. ورغم مباشرة المفاوضات إلا أن الداي رفض المقترحات الإسبانية، واشترط ضرورة التخلي عن وهران والمرسى الكبير وعدم تخريب المنشآت الدفاعية[45]، وبهذا تواصل الحصار الجزائري للمدينة، ورغم أن الاسبان راسلوا الداي مطالبين بهدنة لمدة شهر؛ إلا أن الداي رفض طلبهم[46]. وأكد أن لا مفاوضات يمكن ان تحصل دون تسليم وهران والمرسى الكبير، وأمام هذه المطالب لم يجد الاسبان بدّا من إيجاد سبب للخروج من المدينة بعزة وكرامة؛ فوجدوا في وفاة الباي محمد بن عثمان باشا، واعتلاء الداي حسن كرسي الحكم فرصة سانحة لذلك، وتقدموا إلى الداي الجديد بطلب التفاوض حول وهران والمرسى، ووضعوا شروطا للانسحاب من الثغرين، وفي ديسمبر 1791 صادق الملك الاسباني على شروط المعاهدة.[47]

---

[44] "Wahràn", The Encyclopedia of Islam, V11 (W-Z), Leiden: Brill, 1986.

[45] عباد صالح، الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830، ط3، دار هومة، الجزائر، 2011، ص172.

[46] أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي، الثغر الجُماني في ابتسام الثغر الوهراني، تح. المهدي البوعبدلي ص254.

[47] بلبروات بن عتو، "استراتيجية محمد الكبير في فتح وهران والمرسى الكبير"، مجلة الثقافة، ع06، وزارة الشؤون الدينية 2010، ص59.

ولخّص ابن سحنون الراشدي شروط المعاهدة، بقوله: "فكان ما اتفقوا عليه أنهم... يتركون بها جميع ما أخذوه من آلات المسلمين زمن أبي الشلاغم، وكان عدد ذلك ما ينيف عن مائة مدفع، ويهدمون مما استحدثوه بعد، ويدفعون لدار السلطان اثنا عشر ألف سلطاني كل سنة، ويؤدون في كل شهرين عند اخراج العطاء ألفين منها. ومتى أرست سفينة في وهران دفعوا عنها خمسة وخمسين ريالا أربعون لبيت المال والباقي لقائد المرسى...".[48]

وشهدت قضية فتح وهران تفاعلا كبيرا من علماء وشعراء ذلك العصر، باعتباره حدثا أنتج تحرير ثغر اسلامي، ولعل أفضل هذه الأعمال قصيدة أبي رأس الناصري، في كتابه الحلل السندسية:[49]

مدينة حلّها التوحيد مبتسما خلاّن وارتحل التثليث في باس

من بعد ما صيرها العانيون بها ستوحش الطرف ما انس من انس

شيّدت مساجدنا ونظمت بها أذاننا الحق قد بطش بالجرس

ب– الولايات المتحدة الأمريكية والجزائر 1783–1795.

حتى سنة 1783 كانت لا تزال الولايات المتحدة الأمريكية، تعتبر ولاية بريطانية تمسّها المعاهدات البريطانية الجزائرية، وتكفل لها حق الابحار في المحيط الأطلسي والبحر المتوسط بكل حرية، دون أن يتعرض لها بحارة الجزائر بسوء؛ لكن بعد توقيع معاهدة الانفصال النهائي عن التاج البريطاني سنة 1783، أصبحت التجارة الأمريكية في الخارج عرضة لمضايقات البحارة المغاربة. ففي "أفريل 1783، أرسل السيد سالفا *(Salva)* (الذي كان متواجدا بمدينة الجزائر) رسالة إلى الرئيس الأمريكي، يصف له فيها المضايقات التي تتعرض لها السفن

[48] بن سحنون الراشدي، مصدر سابق، ص309.

[49] أبي رأس الناصري، الحلل السندسية في شان وهران والجزيرة الأندلسية، بييفونطانا، الجزائر، 1903، ص26.

الأمريكية ، التي اقلعت من مارسيليا في مارس من قبل بحارة الجزائر، ناصحا إياه باتخاذ الحكمة والحذر في مثل هذه المواقف".[50]

وبعد شهرين من الرسالة، "نشرت الصحف الأمريكية الصادرة في ماي 1785، رسالة من داي الجزائر يطلب فيها الجزية *(Tribute)* من الولايات المتحدة الامريكية: "مائة ألف باوند كأموال وثلاثين ألف باوند كمعدات عسكرية، وأربعين فتاة جميلة وعفيفة، لا تقل أعمارهم عن 12 سنة ولا تزيد عن 18 سنة، من والدين شريفين... وحسب الداي فإن انفصال الأمريكيين عن أسيادهم الإنجليز، يفرض عليهم أن يدفعوا لحماية سفنهم، المرتحلة على طول الطرق التجارية في البحر المتوسط، وإذا فشل الأمريكيون في دفع "جزية" مرضية فإن الداي سيسمح لبحارته بالانقضاض على سفنهم".[51]

وفعلا فقد كانت التوقعات السالفة في محلّها؛ ذلك عندما تمكن بحارة جزائريون، سنة 1785 من أسر سفينتين أمريكيتين مع طاقميهما، ماريا والدولفين، وطالبوا بدفع فدية لإطلاق سراح الأسرى، فلم يكن أمام الولايات المتحدة الأمريكية خيار سوى أن تدفع المال؛ خاصة وأنها لم تكن تملك القوة البحرية الكافية لمحاربة الجزائريين. وقد عيّن كل من توماس جيفرسون، جون أدامس وبنجامين فرانكلين وكلاء لهم في أوربا، أملا في الحصول على معاهدات سلام.[52]

---

[50] The diplomatic correspondence of the American Revolution : being the letters of Benjamin Franklin, Silas Deane, John Adams, John Jay, Arthur Lee, William Lee, Ralph Izard, Francis Dana... concerning the foreign relations of the United States during the whole Revolution : together with the letters in. 1829-1830, Edited by Jared Spark, Vol 04, Boston: Nathan Hale, Gray, Brown, 1829, p.95-96.

[51] David J. Dzurec, “An Entertaining Narrative of . . . Cruel and Barbarous Treatment" Captivity, Narrative, and debate in The Early American Republic 1775-1816, Ohio State University: The Degree Doctor of Philosophy, 2008, p.43.

[52] Meyers, Stacy, “Emancipation from that Degrading Yoke”: Thomas Jefferson, William Eaton and “Barbary Piracy” from 1784 to 1805, University of New Orleans: degree of Master of Arts in History 2011, p.3.

وعين سنة 1785 جون لامب *(John Lamb)*، الذي مارس التجارة بمدينة الجزائر؛ لكنه لم يكن يعرف سوى اللغة الإنجليزية، وكان يظهر أنه غير كفء لمثل هذه المهمة. فأدامس وجيفرسون لم يثقوا في قدراته، ولهذا أرسلوا معه السيد راندل *(Randall)*، وقدمت له تعليمات صارمة بضرورة مراسلتهم في حالة حدوث طارئ. وصل لامب الجزائر في 25 مارس 1786، وكانت له ثلاث لقاءات مع الباي محمد بن عثمان باشا.[53]

كانت الرحلة فاشلة، ذلك أن لامب لم يكن رجلا ديبلوماسيا؛ بل كان سوقي السلوك والمعاملة كما يصفه البعض، ويفتقر لمواصفات الرجل الديبلوماسي وطرق الحوار والحديث أمام الملوك وحكام الدول، ليعود إلى أمريكا وقد فشل في مساعيه للحصول على معاهدة أمريكية مع الجزائر.

وأكد وكيل البحرية الجزائرية للقبطان الأمريكي ريتشارد أوبريان (أحد قادة البحرية الأمريكية تم أسره من قبل الجزائريين) "أنه يأمل من الولايات المتحدة، إذا أرادت أن تعقد معاهدة مع الجزائر، أن ترسل شخصا يمكنه الحديث باللغة الاسبانية والإيطالية؛ فهو يستهزئ كثيرا من إرسال رجل لا أحد يفهم ما يقول".[54]

وصرح توماس جيفرسون أمام الكونغرس الأمريكي سنة 1786، بالشهادة التي قدمها له السفير المغربي بلندن سيدي الحاج عبد الرحمن، قائلا: "ذلك موجود في قوانين نبيهم ومكتوب في قرآنهم، أن كل الأمم التي لا تعترف بسلطتهم تعتبر مذنبة، وذلك حقهم وواجب عليهم إعلان الحرب ضدها (الدول المسيحية) أينما التقوا بها، وكل الذين يأخذونهم كأسرى لابد أن يصبحوا عبيدا، وكل مسلم يموت في المعركة طبعا سيذهب إلى الجنة".[55]

---

[53] Allen, Gardner W., Our Navy and the Barbary Corsairs, New York: Houghton Mifflin Co., 1905, p.312.

[54] Eugene Schuyler, op.cit, p.206.

[55] Clive Cussler, Jack du Brul, Corsair, A Novel of Oregon Files, New-York: Brillm 1998, p.3.

وخلال نفس السنة قرر الكونغرس الأمريكي، تخصيص 80 ألف دولار، لعقد معاهدات سلام مع دول المغرب الاسلامي[56]، لكن مبلغا كهذا لم يكن يكفي حتى لعقد معاهدة سلام مع دولة واحدة من دول المغرب الاسلامي؛ فما بالك مع أربعة دول مجتمعة، خاصة مع ارتفاع قيمة المعاهدات الموقعة بين الجزائر والدول الأوربية. "ففي سنة 1788، جدد الفرنسيون معاهدة السلم مع الجزائر، مقابل أن تدفع 200.000 دولار سنويا، إضافة إلى هدايا ضخمة تمنح كل عشر سنوات كما جرت الأعراف، أما اسبانيا فقد كلّفها السلم مع الجزائر من ثلاثة إلى خمسة ملايين دولار إسباني؛ ذلك ما يجلعنا نؤمن بأن السبب الذي دفع بريطانيا لأن تدفع ضريبة تقدر بـ 280.000 دولار، هو محاولة ابقاء مركزها كأميرة للبحار، خاصة وأن انجلترا كانت الدولة الوحيدة القادرة على تدمير منطقة المغرب الاسلامي لكن عكس ذلك جعلتها سوطا على تجارة الدول الأوربية الاخرى".[57]وما زاد من تأزم الموقف الأمريكي توصل الجزائريين إلى نقطة اتفاق مع البرتغاليين فجأة سنة 1793؛ انتهت بتوقيع السلم بين الجانبين لمدة سنة واحدة، وبتدخل القنصل الانجليزي في الجزائر، تفرض سحب القوات البرتغالية المحاصرة لمضيق جبل طارق، وتسمح للسفن الجزائرية بالدخول إلى المحيط الأطلسي.[58]فالعديد من الرسائل الواردة إلى أمريكا من لشبونة تؤكد أن السلم أو المعاهدة الجزائرية البرتغالية تمت بتدخل انجليزي.

وكنتيجة لهذه المعاهدة تمكن الجزائريون في أكتوبر ونوفمبر من نفس السنة، من أخذ 11 سفينة أمريكية[59]، تحمل 109 رجل، وبعد هذه الأحداث قرّر المجلس المدريدي واللّشبوني،

---

[56] Thomas Woodward, "The Costs of State–Sponsored Terrorism: The Example of the Barbary Pirates", National Tax Journal, Vol. 57, N°.03, September 2004, p.601.

[57] Eugene Schuyler, American Diplomacy and Furtherance of Commerce, New-York: Charles Scribner's Sons, 1895, p.195.

[58] Allen, Gardner W., op.cit, p.13.

[59] جاءت السفن الامريكية المحتجزة على الشكل التالي: 8 أكتوبر: إستولى الجزائريون على ثلاثة سفن هي توماس، الأمل ومركب برقيات شراعي، 11 أكتوبر: سفينة جورج وأولايف برانش، جاين، 12 أكتوبر: قارب جاي، 18 أكتوبر:

حماية تجارتهما مع الولايات المتحدة الأمريكية في المحيط الاطلسي؛ وهذا بإرسال مواكب بحرية لمرافقة السفن الأمريكية.[60]

إثر هذه الأحداث أصبح من الضروري على الأمريكيين، التوصل إلى نقطة اتفاق مع الجزائر تضمن لهم حرية الملاحة البحرية في المتوسط والمحيط الأطلسي؛ فالتجارة الأمريكية قد تضررت كثيرا من جراء هجمات البحارة الجزائريين؛ فالاستيلاء على أحد عشر سفينة كان يعني الكثير بالنسبة لتجارة نامية كالتجارة الأمريكية.

حصل هامفريز *(Hamphreys)* على رخصة من الداي، في أكتوبر 1794، تتيح له القدوم إلى الجزائر من أجل التفاوض على معاهدة سلام لصالح الولايات المتحدة الامريكية، بنفس البنود التي عقدها الهولنديون مع الجزائر. "لكن وفاة أربعين أسيرا أمريكا، خلال السبعة أشهر الأولى لسنة 1794، دفع هامفريز لتغيير رأيه والعودة إلى أمريكا، أواخر هذه السنة للتشاور مع الحكومة".[61] وفي رسالة غير مؤرخة من الداي إلى هامفريز، توضح تأثير هذا القرار على الداي: " اعتقد (الداي) أن الولايات المتحدة الأمريكية عبثت معي؛ كما فعل مبعوثها السابق جون لامب سنة 1786".[62]

وأصدرت في أمريكا أوامر جديدة في 28 مارس و4 أفريل، لعودة هامفريز إلى الجزائر ، وأرفق معه جوزيف دونالدسون لمساعدته في إجراء المفاوضات، مع تعليمات بإشراك أخ

سفينة مينيرفا من فلاديلفيا بالقرب من جبل طارق من طرف شباك جزائري ذات 20 مدفعا، 23 أكتوبر: سفينة الرئيس من فلاديلفيا بالقرب من قادس، وآخر سفينتين هما: سفينة بولي و سفينة مينيرفا من نيويورك. ينظر: Allen, Gardner W., op.cit., p.16.

[60] Allen Gardner W., op.cit, p.16.

[61] Frank. E Ross, The Mission of Joseph Donaldson, JR, to Algiers, 1795-97, p.422-423.

[62] Fatima Maameri, Ottoman Algeria in Western Diplomatic History with Particular Emphasis on Relations with the United States of America, 1776-1816, the Faculty of Letters and Languages: A Thesis for the Degree of Doctorat d’Etat, 2008, p.311.

القنصل السويدي في الجزائر ب. أ. سكجولدبراند *Skjoldbrand*، رغم الرفض الذي أبداه هامفريز؛ كما اقترحت الحكومة أن يذهب هامفريز إلى فرنسا طلبا للمساعدة".[63] وقد بقيت هذه البعثة في أليكانت *Alicante*، انتظارا لدعوة الداي لدخول مدينة الجزائر[64]، في الوقت الذي ذهب فيه هامفريز إلى فرنسا، أملا في الحصول على ضمانات من الحكومة الفرنسية، لمساعدة الولايات المتحدة الأمريكية في توقيع معاهدة سلام مع دول شمال إفريقيا "وفي جويلية تمكن بمساعدة جيمس مونرو من الحصول على ضمانات من الحكومة الفرنسية ".[65]

لم يكن التوصل إلى توقيع المعاهدة مرهقا جدا، فبعد وصول دونالدسون إلى الجزائر في 3 سبتمبر 1795، يومين بعد هذا التاريخ وبالضبط يوم 5 سبتمبر تم توقيع المعاهدة الجزائرية الامريكية.[66]

وقد جاءت المعاهدة لتسوي نفس النقاط، التي عالجتها معاهدات الدول الأوربية الأخرى، والتي تنحصر في مجملها حول الأمن البحري؛ حيث أن كلا من سفن الأمتين لها حق المرور دون مضايقات، وكل المسافرين والممتلكات ، التي تكون على ظهر السفن الخاصة بإحدى الأمتين، يجب أن لا تنتهك وأن يسمح لها بالمرور دون مضايقات. وأن للسفن الحربية الجزائرية الحق في تفتيش السفن التجارية الأمريكية، شرط أن يرسل الجزائريون شخصين إلى سطح السفينة الأمريكية، وبعد مقارنة جواز سفرها يسمح لها بالمغادرة مباشرة.[67] ومن

[63] Frank. E Ross, op.cit., p.423.

[64] Fatima Maameri, op.cit., p.312.

[65] State Papers and Publick Documents of the United States, 2nd Ed, Vol 10, Boston: 1817, p.448-49.

[66] Eugene Schuyler, op.cit., p.213.

[67] Charles I. Bevans, Treaties and other International Agreements of the United States of America, 1776-1949, Vol. 5, Washington: U.S Government Printing Office, 1970, p.32-37.

خلال هذه البنود، نلحظ مدى تشابهها مع بنود المعاهدات البريطانية الجزائرية السابقة فالكثير من هذه البنود تكاد تكون مستنسخة.

وكان اجمالي مبلغ توقيع المعاهدة 992.463.25 دولار؛ ذلك أنها تضم 642.000 دولار دفعت في الجزائر إلى الداي وضباطه وسماسرته، وفرقاطة ذات 36 مدفع، تبنى وتجهز في الولايات المتحدة الأمريكية؛ كما أنها ملزمة أن تدفع 21.600 دولار كتجهيزات عسكرية كلَّ سنة، 20.000 دولار عند تعيين قنصل أمريكي جديد، هدايا تقدم كلَّ سنتيْن لموظفي الحكومة تقدر بـ 17.000 دولار، إضافة إلى هدايا مستمرة لضباط الداي وموظفي الدولة المهمّين.[68] وفي أواخر شهر نوفمبر من نفس السنة، وافق هامفريز على بنود المعاهدة الجزائرية الأمريكية، وفي مارس 1796 صادق الكونغرس على المعاهدة.[69]

ج– تصاعد النشاط البحري الجزائري 1795–1815:

لقد شهدت الفترة الممتدة بين سنتي 1790-1815؛ بروزًا لبحارة أكفاء يتصدرهم الرايس حميدو (ذو الأصول الجزائرية)، استطاعوا أن يلعبوا دورا كبيرا في دعم الاقتصاد الجزائري وتعزيز دور البحرية الجزائرية في المتوسط، والاستبيان التالي يوضِّح مدى أهمية الغنائم البحرية في الاقتصاد الجزائري بين سنتي 1798-1815:[70]

«نسبة العائدات البحرية في الاقتصاد الجزائري 1798–1815»

السنوات	إجمالي المداخيل	العائدات البحرية	نسبة المداخيل البحرية في الاقتصاد الجزائري
1798-1799	3.370.000 فرنك	870.000 فرنك	% 25.8

[68] Eugene Schuyler, op.cit., p.214.

[69] راي أورين، العلاقات الديبلوماسية بين دول المغرب والولايات المتحدة 1776-1816، الجزائر، ش.و.ن.ت، 1978 ص108.

[70] Daniel Panzac, Barbary Corsairs, The End of a Legend 1800-1820, Tr. Victoria Hobson, LEIDEN: Brill, 2005, p.131.

1802-1800	2.770.000 فرنك	270.000 فرنك	% 9.7
1810-1804	2.625.000 فرنك	125.000 فرنك	% 4.8
1815-1811	3.125.000 فرنك	625.000 فرنك	% 20

ولهذا فما يمكننا أن نستشفه من هذا الجدول، أن الغارات البحرية كانت تمثل جزءا كبيرا من مداخيل الدولة؛ رغم انخفاضها لأدنى مستوياتها خلال العشر سنوات الأولى من القرن التاسع عشر، ويرجع هذا للثورات التي ضربت الجزائر أوائل القرن: كثورة ابن الأحرش وثورة الدرقاوي والاضطرابات التي مسّت بايلك التيطري؛ يضاف إلى هذا المجاعة التي اصابت المنطقة، وكان مفعولها كبيرا؛ خاصة على منطقة قسنطينة 1804-1805، وتلا هذه المجاعة توتر في العلاقات الجزائرية التونسية، انتجت حربا بين الدولتين، استنزفت طاقة البلد؛ خاصة وأن الدولة أصبحت تولي اهتمامها بدعم سلطتها داخليا. أما الفترة الممتدة بين سنتي 1811-1815، فقد شهدت انتعاشا في العائدات البحرية وصلت إلى 20%، ويمكن أن نرجع ذلك لتجدد الحرب على أمريكا والبرتغال واستهداف السفن اليونانية، التي تكون في الغالب محملة بمواد ثمينة.

ونشط خلال هذه الفترة بحارة ذات كفاءة عالية؛ تمكنوا من أن يجعلوا من أنفسهم رموزا في المدينة، "وهذه حالة لستة قباطنة جزائريين: أحمد الحداد، اشترك في أسر 11 سفينة بين سنتي 1798-1815؛ النعمان، الذي ظهر اسمه سنة 1797، واستمر نشاطه حتى سنة 1815، حمدان كان في البداية قائدا بتونس 1797-1798، قبل أن ينضم إلى الجزائر أين كان موجودا بها حتى سنة 1812، الرايس صالح، ظهر سنة 1802 وهو واحد من الرياس القلائل، الذي استمر نشاطه حتّى بعد فاجعة 1816، وحسب سجل الغنائم حتى سنة 1818؛ وأما آخر قبطانين، فقد اشتغلا حوالي 20 سنة وأحيانا أكثر، كحالة الحاج سليمان، الذي نشط

بين سنتي 1788-1812، وأكثر هؤلاء الرياس نشاطا وشهرة، هو الرايس حميدو".[71] وظهرت غنائم الريس حميدو أول مرة في التشريفات، سنة 1795، وهذا عندما أسر 12 أمريكيا، وهي سنة متقدمة عن ظهوره أول مرة في سجل الغنائم والتي كانت سنة 1797.

والجدول التالي يوضح قيمة الغنائم التي أخذها الرايس حميدو بين سنتي 1797-1811 حسب سجل الغنائم:[72]

«قيمة الغنائم التي أخذها الريس حميد 1797–1811»

السنة	قيمة الغنائم (الفرنك)	السنة	قيمة الغنائم (الفرنك)
1797	493.522	1804	64.365
1798	598.837	1805	83.295
1799	55.864	1806	224.242
1800	131.568	1807	36.919
1802	35.982	1808	92464
1803	43.187	1810	171.347
1811	173.256	1814	1.661.006
1812	1.702.208	--	--

[71] Daniel Panzac, op.cit, p.64.

[72] Devoulx (Albert): Le registre des prises maritimes, Traduction d'un document authentique et inédit concernant le partage des captures amenées par les corsaires algériens, Alger, 1872, p.11-100.

عند التدقيق في الجدول سنجد الاختلاف في قيمة العائدات، فتارة ترتفع وفي أخرى تنخفض، ولهذا فإن العديد من قيمة هذه الغنائم، كانت تأتي نتيجة قيمة الغنائم نفسها، ونوعية السلع التي تحملها هذه السفن المحتجزة، فمثلا في سنة 1812، غنيمة يونانية واحدة (4 سفن) قدرت عائداتها بـ 1.620.252 فرنك. ولهذا فمن الصعب أن نربط عائدات الغنائم بوقائع معينة؛ فالصدفة كانت تلعب دورا كبيرا في تحديد أهمية الغنائم.

ورغم التطور الذي عرفته البحرية خلال هذه الفترة، إلا أنها لم تكن تعني شيئا مع دول أوربية أخرى؛ وحتى نوعية السفن كانت تعتبر بدائية مقارنة مع السفن الإنجليزية والفرنسية؛ فكلّ الأسطول الجزائري كان يمكن هزمه باستخدام سفينة عالية واحدة ***Ship of Line***.[73]

ولهذا نلحظ أن داي الجزائر، كان يعمل على إبقاء العلاقات الطيبة مع انجلترا وفرنسا حتى وإن كلّفه ذلك خسارة علاقته مع الباب العالي. "ومن خلال مقارنة بسيطة سنجد أن انجلترا وحدها، كانت تملك من السفن العالية سنة 1801، 23 سفينة، 99 مدفع وأكثر، 9 سفن، 80-84؛ 67 سفينة، 74؛ 24 سفينة، 64؛ 11سفينة، 50-56؛ هذا وأنتج الفرنسيون خلال نفس السنة أربعة سفن عالية ذات 110-118 مدفعا".[74] وقد كانت هذه السفن؛ وخاصة البريطانية منها، مصممة لتبقى مدة زمنية أطول في الماء، وتحت أي طقس،[75] بحيث تسطيع القيام بعمليات حصار طويلة.

وبعد تدهور العلاقة الفرنسية مع الباب العالي، طلب السلطان من داي الجزائر مهاجمة السفن الفرنسية المتواجدة في البحر المتوسط. لكن الداي لم يعمل بهذه الأوامر؛ بل بالعكس

---

[73] كان هذا النوع من السفن مكلفا جدا؛ ففي سنة 1793، كلّف الإنجليز بناء سفينة عالية واحدة، 74 مدفع 50.000 دولار استرليني (40 مليون جنيه استرليني خلال عصرنا الحالي). أنظر: Angus Konstam, Tony Brayn, British Napoleonic War, Ship of Line, U.K: Osprey Publisshing, 2001, p.06.

[74] Jonathan R. Dull, op.cit., p.161.

[75] Angus Konstam, Tony Brayn, op.cit., p.09.

فقد هاجم الجزائريون السفن اليونانية، التي كانت تحت الحماية العثمانية. وفي رسالة من الداي مصطفى إلى بونابارت، يطلب فيها المحافظة على السلم بين البلدين، وضرورة تحذير الجزائر في حال اكتشف الفرنسيون قدوم الأسطول العثماني إلى الجزائر، ويختم الداي رسالته بقوله: "غير أن هذا الكلام يجب أن يبقى سرا بيننا، ولا يطلع عليه خاصة السفلة من الرجال الذين هم عندك؛ وإلاّ عرّضتم أنفسكم إلى شرور وعداوة عامة، من الجهة العثمانية ومن جهتنا وأنتم في غنى عن ذلك".[76] وفشل الباب العالي في تسوية الخلاف الحاصل بين الجزائر وتونس، وأكثر من هذا "فإن الداي الحاج علي قام بقصف سفينة المبعوث العثماني، الذي أرسله السلطان لتسوية الخلاف بين الطرفين".[77]

3- نهاية الإيالة 1815-1830

استمر استقرار العلاقات الجزائرية الأمريكية حتى سنة 1812، وهذا عندما قام الداي برفع طلبات جديدة تخص الضريبة السنوية التي تدفعها الولايات المتحدة الأمريكية للجزائر، نظرا للنمو الذي عرفه الاقتصاد الأمريكي في البحر المتوسط؛ نتيجة صادراتها نحو أوربا، مستغلا موقفها الضعيف، بسبب الحرب مع بريطانيا، "واستطاع بحارة الجزائر سنة 1812 من الاستيلاء على سفينة تعود لسالم *SALEM*، واسترقاق طاقمها ؛ ورغم تدخل القنصل الامريكي في تونس نوح *Noah*، بعرض 3000 دولار لشراء حرية الطاقم، إلا أنه قوبل بالرفض، وأكثر من هذا فقد أعلن الجزائريون الحرب ضد الولايات المتحدة".[78]

[76] أوجان بلانتيت، مراسلات دايات الجزائر إلى ملوك ووزراء فرنسا 1700-1833، تر. ججيك إلياس، سلامنية بن داوود، ج3، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، 2014، ص176-177.

[77] Temimi Abdeljelil, "Documents turcs inédits sur le bombardement d'Alger en 1816", Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, N°5, 1968, p.113.

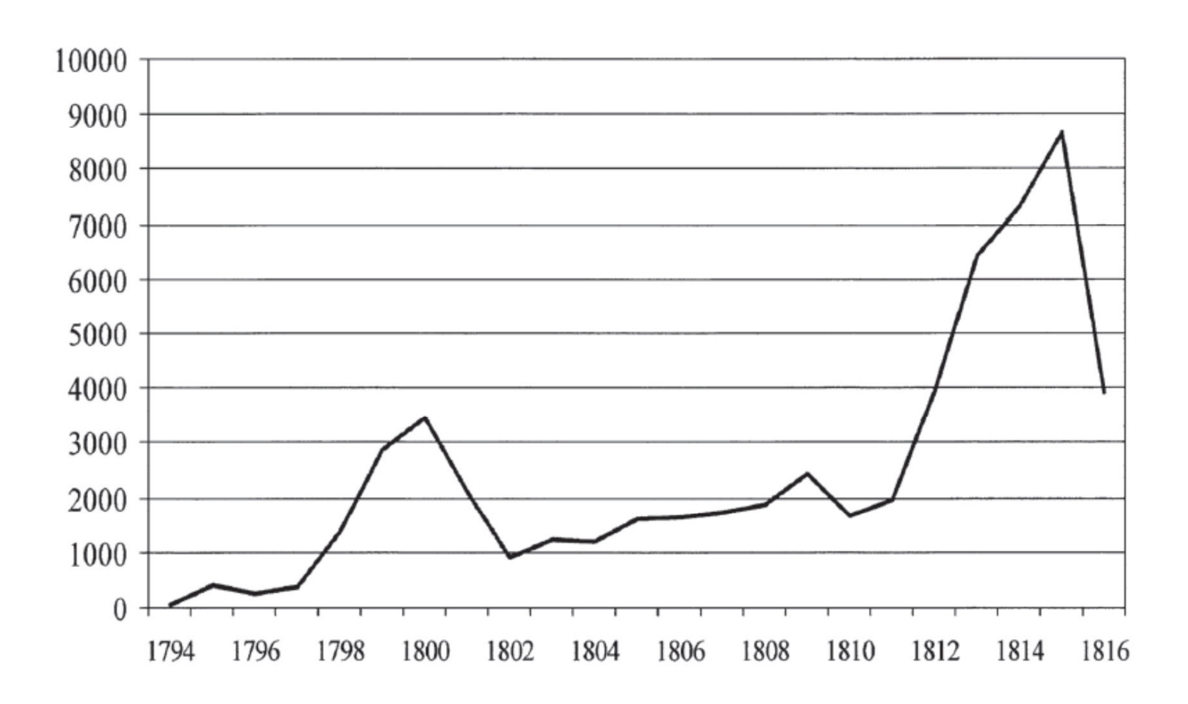
[78] Benguetaf A/Hafid, "The Barbary Treaties between the USA and Algiers (1795–1816)", Revue Ossour, N°17-18, Jun-December, 2010, p.293-294.

أ– الحرب الأمريكية الجزائرية 1812–1815:

قبل نهاية الحرب الأمريكية البريطانية بقليل، كان بإمكان الولايات المتحدة أن تولي اهتمامها بالجزائر؛ ففي 23 فيفري 1815، قام الرئيس ماديسون بإرسال رسالة إلى الكونغرس، يطلب فيها إعلان الحرب ضد الجزائر، بعدها مباشرة مرّر الكونغرس مرسوما صودق عليه في 02 مارس يعلن الحرب ضدّ الجزائر.

وشهدت النفقات البحرية الأمريكية، تزايدا ملحوظا بين سنتي 1812-1815، نظرا للحرب الأمريكية البريطانية، ومن ثم الحرب الأمريكية الجزائرية 1815، ويوضح المنحنى البياني التالي النفقات الأمريكية البحرية بين سنتي 1794-1816:[79]





العملة: الدولار الأمريكي

[79] Thomas Woodward, "The Costs of State–Sponsored Terrorism: The Example of the Barbary Pirates", National Tax Journal, Vol. 57, N°. 3, September 2004, p.609.

وجّهت معاهدة غانت 1815، والتي أنهت الحرب الأمريكية البريطانية، ضربة موجعة للاقتصاد الأمريكي؛ لكنّها في المقابل منحتها قوة بحرية، تستطيع الاعتماد عليها في حروبها البحرية القادمة. وتكوّن الأسطول الأمريكي الموجّه ضد الجزائر من السفن التالية: أنديباندنس، 74؛ غاريار، 44؛ المقدونية، 38؛ الكونغرس وكونستلايشن 36، إيري؛ أوتاريو وإبريغيي، 18؛ شيبواي 16؛ فلامبو وسبارك، 12؛ سبيتفايروتوش، 10؛ لينيكس، 24. أي 44 سفينة في المجمل، تحمل 400 مدفع.[80]

وفي رسالة خاصّة من لشبونة، مؤرخة بتاريخ "2 ماي 1815، تؤكد نزول القائد البحري الجزائري الريس حميدو إلى البحر، مع أسطول مكوّن من 4 فرقاطات، 6 حراقات، سفينتين ذات صاريين، شباك واحد، مركب شراعي، غاليه واحد، و40 سفينة حاملة مدافع، و11 قاذفة؛ في المجمل 66 سفينة، تحمل 463 مدفع، وعلى ظهرها 4745 رجل؛ هدفها التعرض للسفن الأمريكية.[81] يبدو أنّ الرقم فيه نوع من المبالغة أو عدم التدقيق في العدد، كون أسطول كهذا لا يخرج في العادة إلى البحر مجتمعا.

أقلع الأسطول الأمريكي باتجاه البحر المتوسط، تحت إمرة ستيفن ديكاتور وويليام باينبرايدج، في 18 ماي 1815. يحمل على متنه وليام شالر كقنصل أمريكي جديد بالجزائر.[82] وأعطي الوكلاء تعليمات بضرورة التوصل إلى سلم مشرّف دون استخدام العنف ومعاهدة تقضي بتحرير الأسرى، وتخليص الولايات المتحدة الولايات المتحدة الأمريكية من الضريبة. في المقابل تدفع الولايات المتحدة طوعا مبالغ مالية؛ كتلك التي تدفعها بريطانيا

[80] Paris M. Davis, An Authentic History of the Late War between the United States and Great Britain, With a Full Account of every Battle, by Sea and Land…, New-York: Ebenezeer F. Baker, 1836, p.323.

[81] Paris M. Davis, op.cit, p.322.

[82] Fatima Maameri, op.cit, p.364.

وفرنسا قابلة للاستمرار، ومن بين الهدايا التي حملت سيف للداي، ضُمِنَ في لندن بمبلغ 5000 دولار.[83]

وصل الأسطول الأمريكي سواحل طنجة في 15 جوان 1815، وأعلم أن ثلاث فرقاطات جزائرية، وسفن أخرى تحت قيادة الريس حميدو، توجد بالقرب من السواحل الاسبانية بين ملقة وقرطاجنة.[84] يومين بعدها التقى القائد ديكاتور مع سفينة الريس حميدو (المشهودة)، 46؛ واقترب منها ما مكّن رماة البندقية الجزائريين من جرح العديد من الأمريكيين... وكان الريس حميدو منتصبا وسط السفينة يعطي الأوامر؛ لكن قنبلة (19 كلغ) من سفينة الغاريار، قسمته إلى نصفين.[85] وخلفه كقائد للسفينة أحمد ولد عمر، وبعد أن توفي الكثير من الجزائريين وجرح آخرون، تمكن الأمريكيون من الصعود إلى السفينة الجزائرية؛ وإخطار بحارتها بوفاة قائدهم، ما جعلهم يستسلمون.[86] وكانت الخسارة الجزائرية كبيرة؛ علما أن السفينة كانت تحمل 500 بحار جزائري، في حين فقد الأمريكيون أربعة رجال.[87] وفي 19 جوان التقى الأمريكيون مع سفينة أمريكية أخرى، تدعى "استيديو"، 22 وبعد اشتباك عنيف بين الطرفين، تم أسر السفينة بعد فرارها نحو المياه الضحلة.[88] وكلا السفينتين وجهتا نحو قرطاجنة الإسبانية كغنائم حرب.

وفي رسالة مؤرخة بتاريخ 20 جوان 1815 إلى أمانة الولايات المتحدة، عبّر القائد ديكاتور فيها عن سعادته لأسر السفينة الجزائرية استوديو: "لديّ الشرف أن أخبرك، أنه

[83] Roy F. Nichols, op.cit, p.115.

[84] Daniel Panzac, op.cit, p.270.

[85] Gregory Fremont-Barnes, The wars of the Barbary pirates, to the Shores of Tripoli: The Rise of the U.S Navy and Marines, Oxford: Osprey Publishing, 2006, p.270.

[86] الشريف الزهار، مصدر سابق، ص118.

[87] Paris M. Davis, op.cit, p.324.

[88] Fatima Maameri, op.cit, p.364.

بتاريخ 19 جوان، بالقرب من رأس بالوس ، تمكنت سريّة بحرية كانت تحت قيادتي، من الاستيلاء على سفينة جزائرية، 22؛ وتحمل 180 بحار، وجد على ظهرها 23 قتيلا... دون خسائر من جانبنا".[89]

وصل الأسطول الأمريكي قبالة السواحل الجزائرية، 29 جوان، ورفع العلم الأبيض على الغاريار كإعلان على الرغبة في التفاوض. بعدها بقليل قدم قارب يحمل القنصل السويدي نوردارلينغ *(Norderling)*، ومعه قبطان الميناء، "وبعد أن أعلم القبطان عن الكارثة التي حلت بالأسطول، قدمت له رسالة من المندوبين الأمريكيين، تؤكد أنه: لا معاهدة تفرض دفع ضريبة، وتحت أي شكل من الأشكال".[90]إضافة إلى اطلاق سراح الأمريكيين الموجودين في الجزائر، ودفع تعويض قدره عشرة آلاف دولار على السفينة "إيدوين" التي أسرها الجزائريون، وغيرها من الممتلكات الأمريكية التي أخذت في المدينة.[91]

إن مثل هذه الشروط كانت تعتبر مخزية، وكان من الممكن أن يرفضها الداي؛ لكن الوضع الراهن يفرض عليه أن يوافق عليها، فالجزائر لم تكن تملك أسطولا يحميها، فهو لا يزال موجودا في البحر، وحتى وإن عاد سيقع في قبضة الأمريكيين؛ ما دفع الجزائريين إلى العمل على تسريع عمليات المفاوضة. ورغم أنّ الداي طلب مهلة ثلاث ساعات للتفكير

---

[89] Paris M. Davis, op.cit, p.326.

[90] Samuel F. Holbrook, Threescore Years: An Autobiography, Containing Incidents of Voyages and Travels, Including Six Years in a Man-Of-War Details of the War Between The United States And The Algerine Government, Bombardment of Algiers By Lord Exmouth, and its Subjugation by the French. Also, Two Years in California a Visit to The Crimea During The Bombardment and Capture of Sebastopol, Journey Through Asia Minor, Syria, p.alestine and Egypt, Boston: James French and Company, 1857, p.116.

[91] راي أورين، مرجع سابق، ص249.

إلا أن الأمريكيين أجابوه: "ولا دقيقة، إذا ظهر أسطولكم قبل توقيع المعاهدة وإطلاق سراح الأسرى الأمريكان؛ فإننا سنستولي عليه".[92]

وفعلا فقد تمّ توقيع المعاهدة في الآجال المحددة، بعد التوسط الذي قام به القنصل السويدي، وفي نفس اليوم عيّن شالر كقنصل أمريكي في الجزائر، وتم استعادة كل الممتلكات الأمريكية التي أخذت في الجزائر، وقدمت تعويضات تقدر بـ 10.000 دولار عن أسر سفينة إيدوين وحمولتها... ومن جانبه وافق ديكاتور على إعادة السفينتين الجزائريتين كحسن نيّة.[93]كما احتوت المادة الثانية تحرير جميع الأسرى الأمريكان المتواجدين في الجزائر، والبالغ عددهم عشرة أو أقل؛ وفي المقابل يقوم الأمريكيون بتحرير جميع الأسرى الجزائريين المتواجدين في حوزتهم، والبالغ عددهم حوالي 500 أسير، دون دفع أي مبالغ لتحريرهم.[94]

ب– الحملة الانجليزية على الجزائر 1816:

خلّفت الحملة الانجليزية على الجزائر، كمّا هائلا من الكتابات في المجتمع الانجليزي، وأصبحت تدخل في إطار التاريخ الفلكلوري الانجليزي، ولا يوجد عمل إنجليزي ألف حول منطقة المغرب الاسلامي خلال الفترة الحديثة؛ لم يتطرق للحملة الإنجليزية على الجزائر سنة 1816.

أنتج مؤتمر فيينا المنعقد أواخر 1814 وأوائل 1815، توحّد الدول الأوربية وتجاوز خلافاتها الأيديولوجية، على أن يعم السّلام أوربا مائة سنة القادمة. وفي المقابل طرحت قضية العبودية المسيحية في العالم الاسلامي.

أُعطي اللّورد إكسموث قائد الأسطول الانجليزي في البحر المتوسط، مسؤولية تنظيم حملة بحرية في ربيع 1816 (الحملة الأولى)، لزيارة الجزائر، تونس، طرابلس، وعرض قرارات

[92] Eugene Schuyler, op.cit, p.222.

[93] Ibid, p.223.

[94] Charles I. Bevans, op.cit, p.45-46.

مؤتمر فيينا وإبلاغ قادتها بضرورة احترامها. وأقلع الأسطول من ليفورن في 4 مارس ووصل مدينة الجزائر في 01 أفريل 1816.[95]

وبعد مفاوضات تلقت الجزائر 24.000 دولار من نابولي، ومجموعة الهدايا الاعتيادية كتلك التي تقدمها البرتغال، في حين يتم إطلاق سراح الأسرى الصقليين مقابل 1000 دولار عن كل أسير، وتم تحرير 357 أسير صقلي من أصل 1000 أسير، وأرسلوا إلى نابولي في سفينة إنجليزية. كما عيّن القنصل الانجليزي للعمل كممثل لصقلية، وجلبت أموال الفدية الخاصة بصقلية في سفينة كريستينا، وفي 30 جويلية 1816، قدّمت سردينيا للداي 364.000 دولار إسباني... وتمّ تحرير 40 أسيرا سرديني مقابل 600 دولار اسباني عن كل أسير، ويتم معاملتهم من الآن كمواطنين بريطانيين، وأرسلت أسراها إلى جنوة في سفينة كاليبسو ***(Calypso)***، التي عادت ومعها أموال الفدية.[96] إضافة إلى تحرير 33 مالطي وسكان جبل طارق الذين يعتبرون مواطنين بريطانيين، دون أي فدية. وبعد هذا التاريخ يطلق سراح أي مسيحي دون أية فدية؛ وبهذا وقعت المعاهدة بتاريخ 03 أفريل.[97]

أما عن سبب الحملة الانجليزية الثانية ضد الجزائر؛ فيذكر سلامي ***(Salamé)*** (المترجم الشخصي للورد إكسموث): "رغم توقيع هذا الاتفاق؛ إلا أن الحكومة الجزائرية، قامت بخرق المعاهدة عن طريق مجزرة شنيعة ضد عدد من الصيّادين الفقراء، الذين قدموا من السواحل الأوربية لصيد المرجان بعنابة، وقد كان هؤلاء الأشخاص تحت الحماية البريطانية".[98] إضافة إلى أن الجزائريين قاموا باحتجاز القنصل الانجليزي، وبعض البحارة على الساحل الجزائري.

---

[95] Daniel Panzac, op.cit, p.273.

[96] Playfair, E. L, op.cit, p.253-254.

[97] Daniel Panzac, op.cit, p.273.

[98] Abraham Salamé, Narrative of the Expedition to Algiers in the Year 1810, Under the Command of the Right Box Admiral Lord Viscount Exmouth, London: John Murhay, Albemarle-Street, 1819, p.2.

وبعد وقت قصير كانت الأخبار قد عمّت إنجلترا، وتعالت الاصوات المطالبة بالردّ بقوة وعنف، دون انتظار نتائج المفاوضات. وصل الأسطول الانجليزي جبل طارق في 09 أوت أين وجد في انتظاره الأسطول الهولندي المكوّن من خمسة سفن، تحت قيادة البارون فون دو دي كابلان، بعد أن اقترح عليه لتنسيق بين الطرفين.[99]

وتكون الأسطول **الانجليزي** من: السفينة الملكية شارلوت، 110 ؛ أمبريسغنابل، 96 ؛ سيبارب، 74 ؛ ميدن، 74 ؛ ألبيون 74 ليندر، 50 ؛ سيفارت، 40 ، غلاسكو، 40؛ غرانيكيس، 36؛ هيرون؛ 18؛ برومينتوس 18؛ كورديليا، 10؛ بريتومارت، 10؛ السريعة، 08؛ فالموت، 08، قاذفات قنابل: بيلزاب فيوري، إيديم، هيكلا، أنفيرنال. أما الأسطول **الهولندي** فقد تكوّن من: ميلاميس، 44 فويديريكا، 44؛ داغيراد، 30؛ ديانا، 44؛ أمتمال، 44، إيندراغت، 18.[100]

ومن المصادر الجزائرية النادرة التي أشارت للحملة الإنجليزية على الجزائر؛ عبد الرحمن التنلاني في رحلته: "فلما كان يوم الأحد نزلت سفن عدو الله؛ بدر الإنجليز قرب مدينة الجزائر (08 شوال 1231 هـ/01 سبتمبر 1816) وهي أربعون سفينة، وكل سفينة فيها مائة مدفع كبير، كل مدفع عمارته قنطار بارود... وفي ضحى صبيحة الثلاثاء بدلّوا جميع أعلام سفنهم وجعلوها بيضا".[101]

وكانت الجزائر محمية بتحصينات مكونة من 500 مدفع، ثمانين ذات 24 و32 رطل وبعضها الآخر ثقيلة العيار. إضافة إلى قوة بحرية تتكون من: 9 سفن كبيرة، وأربعين قاربا

[99] Edward Osler, Esq., The Life of Admiral Viscount Exmouth, London: Smith, Elder And Co., Cornhill, 1835, p.317.

[100] Jackson. G. A, Algiers: Being a Complete Picture of the Barbary States; their Government, Laws, Religion, and Natural Productions; and Containing a Short of their Various Revolutions, a Description of the Domestic Manners and Customs of the Moors, Arabs and Turks, London: Printed by R. Edwards, 1817, p.302.

[101] رحلة الشيخ سيدي عبد الرحمن التنلاني (ت.1233هـ)، مخطوط أ (1244هـ)، خزانة قصر با عبد الله، أدرار.

مدفعيا.[102] إن قوة بحرية بهذا العدد لم تكن تعني شيئا بالنسبة لقوة بحرية كإنجلترا؛ ففي الوقت الذي استطاع فيه الانجليز امتلاك سفن ذات قوة تدمير هائلة، كانت الجزائر لا تزال تعتمد على سفن القرون السابقة؛ كسفن أساسية مثل: الفرقاطة والطراد *(Corvette)*.

وأرسل عمر باشا رسالة إلى السلطان العثماني، بتاريخ 5 رجب 01/1231 جوان 1816 يعلمه فيها عن استعداد السلطة التركية للدفاع عن أهل الجزائر المسلمين، والتضحية بالأنفس عنهم إن اقتضى الأمر.[103]

ووصل الأسطول المتحالف أمام السواحل الجزائرية، يوم 27 أوت مساءا، وكلف المترجم سلامي، بنقل رسالتين واحدة للداي والأخرى للقنصل الانجليزي، وضمّت الرسالة الموجهة للداي التعليمات التالية:" إلغاء الرق المسيحي نهائيا، وإطلاق سراح جميع الأسرى المسيحيين المتواجدين بمملكة الجزائر. إعادة كل الأموال التي دفعت عن افتداء أسرى الصقليتين (نابولي وصقلية) وسردينيا اللّتان تعتبران خاضعتين للنفوذ البريطاني؛ كما تقوم الجزائر بعقد السلام مع الهولنديين، وتطلق سراح القنصل البريطاني، وطاقم القاربين البريطانيين المحتجز في المدينة".[104]

ويذكر سلامي أنه حوالي الساعة الحادية عشرة صباحا، وصل قاربهم أمام الساحل الجزائري، أين أرسل الداي قاربا لاستقبالهم، بقيادة رئيس الميناء، وبعد وصوله سأله سلامي عن السبب الذي دفع الجزائريين لأسر القاربين الانجليزيين، اللذان كانا يحملان 80 بحارا؛ لكن الأدميرال لم يجب... ثم قدّم له سلامي رسالتين وأعلمه أن الردّ يكون في غضون ساعة؛ لكن الأدميرال أجابه: "إن هذا أمر مستحيل"، الأمر الذي جعل سلامي يقول "سننتظر هنا

---

[102] Dreadnought H.M.S., The Royal Navy, London: Adam And Charles Black, 1907 p.203.

[103] الرصيد العثماني، خط هاميون، رقم 22486، بتاريخ 1231.

[104] Abraham Salamé, op.cit, p.21.

على القارب ساعتين أو ثلاثة". لكن بعد أن تجاوز الوقت بساعة ونصف اقترب الأسطول البريطاني من الساحل أكثر؛ وقام سلامي بتقديم تقرير إلى اللورد إكسموث؛ الذي ردّ عليه:" لا يهم سنرى الآن". وأعطى أوامره بالاستعداد لإطلاق النار. وفي هذه الأثناء قامت مدفعية التحصينات الشرقية، بإطلاق النار ضد سفينتي السبارب والألبيون؛ فأعطى اللورد تعليماته بالقصف. لقد كان القصف الأول مروّعا، حيث خلف 500 بين جريح وقتيل جزائري.[105]

ويصف مسلم بن عبد القادر المعركة؛ فيقول: "إلى أن جازوا رماية المدافع أظهروا الشرّ، وأسرعوا إلى السفن فحرقوها... وهي سفن المسلمين، وشرعوا في إطلاق المدافع على البلد، وكان ذلك وقت العصر، فلم ينفصل الضرب من بعضه بعضا... إلى ان كملت عشر ساعات؛ فبطل الضرب... تواتر الخبر على أن الانجليز أطلقوا على الجزائر أربعين ألف مدفع".[106]

وأبدى الجزائريون شراسة كبيرة في مقاومة الانجليز؛ خاصة مع الوسائل البدائية المستخدمة، حتى أنّ اللورد إكسموث أكد:" لم أرى في حياتي أعداء أشداء، وحازمين مثل الجزائريين".[107]

وخلفت المعركة حسب رسالة اللورد إكسموث، بين 6000 إلى 7000 قتيل وجريح[108]، أما الخسائر المادية الجزائرية فقدرت بما يربو: 1.015.625 جنيه إسترليني[109].وفقد الانجليز 128 قتيلا و690 جريح؛ أما الهولنديون فقد فقدوا 30 قتيلا و52 جريحا.[110]

---

[105] Abraham Salamé, op.cit, p.21.

[106] مسلم بن عبد القادر، أنيس الغريب والمسافر، تح. رابح بونار، ش. و. ن.ت، الجزائر، 1974، ص108-109.

[107] Moulay Belhamissi, Marine et Marins d'Alger (1518-1830), Face à l'Europe, T2, Alger: Bibliothèque nationale D'Algérie, 1996, p.72.

[108] Playfair, E. L, op.cit, p.269.

[109] Ibid, p.177.

[110] Edward Osler, Esq., op.cit, p.331.

وبانتهاء المعركة لم يكن للجزائريين أي قوة لمجابهة الإنجليز؛ حتى أن رئيس البحر الجزائري لم يجد سفينة ليبدأ المفاوضات مع الانجليز، وقد جاءت المعاهدة مذلة جدا على الجزائريين:[111]

- إلغاء الرق المسيحي إلى الأبد.

- إطلاق سراح جميع العبيد المتواجدين تحت سيطرة الداي، ومن أي جنسية كانوا، قبل ظهيرة يوم غد.

- إعادة جميع الأموال التي أخذت عن فدية العبيد، منذ بداية هذه السنة وهذا قبل ظهيرة يوم غد.

- يتم تعويض القنصل البريطاني عن كلّ الأضرار (الممتلكات)، التي لحقت به نتيجة احتجازه.

- يقوم الداي بإعلان اعتذار عام، بحضور وزراءه وقادته، ويطلب الاعتذار من القنصل الانجليزي، وفقا للشروط التي يحددها قبطان سفينة الملكة شارلوت.

وتنكّر الباب العالي للمعاهدة الموقعة بين إنجلترا والجزائر؛ ففي رسالة مؤرخة بتاريخ 1816، أعلن السلطان صراحة أن الجزائر حرّة في توقيع الاتفاقيات الخارجية؛ باستثناء المعاهدات مع النمسا وروسيا.[112]

ويذكر سلامي قصّة طريفة عن أحد السحرة، الذي قدم إلى الجزائر، وقال للداي أنّ "الكفار" قادمون مع عدد هائل من السفن، وسيحتلون الجزائر، ويدمرون تحصيناتها وبحريتها، وأن الدماء ستسقط كالماء في الشوارع، وطلب من الداي أن يقدم له إحدى زوجات وزراءه

[111] Edward Osler, Esq., op.cit, p.333-334.

[112] Yusuf Sariny, Osmanli belgeleride Cezayir, Ankara, Osmanlı Arşivi Daire Başkanlığı, 2010, p.124.

أو على الأقل بعض الدولارات الخضراء الموجودة في الخزينة الجزائرية. فأمر الداي الغاضب بقطع رأسه؛ لكن أحد الوزراء طلب منه احتجازه في السجن، ليروا مدى صدق نبوته... وبعد النجاح الذي عرفته الحملة قامت الجماهير بإخراجه من السجن، واعتبروه مرابطا *(Saint)*، وبنوا له مزارا خاصا به. وأن العديد من سكان المناطق الداخلية للجزائر كانوا فخورين بالانتصار الانجليزي؛ حتى أنهم اعتقدوا أن الانجليز استولوا على المملكة وسينقذونهم من ظلم الأتراك.[113]

ج- نهاية الإيالة الجزائرية 1817-1830:

شهدت سنة 1815 نهاية الحروب الأوربية الكبرى، وبداية التخطيط لاقتسام التركة العثمانية في العالم القديم، وقد تزامن هذا مع الانهيار الكلّي للجزائر؛ نتيجة الارهاق الذي تعرضت له بسبب الثورات والمجاعة التي ضربت المدينة سنة 1815، نظرا لاجتياح الجراد للمحاصيل الزراعية.

لم تعد مداخيل الغارات البحرية، تعني شيئا بالنسبة للاقتصاد الجزائري؛ والحقيقة أن الغنائم بعد سنة 1816، لم تعد تكفي حتى للقيام بالنفقات البسيطة التي تتطلبها عمليات "القرصنة"، وكان نحو 3000 بحار يعملون في الجزائر، ويتقاضون شهريا أربعة بوجو؛ أي حوالي تسعة فرنكات.[114] ويعتبر بلايفر أن الاقتصاد الجزائري تافه جدا ليكون مصدرا للدخل؛ فكلّ سنة كان يشهد انهيارا؛ وحتى الضرائب المجموعة من المناطق الداخلية لم تكن معلومة، وعند محاولة جمعها بالطرق العنيفة، تحدث الثورات التي كانت تستمر بعنف؛ ولهذا كانت هذه العائدات تنفذ تدريجيا... وبهذا أصبح ملحوظا أن النفقات فاقت المداخيل بكثير.[115]

---

[113] Abraham Salamé, op.cit., p.174, 178.

[114] المنور مروش، مرجع سابق، ص482.

[115] Playfair, E. L, op.cit., p.279-280.

ورغم كل المشاكل التي لحقت بمدينة الجزائر؛ نتيجة لحملتي 1815، 1816؛ "إلاّ أن الدول الأوربية الصغيرة؛ كالدنمارك، السويد، البرتغال، ونابولي، استمرت في دفع الاتاوات إلى الجزائر حتى سنة 1827.[116] وحتى الغارات البحرية لم تتوقف؛ رغم الانذارات المقدمة. لكنها لم تكن تعني شيئا بالمقارنة مع السابق، والجدول التالي يقدم لنا قائمة بالغنائم التي أخذها الجزائريون خلال الفترة الممتدة بين سنتي 1817-1827 (حسب سجل الغنائم):[117]

«قيمة الغنائم المأخوذة 1817–1827 حسب سجل الغنائم»

السنة	قيمة الغنائم	عدد السفن المأسورة
1817	--	4 سفن
1818	90.810 فرنك	4 سفن
1819	--	--
1820	131.213 فرنك	سلع تونسية
1821	--	--
1822	--	--
1823	--	--
1824	87.670 فرنك	--
1825	--	--

[116] James A. Wombwell, The Long War Against Piracy: Historical Trends, Kansas, Combat Studies Institute Press, 1956, p.74.

[117] Devoulx Albert, Le registre des prises maritimes…, op.cit., p.102-110.

1826	104.103 فرنك	7سفن اسبانية
1827	95.291 فرنك	سفينتين فرنسيتين

إن التدقيق في الجدول، يجعلنا نلاحظ مدى التدني الذي وصلت إليه الغنائم البحرية الجزائرية؛ ففي سنوات 1821، 1822، 1823، 1825، لم يسجل السجل أيّ غنيمة، وعند القيام بمقارنة بسيطة، سنجد أنّ العشر سنوات التي سبقت سنة 1817، شهدت عائدات بحرية قدرت بـ 6.770.375 فرنك، ورغم أن هذه السنوات تعتبر شحيحة بالمقارنة مع العائدات البحرية السابقة؛ إلا أنها فاقت عائدات سنتي 1817-1827؛ والتي قدرت بـ 509.087 فرنك؛ أي أكثر من 13 مرة.

ويبدو واضحا تأثير الحملتين الأمريكية والانجليزية على الجزائر، حيث لم تعد قادرة على تسليح وتجهيز الأسطول؛ فالعديد من هذه التجهيزات كانت تأتي من دول أوربية؛ لكن مثل هذه الأمور لم تعد موجودة بعد الآن.

ولم تمر فترة طويلة حتى اجتمعت الدول الأوربية مرة أخرى في مؤتمر إكس لاشابيل، الذي انعقد في سبتمبر 1818، وأوكلت مهمة إخطار الايالات الثلاثة بضرورة وقف "القرصنة" ضد السفن الأوربية في البحر المتوسط. "وفي سبتمبر 1819 وصل القائدين الفرنسي جيريان والانجليزي فريمنتل، وقدّما اشعارا للقوى العظمى بضرورة وقف هذه الأعمال، والعمل على تطوير التجارة بين الضفتين، وأن تقدم ضمانات خطيّة بوقف هذه الممارسات". [118]

ورغم أن مؤتمر إكس لاشابيل المنعقد في ألمانيا سنة 1818، جاء لتأكيد مقترحات مؤتمر فيينا وإنهاء الرق؛ إلاّ أنه لم يحقق أهدافه المرجوة، كون الرّق الأوربي استمر في الكثير من

[118] أوجان بلانتيت، مصدر سابق، ص266-269.

الدول المسيحية، وبعضها استمر موجودا بها حتى أواسط القرن العشرين، حيث لم يتم التخلي عنه بشكل نهائي. لم يكن مؤتمر إكس لاشابيل ليؤثر على العلاقات الفرنسية الجزائرية، ففي "أفريل 1822 راسل الدوق دومنتورسي وزير الخارجية الفرنسية، الداي يطلب منه العمل على توطيد العلاقات بين الطرفين.[119] وحتى العلاقات الانجليزية الجزائرية لم تشهد توترا إلاّ سنة 1823؛ "عندما ثارت القبائل المحيطة بجبال بجاية ضد السلطة العثمانية، في أكتوبر من نفس السنة، وقتل العديد من الأتراك ؛ لعل أبرزهم المفتي الحنفي الذي أخذ أسيرا"[120]، وكانت المنطقة الممول الرئيسي للمدينة بعمال المنازل؛ الذين كانوا يتمركزون بشكل أساسي عند القناصل.

وراسل الداي كل قناصل الدول الأجنبية، يسألهم تسليم سكان هاته المناطق باعتبارهم ثوارا لكن القنصل الانجليزي والأمريكي رفضا تسليم أي من سكان منطقة القبائل، متحججين "بحقوق الانسان"؛ أما القنصل الفرنسي فبعد اجتماعه مع "وزير البحرية"، عاد لبيته وجمع كلّ العمال (القبائل)، ودفع أجرتهم ثم طردهم، بحضور الترجمان (المترجم) والحراس. أما القنصل الهولندي فبعد سماعه عن الأحداث التي جرت، جمع عمّاله وخيّرهم بين البقاء تحت حمايته أو الهرب والبحث عن مكان آمن.[121]

وفي مساء يوم 25 أكتوبر قامت قوات بحرية جزائرية، باقتحام بستان القنصل الانجليزي ومطالبته بتسليم سكان القبائل الموجودين لديه. وكان القنصل الانجليزي ماكدونال قد قام بوضع الختم الرسمي على بابه ووضع فوقه الراية الانجليزية. لكن بعد قرار من الباشا، تم كسر

---

[119] أوجان بلانتيت، مصدر سابق، ص271.

[120] وليام شالر، مذكرات شالر، قنصل أمريكا في الجزائر (1816-1824)، تر. إسماعيل العربي، ش. و. ن. ت الجزائر، ص293.

[121] Playfair, E. L, op.cit, p.189.

الخاتم واقتحام المنزل.[122]وفي جانفي 1824 أرسل الانجليز إلى الجزائر، القائد روبيرت كافونديش سبنسر، على متن السفينة نياد، 46؛ والكابتن جيمس ريدر بارتون، على متن السفينة كاميليون، 12؛ وبعد وصولهما الميناء وجدا سفينتين اسبانيتين، كان قد أسرهما الجزائريون، ورغم أنّ الانجليز طالبوا بإطلاق سراح السفينتين؛ إلاّ أن الجزائريين رفضوا ذلك، في حين حمل القنصل الانجليزي وعائلته على ظهر البارجة الانجليزية.[123]

ورغم التسهيلات التي عمد إليها الجزائريون، للوصول إلى اتفاق يرضي الطرفين؛ إلاّ أن الانجليز، أصرّوا على الحرب؛ ففي رسالة من الداي حسين إلى السلطان العثماني، ذكر فيها أن الانجليز يعمدون إلى القوة؛ كلّما حدثت مناوشات صغيرة بين الطرفين، ويأتون بأسطولهم أمام المدينة لتخويف الجزائريين؛ لكن بعد اجتماع الديوان تم رفض بعض المطالب القاسية التي حاول القنصل فرضها علينا.[124]

واشتبك مركب الرايس قدور باصون، 44؛ مع السفن الانجليزية، ورغم المقاومة التي أبداها طاقم السفينة؛ إلاّ أنها تحطمت، حيث وجدت السفينة محطمة على الساحل واستشهاد العديد من أفرادها.[125]

استمر الحصار الانجليزي حوالي ستة أشهر، تحت قيادة نائب الأدميرال هيراري بورارد نيول، وفي ماي 1824، تمكن الانجليز من تحطيم سفينة جزائرية على سواحل عنابة... وقرر

---

[122] Playfair, E. L, op.cit, p.189.

[123] William Laird Clowes, The royal Navy, A History From the Earliest Times to the Present, Vol.6, London: Sampson Low, Marston and Company, 1898, p.236.

[124] خط هاميون، رقم 22550، سنة 1240هـ.

[125] أحمد الشريف الزهار، مصدر سابق، ص152-153.

الأسطول الانجليزي الاجتماع وقصف مدينة الجزائر؛ لكن رغبة الداي في عقد معاهدة على الشروط الانجليزية حالت دون ذلك.[126]

إن اللبس الواقع في تحليل مثل هذه المعلومات، يعود بالأساس إلى طبيعة الوثائق المستخدمة والتي تكون في الغالب بلغات أجنبية؛ ما يجعل من الصعب تحديد الحقائق على ضوء هذه المعطيات المتوفرة. وإجمالا فإن الوجود البحري الجزائري في المتوسط، شهد تراجعا في المتوسط نتيجة الظروف التي كانت تشهدها أوربا؛ فالتطور العسكري الذي كانت تشهده الأخيرة، ساعد الدول الكبرى على تغيير الموازين لصالحها، ورافق هذا التطور نموا اقتصاديا كبيرا ساهم في دعم الصناعة، في الوقت الذي كانت فيه الجزائر تسير نحو الانهيار، نتيجة التخلف الذي كانت تشهده المنظومة الجزائرية إجمالا، وأيضا عدم القدرة على التجديد، نظرا للضعف الاقتصادي وعدم القدرة على دعم المشاريع.

[126] H.M.S. Dreadnought, op.cit., p.236-37.

الفصل الثالث

المصادر الاساسية للكتابة حول الأسرى الأوربيين بالجزائر

1- المذكرات

أ- أعمال الأسرى والرحالة الأوربيين بالجزائر

ب- مذكرات القناصل

2- الرسائل

أ- رسائل الأسرى

ب- الأطر الرسمية

حاولت في الفصل التالي تقديم المصادر الأساسية للبحث في موضوع الأسرى، ولأنني اعتمدت على بيبليوغرافيا إنجليزية بنسبة كبيرة، سأحاول ذكر المصادر الانجليزية المهمة التي اهتمت بالأسرى في الجزائر، بدءا بالأعمال التي خلفها الأسرى أنفسهم وكذا التقارير ومذكرات القناصل ورسائلهم، ورسائل الأسرى التي وجهوها إلى ذويهم وإلى السلطة نفسها.

1- المذكرات:

أ- أعمال الأسرى والرحالة الأوربيين بالجزائر:

قليلة جدا هي الأعمال الإنجليزية التي تحدثت عن شمال إفريقيا قبل القرن السابع عشر، أقل بكثير من تلك المتعلقة بالدولة العثمانية، ككتابات موريسون *(Moryson)*[1] ساندرسون *(Sanderson)*[2] بيديلف *(Biddulph)*[3]، ليثغاو *(Lithgow)*[4]، باونت

---

[1] **موريسون فينيس**: (1566-1630)، رحالة وكاتب إنجليزي، إبن نبيل من لينكولنشاير توماس موريسون، عضو برلمان غريمسباي. بعد أن درس في كامبردج، حيث حصل على منحة *Followship* ببيترهاوس، قضى موريسون عديد السنين مرتحلا في القارة الأوربية، فلسطين، وآسيا الصغرى. وفي سنة 1617 نشر موريسون رواية عن رحلاته ومغامرته بآيرلندا، حيث كان شاهدا على ثورة أونييل *O'Neill*، في عمل ضخم عنونه ب"دليل الرّحالة *Itinerary*". توفي في 12 فيفري 1630. إن عمله "دليل الرحالة" كان مبرمجا أن يصدر في خمسة أجزاء؛ لكن نشرت منه ثلاثة فقط؛ أما الجزء الرابع فإنه محفوظ في مخطوط بمكتبة كلية كوربيس كريستي، أوكسفورد (نشر في سنة 1903). وجزء آخر من "دليل الرحالة" نشر سنة 1735، تحت عنوان: "تاريخ آيرلندا 1599-1603". إن عمل موريسون يعتبر ذا قيمة علمية عالية؛ باعتباره عملا طوغرافيا يحتاجه المؤرخون في معالجة التاريخ الأوربي والمشرقي. ينظر: *"Moryson fynis"*, The Encyclopædia Britannica, or, A Dictionary of Arts, Sciences, and Miscellaneous Literature; Enlarged And Improved, 4th Ed,Vol.29, Edinburgh: Printed By Andrew Bell, 1810.

[2] **ريتشارد ساندرسون**: (1587-1663)، ولد بروثرهام، تلقى تعليمه بمدرسة شيفيلد، ثم أرسل لكلية لينكولن، أكسفورد، أين أكمل دراسته، وانظم للمنظمات المقدسة. نقله جيمس الأول للعيش في لينكولنشاير. وفي عهد تشارلز الأول عين قسا رسميا، واعتبرت عضاته ناجحة ومؤثرة. لقد كان ساندرسون كاتب عضاة متميّز؛ لكنها جاءت مليئة

(Bount)[5] وآخرون، هذا الشح في مصادر المعلومات عن المغرب الإسلامي، يمكن أن نرجعه إلى اهتمام الكتاب الانجليز بالدولة العثمانية أكثر من اهتمامهم بمنطقة المغرب

بالأخطاء الاملائية. إن عمله حول المنطق "Logicae artis compendium" 1615، يعتبر بحثا قياسيا طويلا عن الموضوع *subject*. طبع العمل على الأقل عشر مرات خلال القرن 17، وشهد رواجا كبيرا. ينظر: Nathanial Spencer, The English Traveller, or a New Survey and Description of England and Wales…, London: Printed for J.Cooks, 1791.

[3] **وليام بيديلف**: واحد من أقدم الرهبان الذين عينتهم شركة المشرق لمساعدة التجار الانجليز في تأدية حاجاتهم الروحية بحلب؛ حيث قضى بها ثمان سنوات، وخلال فترة إقامته بحلب، سافر إلى فلسطين وتطفل على الحياة الخاصة لسكان استنبول. نشر بيديلف رواية عن حياته سنة 1609، عنونها بـ "رحلات بعض الانجليز" وأعيد طبعها سنة 1612. يعتبر عمله واحدا من أقدم الأعمال التي أشارت لاستهلاك القهوة في المشرق. إن اسم بيديلف ويليام لم يوجد في عائلة بيديلف. هناك احتمال ان يكون المدعو وليام بيدل *(William Biddle)* الموجود في قائمة أعضاء كلية بريسناوس، أوكسفورد؛ الذي تحصل على درجة الماستر منها سنة 1590؛ لكن لا يوجد دليل يثبت ذلك. ينظر: MacLean Gerald M., op.cit.

[4] **وليام ليثغاو**: (1582-1645)، رحالة وكاتب وجاسوس انجليزي، ولد بلانارك، جنوب لاناركشاير، زار قبل سنة 1610 شيتلاند، سويتلاند، وبوهيميا. وفي سنة 1610 زار فلسطين ومصر؛ وبين سنتي 1614-1616، زار تونس والمغرب، وفي سنة 1619-1621 زار اسبانيا أين عذّب بعد اتهامه بالجوسسة. Jhon william, A Short Biographical Dictionary of English Literrature,London: J.M Dent and Son,1910.

[5] **هنري بلونت**: (1602- 1682)، رحالة وكاتب إنجليزي، الابن الثالث لتوماس باوب بلونت (1552–1638)، من منطقة ستافوردشاير، تلقى تعليمه في مدرسة السانت ألبان فري وكلية التثليث بأكسفورد. تزوج هيسثر واين *(Hesther Wane)* سنة 1647 وأنجب منها سبعة أطفال. ارتحل بلونت في أوربا والمشرق، وترك لنا رواية عن رحلته عنونها بـ"رحلة إلى المشرق"، نشرت في لندن سنة 1634. منح لقب الفارس المبجل سنة 1639. خدم شارل الأول خلال الحرب الأهلية وكان حاضرا في معركة إيدغهيل؛ لكنه برِّأ فيما بعد من طرف البرلمان الانجليزي ثم خدم سنة 1655 في لجنة لدراسة الطرق المناسبة لتحسين التجارة والملاحة الخاصة بالكومنولث الانجليزي. عرف بلونت خلال صغره بطبيعته المشاكسة، التي تخلّى عنها خلال كبره؛ ويضيف مؤرخ العائلة: "لقد عرف بلونت أيضا خلال صغره بشربه المفرط للمشروبات الكحولية القوية". ينظر: Coote Charles Henry, "Blount Henry", Dictionary of National Biography, London: Smith, Elder & Co, 1886./ Gerald M. MacLean, op.cit.

الإسلامي خاصة وأن الشرق كان يعتبر دائما منطقة تجارية تستقطب إليها التجار الإنجليز ولهذا فإن أغلب المصادر الانجليزية التي تناولت الجزائر خلال القرن السادس عشر، هي أعمال تمّ ترجمتها عن لغات أوربية أخرى.[6]

تميز النصف الأول من القرن السادس عشر بأن أغلب المصادر المتوفرة عن الجزائر، كانت تكتب باللغة اللاتينية ثم تترجم إلى باقي اللغات الأوربية، "فذلك الكتيب اللاتيني الذي ألفه الفارس السير جون نيكولاس ديرون دو فيلغانيون (*St. John Nicholas Durand de Villegagnon)*[7]، أحد المشاركين في الحملة الاسبانية على الجزائر سنة 1541، والمعنون بـ *Carlo V Emperatoris Expeditio in Africam ad Algerian*، ترجم مباشرة إلى عديد اللغات الأوربية؛ أما الترجمة الإنجليزية فقد صدرت سنة

[6] Daniel J. Vitkus, p.iracy, Slavery, and Redemption…, op.cit, p.02.

[7] **نيكولاس ديروندي**: (1510-1571)، قائد فرسان مالطا، وفيما بعد قائد في البحرية الفرنسية، ولد بفاليغاينون فرنسا، ابن أخت الأستاذ الأعظم لمنظمة فرسان مالطا فليب فاليي دي ليسل أدم *(Philippe Villiers de L'Isle-Adam)*. أعظم إنجازاته مساعدته المستمرة لطائفة الهوغونوت على الهروب من الملاحقات التي طالتهم من طرف السلطة الفرنسية. يعتبر وجها شعبيا مشهورا في عصره، نيكولاس يمثل مزيجا بين الجندي، العالم، المستكشف المغامر ورجل الأعمال. قاتل نيكولاس في عديد الحروب ضد الدولة العثمانية؛ رغم أن فرنسا رفضت أن تكون طرفا في هذه الحروب، نتيجة للحلف الفرنسي العثماني؛ وكان مؤيدا لحروب منظمة مالطا والسلطة الهابسبورغية في اسبانيا ضد الدولة العثمانية. شارك في الحملة الاسبانية ضد الجزائر سنة 1541. وقاتل ضد الدولة العثمانية في هنغاريا سنة 1542، وبعدها في حصار بودا 1546؛ وكذا طرابلس الغرب 1551. ينظر: Patrick trans., The History of the Campagnes, 1548 and 1549, 1707./Jhon peter, A General Dictionary, Historical and Critical: in which a New and Accurante Translation of that of the Celebrated Mr.Bayle…, Vol08, London, 1739.

1542، عن الترجمة الفرنسية تحت عنوان:[8] "مرثية ورسالة حزن من الضروري على كل رجل مسيحي قراءتها..."[9].

لقد اعتمدت أغلب المصادر الانجليزية على النموذج الأوربي ومصادره خلال القرن السادس عشر، بحيث أن الكتاب الانجليز لم يقاوموا خيالهم المرهف، فأوجدوا المسارح دون أي مؤرخين أو أي احتمال ديني، مثل رسامي النهضة الذين صوّروا المسيح (عيسى عليه السلام) ورسله الحواريين بملابس ايطالية معاصرة وبأسلوب وموضع في الناصرية والبناء على الطريقة الفلورنسية، ونفس الشيء فعله الكتاب الانجليز الذين صوروا السكان المغاربة (شمال إفريقيا) بالزي الانجليزي الصناعي، بحيث أنه ولا أي فرد مغربي في الدراما الإليزابيثية يوحي بالانتماء للإسلام... فهؤلاء الكتاب الذين افتدوا من الأسر لم يكونوا موضوعيين؛ لأنهم كانوا دائما معاقين بأولئك الكارهين والحاقدين على الإسلام.[10]

لكن مع نهاية القرن السادس عشر وبداية القرن السابع عشر، أصبحت الشعوب البريطانية أكثر تفاعلا مع منطقة الشمال الافريقي، "ذلك أن العديد من البريطانيين قدموا إلى الجزائر كلاجئين أوائل القرن السابع عشر، واستطاعوا تأسيس لوبيٍّ قوي بها، وقبل بداية الهجرة الكبرى نحو أمريكا سنة 1620، كان عدد الانجليز المتواجدين بشمال إفريقيا، أكثر

---

[8] María Antonia Garcés, Cervantes in Algiers a Captive's Tale, Nashville: Vanderbilt University Press, 2002, p.25.

[9] عنوان الترجمة: "A lamentable and piteous Treatise verye necessary for everie Christen Manne to reade: wherin is contayned, not onely the high Entreprise and Valeauntness of th' Emperour Charles the V. and his Army (inhis Voyage made to the Towne or Argier [sic] in Affrique, agaynst the Turckes, the Enemyes of the Christen Fayth . . .) but also the myserable Chaunces of Wynde and Wether; with dyverse other Adversities, hable to move a stonye Hearte to bewayle the same, and to pray to God for his Ayde and Succor.

[10] Daniel. j. Vitkus, p.iracy, Slavery, and Redemption…, op.cit, p.07.

من أولئك المتواجدين بأمريكا". لكن من ناحية الأعمال المنتجة، أو فيما يخص المعلومات المتوفرة عن الاسلام بإنجلترا خلال القرن السادس عشر وبداية القرن السابع عشر؛ فيمكن أن نؤكد أن أغلبها كانت عبارة عن أعمال ترجمت عن لغات أوربية أخرى، تفاعلت شعوبها أكثر مع العالم الاسلامي.[11]

رغم أن التفاعل الانجليزي مع شمال افريقيا، كان أقل بكثير من ذلك التفاعل الفرنسي مع شمال إفريقيا، ذلك أن الكتاب الفرنسيين ألفوا عشرات الأعمال حول العالم الاسلامي خلال القرن السادس عشر؛ إلاّ أول رواية نشرت باللغة الفرنسية حول الأسرى عن العالم الاسلامي كانت سنة 1608، وتعود للأسير هنري دي ليسدام[12] *(Henri du Lisdam)* وهي سنة متأخرة جدا مقارنة بأول رواية إنجليزية تتعلق بالأسر في العالم الاسلامي، والتي كانت بين سنتي 1571-1577[13]، وجاءت في شكل رواية شعرية، تحكي كيف أن صبيا إنجليزيا رافق والده للقتال في صقلية سنة 1570، فتوفي الوالد وأسر الصبي الذي قضى سنة كاملة أسيرا لدى الاتراك؛ لكن تم تحريره في معركة ليبانتو سنة 1571، بعد هزيمة العثمانيين أمام الحلف المسيحي.[14]لكن بعض المصادر تشير إلى أن أول رواية إنجليزية نشرت حول العالم الإسلامي في إنجلترا تعود للأسير جون فوكس[15] *(Jhon Fox)* الذي أسر

---

[11] Daniel. j. Vitkus, p.iracy, Slavery, and Redemption…, op.cit, p.04.

[12]جاءت الرواية بعنوان: "L'Esclavage du brave Chevalier François de Vintemille"

[13] تعود الرواية التي جاءت على شكل قصيدة شعرية لصاحبها جورج غاكسواغن George Gascoigne، بعنوان: "A Device of a Mask for the Right Honorable Viscount Mountacute".

[14] Nabil Matar, (2001), "English Accounts of Captivity in North Africa and The Middle East: 1577-1625", Renaissance Quarterly, N°54, p.554.

[15] جاءت الرواية تحت عنوان: The Worthy Enterprise of John Fox, an Englishman, in Delivering 266 Christians out of the Captivity of the Turks at Alexandria, the 3rd of January, 1577.

بالإسكندرية سنة 1563؛ لغاية فراره سنة 1577.[16]أما آخرون فيرون بما أنها طبعت أول مرة سنة 1579؛ يجعلها ليست الأولى حسبهم.[17]

إن أول رحلة إنجليزية تفاعل صاحبها مع الجزائر، تعود للرحالة دالام[18] *(Dallam)*[19] سنة 1595 ويصف الرحالة وصوله أمام سواحل مدينة الجزائر؛ فيقول: "هذا اليوم هو آخر يوم من شهر مارس، لقد إنبهرنا بالربيع: فالأشجار مكسوة بالخضرة، الحبوب، القمح الشعير، وتفاح وبرتقال صغير على الأشجار". ويذكر أن المدينة تتميز بالضجيج. ويصف القرى المجاورة بقوله: "لقد التقينا بالجزائريين وأناسا آخرين يسوقون حميرا محملة بالفاصولياء".[20]

إن نموذج روايات ورحلات القرن السابع عشر حملت العديد من الوصف التضخيمي البراق لتهيئة الجمهور المستقبل. إن الكتابات بين القرن السابع عشر ونهاية القرن الثامن عشر

---

[16] Paul Baepler, White Slaves, African Masters: An Anthology of American Barbary Captivity Narratives, Chicago: Chicago university Press, 1999, p.6.

[17] Weiss Gillian, Captives and Corsairs, France and Slavery in early Modern Mediterranean, California: Stanford University Press, 2011, p.236.

[18] **توماس دالام**: (1570-1614)، رحالة وصانع ساعات الأرغن، تعتبر المعلومات حول صغره قليلة، ارتحل نحو القسطنطينية سنة 1595؛ حيث أوصل ساعة الأرغن للسلطان العثماني مراد الثالث. ونشرت يوميات رحلته سنة 1893. انتقل دالام إلى كامبردج 1605-1606، وصنع لكلية الملك ساعة أرغن. ينظر: "Thomas Dallam", The Encyclopædia Britannica, op.cit.

[19] يعتقد المؤرخ براندون باك أن الملكة إليزابيث الأولى هي من أرسلت دالام مع الهدايا، إلى السلطان محمد الثالث سنة 1595 بعد تعيينه على رأس السلطة. إن لغة مخطوط الرحلة صعبة جدا فالكاتب كان في المتوسط يقترف ثلاثة اخطاء في كل خمسة كلمات. مثلا: "the sight whereof did almost make to think that I was in a different world' for 'the sighte whearof did make me almoste to thinke that I was in anothere worlde"

[20] Gerald M. MacLean, op.cit, p.14-15.

ساموال بارشاس *(Samuel Purchas)*، بيار دان *(Pierre Dan)*، جون ويندوس *(John Windhus)*، وليام لومبراير *(William Lempriere)*، كررت بعضها الآخر كأنها تخاطب العديد من الأجيال بعرقية قاسية ونموذج كنسي تأريخي. تخرج ساموال بارشاس من جامعة كامبردج وانضم للمنظمات المقدسة (يقصد منظمات الفدية)، ولم تطأ قدماه شمال إفريقيا يوما؛ لكنه في كتابه "حج برشاس 1613" ...هاجم بعنف في الكتاب السادس منطقة شمال إفريقيا: "إن السكان الواقعين بتونس وطرابلس الغرب، وحوش، لصوص جهّال خائنون. نسائهم قبل الزواج، قد يعشن في فجور، حسب القائمة: فالأب يكره ابنته، والأخ يكره أخته. إن النوميديين خائنون، سفّاحون، ولصوص..." ونفس النظرة نجدها عند هوكلايت، والأب دان: "إن السكان البربر ينحدرون من سلالة [سيدنا] نوح، خائنون ووارثون لنعلة سيدنا نوح".[21]

إن أول رواية إنجليزية كتبت عن الجزائر، تعود للأسير توماس هاسليتون سنة 1595 فالأخير قضى فترة أسره في إسبانيا ثم الجزائر (1582-1595)، ونشرت روايته مرتين خلال سنة 1595.[22]

يُعتبر هاسلتون أول من طرح فكرة: "أن غارات البحارة المسلمين ضد الملاحة المسيحية، لم تكن نتيجة العنف الديني أو رغبة في الغنائم، وإنما جاءت رغبة في الانتقام من القراصنة المسيحيين"، حيث قال:" في العديد من المرات يجهز الاسبان سفنا صغيرة ويذهبون إلى سواحل شمال إفريقيا؛ وفي حالة إمساكهم بأي رجل من هذه الأمة، يجلبونه ليصبح عبدا على السفن الاسبانية؛ ولهذا اجتهد الجزائريون لملاحقتهم على أرضهم: وإذا

[21] Lotfi Ben Rejeb, Barbary's, "Character" in European Letters, 1514-1830: An Ideological Prelude to Colonization", Dialectical Anthropology, Vol.6, No.4, (June 1982) , p.346-347.

[22] Nabil Matar, Captivity Acounts…, op.cit, p.558.

سمحت لهم الفرصة وأخذوا مسيحيا فإنهم يستعملونه بطرق مرغوبة".[23] ويمكن أن نلحظ بأن هاسلتون وأبناء بلده الإنجليز، لم يخافوا المسلمين؛ كخوفهم من القرصنة والتعذيب الإسباني، باعتبار أن الانجليز أعداء الديانة الكاثوليكية.

إن عمل ريتشارد هوكلايت[24] *(Richard Hakluyt)* يمثل سابقة في الرحلات المجموعة. بعد أن عاد هوكلايت إلى إنجلترا سنة 1588 بدأ في تحرير عمله الضخم، الذي عنونه بـ"الرحلات الأساسية..."، وصدرت طبعته الأولى سنة 1589. وفي سنة 1599 ظهرت النسخة النهائية: "منقحة وضخمة في حوالي 03 مجلدات".

أسر جين بابتيست غراماي[25] *(Jean Baptiste Gramaye)* سنة 1619، وكتب يوميات أسره باللاتينية؛ حيث عنونها بـ "اليوميات ***Diarium***"[26]، وأُضيف لها ملحق بعنوان

---

[23] Nabil Matar, Captivity Acounts…, op.cit, p.558..

[24] **ريتشارد هوكلايت**: (1533-1616)، كاتب إنجليزي، يعتبر ريتشارد هوكلايت الابن الثاني للعائلة، ولد بإيتون هيرفوردشاير. يسمى والده أيضا ريتشارد هوكلايت، كان عضوا في شركة الشركة المبجّلة للدباغين والتي اختصت بتجارة الجلود والنسيج، توفي الوالد سنة 1557، وكان يبلغ حينها هوكلايت الابن خمس سنوات، وتبعته زوجته مارغاريت بعدها بقليل. ثم تبناه فيما بعد قريبه المدعو أيضا ريتشارد هوكلايت. تلقى تعليمه بمدرسة واستمينيستر وكنيسة المسيح وأكسفورد. وبين سنتي 1583-1583 عين كقس رسمي وسكرتيرا للسفير الانجليزي السير ستافورد إدوارد (Edward Stafford) بالبلاط الفرنسي. ينظر: *"Ritchard Hakluyt"*, The Encyclopædia Britannica…, op.cit./ David Harris Sacks, "Richard Hakluyt's Navigations in Time: History, Epic, and Empire" Modern Language Quarterly, vol.67, 2006.

[25] **جين بابتست غراماي**: (1579-1635)، ولد بليباك (ألمانيا)، يعتبر مؤرخا لجنوب هولندا. درس القانون وأصبح أستاذا بجامعة ليفن (هولندا)، واشتغل لاحقا كمؤرخ للأرشدوق ألبيرت السابع، وعند ارتحاله نحو شمال افريقيا تم أسره من قبل بحارة الجزائر 09 ماي-19 أكتوبر 1619، وبعد عودته نشر مذكراته حول فترة أسره بالجزائر؛ داعيا فيها لتحرير أبناء وطنه القابعين في الأسر. ينظر: Abd el Hadi Mansour, Alger 16^{e}-17^{e} Siécle, Journal de Jean Baptiste Gramaye <évêque d'Afrique>, Cerf, paris, 1998.

[26] Abd el Hadi Mansour, op.cit, p.7.

l'Africa illustratae libri decem, in quibus Barbaria, gentesque eius ut olim et nunc descributur، ونشر العمل سنة 1622.

تعتبر رواية جوزيف بيتس *(Josseph pitts)* إحدى أقدم الروايات، التي كتبها متحولون عن أسرهم ودخولهم في الاسلام، حيث أسر سنة 1678: "إن الجزائريين، رجالا ونساء، احتشدوا لرؤيتي لقد كانوا معجبين بي جدا، بسبب شعري الكتّاني (يميل إلى الأصفر)، وجلدي الأحمر. لقد سمعت البعض منهم يقول. أنظر: ما أجمله من خادم! وآخرون يقولون: لم أرى في حياتي نصرانيا. اعتقدت أنهم يشبهون الخنزير (قال البعض) لكنني أرى الآن أنهم بنوا آدم".[27]

وفي سنة 1675 نشر ويليام أوكلاي تجاربه كأسير في الجزائر، حيث أن أسلوب عمله يشبه إلى حد كبير أسلوب رواية الأسيرة راوندسون التي كانت بالمغرب. إن المتمعن في كتابات الأسرى، يرى أن أغلبهم عمد إلى إثبات مسيحيته وصبره على الاغراءات المستمرة التي تعرض لها من قبل المسلمين للتخلي عن دينه؛ ويؤكد بيبلر أنه:"مثل الأسرى المتزمتين *(Puritan)* في أمريكا؛ فإن أوكلاي ترجم أسره بالجزائر كامتحان رباني *(God's Trial)* وفسر محنه بالاستشهاد في الكثير من المرات بالكتاب المقدس".[28]باختصار؛ فإن روايات الأسرى كانت تشهد ازدهارا، في نفس الوقت الذي بدأت فيه القوى الأوربية بالتوسع واحتلال أمريكا.[29]

---

[27] Joseph Pitts, A True and Faithful Account of the Relegion and the Manner of the Mohamatans in which is a Particular Relation of their Pilgrimage to mecca, 1704 p.24.

[28] Paul Baepler, White Slaves…, op.cit, p.06.

[29] Ibid.

نشر توماس شاو[30] *(Thomas Shaw)* سنة 1735 رحلته بالجزائر، وكان قسا ملحقا بالقنصلية الإنجليزية بالجزائر؛ حيث أعطى لنا معلومات قيّمة عن مختلف المناطق الجزائرية، فوصف لنا بايلك الغرب والتيطري والشرق، ومدينة الجزائر. وترجم عمل توماس شاو لعديد اللغات، حيث أن البعض يعتبره أفضل عمل طوبوغرافي أنجز حول المنطقة.

ويقدم لنا شاو في الفصل الثالث من القسم الثاني من عمله، معلومات عن عادات وتقاليد الجزائريين، فيؤكد "أن المرأة في الاحتفالات الكبرى كانت تقوم بتقبيل يد زوجها، كنوع من الإطراء"[31]. وأن العرب يتميزون بثوراتهم ضد الأتراك، وطبيعتهم الاستقلالية. فهم يرفضون أي نوع من التبعية. كما قدم لنا معلومات قيمة حول الأسرى والسجون الخاصة بهم. ويعتبر شاو أحد كتاب عصر الأنوار؛ رغم أنه كان قسا ملحقا، إلا أن تكوينه العالي سمح له بالكتابة حول الموضوع، بنوع من العقلانية.

وفي سنة 1808 نشرت ماريا مارتين[32] *(Maria Martin)* روايتها، إحدى أهم الروايات النسائية التي ألفت عن المنطقة، فقد قضت الكاتبة خمس سنوات في تنس–ولاية

[30] **توماس شاو**: ولد 1692، وتحصل على شهادة الباكالوريا في الفنون سنة 1716، ثم على درجة الماستر في الفنون سنة 1719، واشتغل كقس في القنصلية بالجزائر، ويعتبر عمله ذات قيمة علمية كبيرة، وأحد أفضل المؤلفات الجغرافية حول شمال إفريقيا، وبعد عودته لإنجلترا أصبح دكتورا في اللاهوت سنة 1734، وفي نفس السنة اختير كعضو في الجمعية الملكية بلندن. ينظر: Shaw Thomas, Travels and Observations relating to several parts of Barbary and the Levant, 2nd Ed, Oxford.

[31] Shaw, Thomas, op.cit, p.427.

[32] **ماريا مارتين**: ولدت بإنجلترا، سنة 1779، من والدين محترمين وغنيين، في سنة 1797، تزوجت من الكابتن هنري مارتين، قائد إحدى السفن التابعة لشركة المشرق *The Levent Company*. كانت مولعة بالتجوال حول العالم، وأسرت من قبل بحارة الجزائر في المتوسط. ينظر: Maria Martin, History of the captivity and sufferings of Msr. Maria Martin, Boston, printed for W.Crary, 1807.

الشلف حاليا- بعد أن تحطمت سفينتهم على سواحل المدينة سنة 1800، فاقتيدت إليها كأسيرة، وبيعت لرجل روسي دخل الإسلام. وما يميز رواية مارتين أنها تطرقت للحياة اليومية للأسرى بمدينة تنس.

وما تذكره عن سكان المدينة: "إن أغلب سكان تنس ذوي جنسية جزائرية *(Moors)*، ربما يكون وصف العادات والتقاليد معا ممتعا للقارئ، فهم ذوو بشرة سمراء، كسلاء، ميالون للراحة، ويلعنون الجنس البشري بكل الأوصاف؛ شكاكون لدرجة كبيرة، كذابون، غيورون، وصورة شديدة للجهل".[33] إن مثل هذه النظرة لا تعتبر جديدة في كتابات الأسرى والرحالة الأوربيين بشكل عام.

إن المستعمرة الأمريكية، وفيما بعد الولايات المتحدة الأمريكية، ورثت قرون الصراع الأيديولوجي المسيحي-الاسلامي. إن المعركة، جاءت لتعكس بقوة صراعا اقتصاديا على التجارة وحقوق الملاحة؛ كانت تعرف فيما سبق بأروبا كصراع بين فرسان المسيحية والقراصنة المسلمين؛ بحيث أن كلا الطرفين أعطوا شرعية لاستعباد مواطني الطرف الآخر. استمر الكتاب الأمريكيون في دعم الدعاية ضد الاسلام والمسلمين؛ حيث استخدموا مصطلحات سابقة استخدمها الكتاب الأوربيون. في عضة ألقاها مثار كوتن *(Cotton Mather)*[34]

---

[33] Maria Martin, op.cit, p.49.

[34] **كوتن ماثر**: (1627-1727)، كاهن كنيسة بوسطن الشمالية القديمة، الابن الأكبر للكاهن الانجليزي المشهور إنكريز ماثر، وحفيد المنظرين الروحيين للمستعمرة ريتشارد ماثر وجون كوثن، ولد ماثر ببوسطن، ودرس بهارفرد، حصل على درجة الليسانس سنة 1678، ثم درجة الماستر 1681، وحصل على دكتوراه شرفية في علم اللاهوت من جامعة غلاسكو 1710. كان ماثر يؤمن بالسحر. في سنة 1688، حقق في التصرفات العنيفة لأربعة أطفال، لبناء *mason* من بوسطن يدعى جون غودوين *(John Goodwin)*؛ فالأطفال كانوا يبكون فجأة مع بعض على شكل أغنية. واستنتج في الأخير أن مشاكل الأطفال ناجمة عن سحر، مورس من قبل ساحرة آيرلندية تدعى ماري غلوفر *(Mary Glover)*. ينظر: "Mather Cotton", The Encyclopædia Britannica, op.cit.

حول عبودية الأمريكيين في شمال إفريقيا، وصف كوتن ملاك العبيد ب"وحوش إفريقيا" و"قوى الظلام" للتعبير عن همجية المسلمين. وجسد سكان المغرب في صورة شياطين غير إنسانية.[35]

تعود إحدى أقدم الروايات الأمريكية إلى براون أبراهام وجوشو قي، حيث أخذ براون أسيرا إلى المغرب سنة 1655؛ وقضى بها ثلاثة أشهر أسيرا ، وفي نفس الفترة أسرت ماري راولندسون، وبيع براون أبراهام في أسواق مدينة سلا المغربية، ونشرت روايته بعد 27 سنة من عودته إلى الديار؛ وقد ظل براون أبراهام يفتخر بكونه لم يتخلى عن مسيحيته ليصبح مسلما، وفورا بعد عودته إلى بوسطن تزوج من ابنة تاجر غني في المدينة... وما قدمته لنا رواية جوشو قي عن مغامرات أسره في الجزائر التي دامت ست سنوات، ورحلاته القاسية فوق سفن العبيد. ولعب القاضي الشهير وكاتب اليوميات ساموال سيول *(Samuel Sewall)* دورا مهما في الترتيب لافتدائه. واستمر ابن جوشو قي في العمل ككاهن في كنيسة بوستن الشمالية بجانب الكاهن كوتن ماثر، وقد كتب كوتن ماثر نفسه عضتين عن قسوة الأسر على الساحل المغربي تحت عنوان "العبودية الأكثر رعبا في العالم".[36]

بعد عودة جوشو قي من الجزائر سنة 1688 إلى أمريكا، ومن المدينة الألمانية، بنسلفانيا، كتبت جماعة الأصدقاء الكويكرز[37] أول عريضة احتجاج لهم ضد العبودية حيث

---

[35] Baepler Paul Michel, “The Barbary Captivity Narrative in American Culture”, Early American Literature, Volume 39, Number 2, 2004, p.219-220.

[36] Baepler, paul Michel, op.cit, p.218-219.

[37] **طائفة الكويكرز** أو الجمعية الدينية للأصدقاء، تعتبر طائفة منشقة عن البروتستانتية، تعود بداياتها لأواسط القرن السابع عشر، وانحدرت الطائفة من طائفة السيكرز أو الباحثون التي يعود تاريخ تأسيسها لسنة 1620، ويعتقد أن مؤسسيها هم الاخوة الثلاثة: والتر توماس بارثلومو وليغايت؛ أما البعض الآخر من أتباعها (الكويكرز) فقد انشق عن الكنيسة البروتستانتية. إن أتباع طائفة الكويكرز؛ خاصة طائفة الشجعان الستين (Valiant Sixty) منهم عملوا على تحويل أتباع الطوائف الأخرى لطريقتهم. فجابوا بريطانيا العظمى وأعالي البحار نحو أمريكا، وكان العديد من هؤلاء

ناشدوا "بالتبرع للعبيد المجودين في يد الأتراك"، وفرضوا تحرير كل العبيد السود الذين هم ملك لأتباعهم: "الآن، وعلى الرغم من أنهم سود، لا يمكن أن نفهم أننا أحرار في جعلهم عبيدا، مثلما يفعل البيض الآخرين؛ وهناك قول مأثور يذكرنا بأنه يجب أن نعامل الناس كما نحب أن نعامل أنفسنا، دون التفكير في اختلاف الجنس، الأصل أو اللون ".[38]

إن أندرهيل أحد أقدم الأسرى الأمريكان الذين اقتيدوا إلى الجزائر وذلك سنة 1788 حيث قضى بها ست سنوات أسيرا، أما روايته فهي أولى الروايات الأمريكية التي نشرت عن الجزائر بعد الاستقلال الأمريكي عن التاج البريطاني. وقد قدم لنا الكاتب فيها وصفا لطريقة أسره من قبل بحارة الجزائر، وجلبه إلى قصر الداي لاختيار أسراه كما جرت العادة، مع وصف لشخصية الداي حسن باشا (1790-1798)، والقصر وحراسه. وعملية شراءه من قبل سيده عبد الله؛ فوصف لنا طريقة تعامله مع أسراه، ومحاولة الكاتب الهروب ومعاقبته من قبل سيده. كما حدثنا عن لقائه مع أحد المتحوّلين للإسلام، وكذا مجادلته مع أحد العلماء المسلمين الذي حاول اقناعه بالدخول في الإسلام "إن جسدي مكبل بالعبودية؛ لكن كرامة عقلي تعيش في الحرية".[39]

إن رواية جون فوس عن العبودية في الجزائر لا تكاد تخلوا من كتاب؛ يتحدث عن المغرب الإسلامي خلال الفترة المتأخرة من التواجد العثماني بالمنطقة، فقد وصف لنا الأخير

الكهنة نساء. وقد إرتكزوا في رسالتهم على أن "المسيح جاء لتعليم أتباعه بنفسه"، وأن تكون الصلة بين العبد وربه مباشرة من خلال المسيح عليه السلام، أي التقليل من أهمية الكهنة والآباء وتجنيب الأتباع الاستغلال. ينظر: Bacon Margaret, Mothers of Feminism: The Story of Quakers Women in America, San Francisco: Harper and Row, 1986.

[38] Baepler, paul Michel, op.cit, p.231.

[39] Updike Underbill, The Algerine Captive; or, the life and adventures of Doctor Updike Underbill, six years a prisoner among the Algerines, 2Vol, Hartford: printed by Peter B. Gleason, Co, 1816, p.149.

الغذاء الذي كان الأسرى يتناولونه واللباس الذي قدم لهم فور وصولهم إلى المدينة، إضافة إلى العقوبات التي كان يتعرض لها الأسرى في حالة مخالفتهم للقانون، وقد أُخذ جون فوس بعد وصوله الجزائر إلى قصر الداي حيث قضى ثلاث سنوات مجدفا في السفن الجزائرية، إلى أن تم افتداؤه وبعض الأمريكيين الذي قضوا إحدى عشر سنة في الأسر. وفي سنة 1798 وبعد عودته إلى أمريكا كتب عن مغامراته بالجزائر، وفي روايته هذه توسل فوس لرجال الدولة بأن لا ينسوا "المعاناة، الحرمان، والعذاب الذي يقبع فيه الرعايا الأمريكان من جراء رعب "المسلمين البؤساء" في الجزائر".[40]

وفي سبتمبر 1729 أسرت فيليتا فييدرا من نابولي مع أخيها ؛ بعد تحطم سفينهم على سواحل وهران من قبل بعض "البدويين" كما سمتهم في عملها، ولم تذكر تعرضها للاغتصاب أو التعذيب، رغم أنها أشارت باستمرار إلى همجية الجزائريين:" إن البدويين يصنفون كأسوأ طبقة من العرب، وبهذا لم يكن لنا سبب لنتوقع منهم الرحمة".[41] إن كاتب العمل السابق يعتبر مجهولا؛ حيث أن الطبعات المعلومة ظهرت في الولايات المتحدة الأمريكية سنتي 1830، 1831، ولكن حسب بول بيبلر، فإن الطبعات التي ظهرت في الولايات المتحدة يمكن أن تكون الثالثة والرابعة.[42]

---

[40]Christine E. Sears, op.cit, p.3.

[41] Neapolitan Captives: Interesting Narrative of the Captivity and Sufferings of Miss Viletta Laranda, a Native of Naples, who, with a Brother, was passenger on Board a Neapolitan Vessel Wrecked Near Oran, on The Barbary Coast…, New York: Charles C.Henderson, 1830. Rare Book:C-6 S631A V.3 NO.25.

[42] Paul Miranda, op.cit, p.78.

استقطبت أعمال الأسرى الانجليز كمّاً هائلا من القراء في انجلترا، فعلى سبيل التمثيل لا الحصر، نذكر: رواية جون فوكس التي ظهرت 23 سنة بعد أن نشرت في عمل هوكلايت 1589، ورواية إدوارد واب ظهرت أربع مرات سنة 1600، أما توماس هاسليتون وفرانسيس نايت فقد ظهرت مرتين خلال العام الأول من نشرها، ويليام أوكلاي مرتين خلال سنتين. وطالبت الجماهير جوزيف بيتس بنشر روايته حول الأسر، بعد أن لاقى عمله حول القرصنة استحسانا كبيرا. إن الكثير من روايات الأسرى نشرت بعد إلحاح أصدقائهم، مثل رواية توماس سميث في الجزائر التي نشرت سنة 1672، وحتى توماس فالبس كتبها بعد أن طلب منه اصدقائه، وكذا رواية "مذكرة حول المغرب الإسلامي" لصاحبها جون وايتهيد إمتثالا لأوامر رئيسه "السيد هانس سلاون، دكتور الفيزياء". وكذا رواية توماس بالاو التي نشرت من قبل مجهول "نحن، *We*"، والذي كان يعتقد أنه سيمنح "متعة كبيرة للجمهور".[43] وبهذا نلحظ كم كان الانجليز تواقون للقراءة حول الإسلام، وإضافة إلى هذه الاعمال فإن عددا كبيرا من الكتابات ترجمت عن الفرنسية واللغات الأوربية الأخرى.

وعكس دول البحر المتوسط الساحلية التي شهدت ظهور كم هائل من الكتابات المتعلقة بالساحل المغربي؛ خلال القرن السادس عشر (كأعمال سيرفنتيس، هايدو وغيرهم) فإن المعلومات التي كانت تضمها دول شمال أوربا حول المنطقة، كانت أغلبها عبارة عن أعمال مترجمة من الفرنسية والاسبانية واللاتينية؛ فحتى العمل الشهير الذي يعود لصاحبه الهولندي سيمون دو فيريس، هو عبارة عن نقل لعمل الأب بيار دان، فالعنوان منقول عن كتاب الأب بيار دان: "تاريخ الدول البربرية وقراصنتها". وكذا إحصاء عدد الأسرى اعتمد

[43] Daniel. j. Vitkus, p.iracy, Slavery, and Redemption…, op.cit, p.3.

فيه الكاتب على الأب بيار دان، حيث ذكر أن 32 ألف أسير كانوا موجدين بالجزائر سنة 1621، وهو نفس العدد الذي قدمه لنا الأب بيار دان.[44]

شهدت كتابات أخرى رواجا كبيرا في الأراضي المنخفضة خلال الفترة الحديثة، فمثلا رواية "نهب أمستردام" التي تعود لإحدى الفتيات الصغيرات من أمستردام، والتي أسرت من قبل بحارة جزائريين، ونشرت سبع مرات بين سنتي 1693-1780؛ إضافة، إلى صفحات أخرى من كتاب "اليهودي الحقير" أو "قصص العديد عن العبيد المجهولين والتسجيل القوي لواحد من الرحالة الغير محظوظين".[45]

وظهرت الأخبار المتعلقة ببحارة المغرب الاسلامي ومعاملة الأسرى بالجزائر، في الرزنامات والصحف الهولندية أيضا، فمثلا رزنامة دو سليني ميركيريوس، التي نشرت سنة 1686 في أمستردام، احتوت تواريخ عن أسر بحارة شمال إفريقيا للسفن والبحارة الهولنديين إضافة إلى التدابير المتخذة لتحرير الأسرى. وفيما يخص الصحف فأشهرها: أمستردام دينغسديغس كورنت، وأوردينار ي ليدس كورنت التي زودت قرائها بمعلومات ضخمة عن المغرب الاسلامي؛ سواء تلك المتعلقة بالمفاوضات التي كانت تجري بين الدول الأوربية والجزائر، أو الأساطيل التي كانت تجهز للقضاء على نشاط البحارة الجزائريين، الحروب وتبادل الأسرى بين مناطق شمال إفريقيا وأوروبا.[46]

---

[44] ينظر: Simon de Vries, Historie van Barbaryen, En de zelfs Zee-Roovers . . . Tweede Deel . . . Amsterdam: Jan ten Hoorn, 1684. ، إن الجزء الأول من الكتاب كتب من قبل بيار دان وترجم من قبل براوكوزن *G.V. Broekhuizen*.

[45] Piracy and Privateering …, op.cit, p.82.

[46] Ibid, p.83.

وبرزت أيضا الأعمال الإسبانية، التي يعتبر سكانها أكثر الشعوب الأوربية، التي تعرضت للأسر، نتيجة لسوء العلاقات بين السلطة الجزائرية ونظيرتها الاسبانية. إن أفضل الأطروحات التي تعرضت للأسرى الإسبان بشمال إفريقيا، تعود للباحثة الأمريكية فريدمن آلان بعنوان "الأسرى الاسبان في شمال إفريقيا".[47] واستخدمت فيها الباحثة الأرشيف الاسباني، وأعمال الأسرى الاسبان، وكذا تقارير منظمات الفدية.

إن أعمال الأسرى ورغم الذاتية التي طبعت عليها؛ إلا أن كتابها يعتبرون الانجليز الأوائل الذين وصفوا عادات وتقاليد سكان شمال إفريقيا، عكس كتاب المسرحيات الذين ملأوا المسرح الانجليزي بنموذج في الغالب يرتكز على الكتابات الايطالية والاسبانية، ومن مسرحية "معركة القصر" إلى مسرحية "المرتد"؛ استمر كتاب المسرحيات في الارتكاز على كتابات القارة الأوربية.[48]

ب- مذكرات القناصل:

إن مذكرات القناصل تعبّر عن شهادات لأشخاص مثقفين عايشوا السلطة والمجتمع الجزائري، وتعتبر شهاداتهم أقرب إلى الموضوعية نوعا ما؛ ما يجعل الاعتماد عليها أحد مؤسسات البحث التاريخي في البحث حول الأسرى الأوربيون في الجزائر خلال التواجد العثماني بالجزائر.

تؤكد زوجة القنصل الإنجليزي في استنبول (مونتاغي)، بقولها: "أعرف أنكم تتوقعون منّي أن أقول أشياء خاصة عن العبيد؛ وستتصورون أنني نصف تركية، عندما لن أتحدث كما

---

[47] ينظر: Allen Friedmen, Spanish Captives in North Africa in the Early Modern Age, Madison: The University of Wisconsin Press, 1983.

[48] Daniel. j. Vitkus, p.iracy, Slavery, and Redemption…, op.cit, p.04.

تحدث مسيحيون سابقون عن العبيد. لكن لن أتحمل كبت التصفيق بحرارة للإنسانية التي يتعامل بها الأتراك مع أسراهم المسيحيين، فهم لا يسيئون استخدامهم، وعبوديتهم في اعتقادي ليست أسوء عبودية في العالم، صحيح أن الأسرى لا يتلقون أي أجرة؛ لكنهم يستلمون ملابس جديدة كل سنة، ذات قيمة عالية، من تلك التي نمنحها لعبيدنا الذين هم في خدمتنا".[49]

لكن لا يمكن أن تكون أغلب المذكرات موضوعية؛ فالكثير منها حمل أفكار الكنيسة والسلطة التوسعية، فمذكرات كتلك التي خلفها كاثكارت وشالر حملت أفكارا ذاتية أكثر من تلك التي تعبّر عن الموضوعية. فقد كرر كلاهما باستمرار فكرة قوى الظلام والشّر، من خلال مصطلحات ك"الهمجية، العبودية الأسوأ في العالم، الوحوش اللاّإنسانية...إلخ".

ويعتبر عمل شالر[50] وكاثكارت[51] في المقابل أحد أهم المذكرات الشخصية لشخصيات مثقفة؛ إضافة إلى أن كلا العملين ترجم إلى العربية، ما يجعل منهما أكثر شعبية من تلك

---

[49] Mary Wortley Montagu, The Complete Letters of Lady Mary Wortley Montagu: 1752-1762, Vol. 03, London: Claredon Press, 1967, p.20.

[50] صدرت الطبعة الانجليزية سنة 1826، تحت عنوان: Shaler William, American Consul-General at Algiers.-Sketches of Algiers, p.olitical, Historical and Civil, Containing an account of the Geography, p.opulation, Government, Revenues, Commerce, Agriculture, Arts, Civil 32 A Bibliography of Algeria,Institutions, Tribes, Manners, Languages and Recent Political History of that Country, 8vo, Boston؛ أما الطبعة الفرنسية فكانت سنة 1830 بواسطة بيانشي *(Bianchi)*، واستخدمها الفرنسيون كدليل في حملتهم ضد الجزائر سنة 1830. ونقله إلى العربية إسماعيل العربي. ينظر: Playfair E. Lambert, A Bibliography of Algeria, From The Expedition of Charles 5 in 1541 TO 1887.

[51] ينظر: The Captives, James Leander Cathcart, Eleven Years a Prisoner in Algiers, Compiled by His Daughter، نقله للعربية: إسماعيل العربي، مذكرات أسير الداي كاثكارت.

الأعمال التي لازالت لم تترجم. ورغم هذا إلا أنهما يحملان معلومات جد قيمة عن عمليات الفدية ووصف السجون التي تعتبر فيها المادة قليلة.

تعتبر الفترة الممتدة بين سنتي 1689-1750، فترة نقدية لتاريخ النظرة الانجليزية للإسلام؛ لأنه خلال هذه الفترة تحول العلماء من الفحص الجدلي للإسلام إلى دراسة المجتمع الاسلامي والسياق التاريخي؛ وقد غيروا نظرتهم من المجابهة إلى الدراسة اللاهوتية إلى التعايش مع الثقافة السياسية للدول الإسلامية. وكان المخيال الإنجليزي يصور الإسلام بمصطلحي الاندلسيون، المغاربة*Moors* والأتراك *Turk*.[52]

نشر أحد أفراد القنصلية السويدية كارل ريفتيليوس *(Carl Reftelius)*، عملا طوبوغرافيا ضخما في جزأين عنونه بـ" التاريخ والوصف السياسي للسلطة والبلاد الجزائرية 1516-1732"[53]، ويقع العمل في حوالي 600 صفحة، طبع سنة 1737 ثم ظهرت طبعته الثانية سنة 1739؛ حيث تضمن العديد من المواقف النبيلة والشوفينية في نفس الوقت. ذكر الكاتب في أحد الفصول التي عنونها بـ"حول العبيد"، يصف قدوم الأسرى الجدد إلى المدينة ومزاجهم: "رأيت أسنانهم ترتعد مثل تساقط أوراق الشجر...كثيرا ما كانوا يتوقعون صعوبات عظيمة، من تلك التي تعرضوا لها طوال حياتهم".[54]وكرر ريفتيليوس نفس الفكرة التي أسس لها أغلب الأسرى الأوربيين؛ ذلك أن الأسرى دائما ما كانوا يحاولون إخفاء رتبهم وحرفهم، لتكون فديتهم منخفضة. وأكد أن "الأسرى الذين ينتهي بهم المطاف في يد الداي، أو في

---

[52] قرباش بلقاسم، مسألة الاسلام في انجلترا 1571-1700، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ ع10، ديسمبر 2015، ص202.

[53] ينظر: Carl Reftelius, Historisk och politisk beskrifning: öfver riket och staten Algier: ifrån år 1516 till och med år 1732, Stockholm: 1737.

[54] Madeson Peter, "*Danish Slaves in Barbary"*, Copenhagen: Copenhagen University Press, (Nov 2010), p.14.

أيدي ملاك الأسرى الخواص، ليس كلّهم غير سعيدين بوضعيتهم؛ كما يريد الكثير من الرهبان منّا أن نصدق...". إن الأسير الشاب "هارك أولوفس *(Hark Olufs)* الذي كان متواجدا داخل قصر الداي –حسب ريفتيليوس– عاش في وضعية ليست سيئة؛ رغم أنه كان يعاقب لاقترافه أخطاء صغيرة. أما ملاك الحانات من الأسرى فالكثير منهم لم يحاول الهرب من الجزائر؛ "بل كانوا مرتاحين كثيرا لحياتهم بالجزائر، أكثر من بلدانهم الأصلية". وهناك أيضا طبقة أخرى، هي الطبقة المثقفة، مثل: القباطنة، الضباط، الرهبان والأطباء، الذين يتطلب افتداؤهم مبالغ ضخمة، وهم يعاملون جيّدا... [55]

إن أسرى الدولة حسبه كانوا يرتدون حلقة صغيرة بأرجلهم؛ لتميزهم كأسرى؛ "لكن لما قرأت حولهم –يقول ريفتيليوس– لم أستطع إخفاء اندهاشي من أولئك الأسرى الذين تم افتداؤهم من الجزائر أو من أولئك الذين بقوا هناك، وهم يقودون بأكاذيبهم المسيحيين لتصديق أنهم وخلال فترة أسرهم بالجزائر، كانوا مربوطين في سلاسل حديدية ثقيلة تلف أرجلهم". وحسبه فإن الأسرى الأوربيين يتجولون في مدينة الجزائر بحرية مثلما كانوا يفعلون بأوربا. [56]

إن عمل جيمس بروس[57] *(James Bruce)*، أحد أكثر الأعمال أهمية وتركيزا، كونه يصدر عن رجل مثقف وصديق أحبه الداي وكرمه، وبعد عودته للديار 1770 تفرغ لكتابة

---

[55] Madeson Peter, op.cit, p.14-15.

[56] Ibid, p.15.

[57] **جيمس بروس:** (1730–1794)، مستكشف سويدي بإفريقيا، ولد بروس بكيندر هاوس بسترلنغ شاير بإسكتلندا، 14 ديسمبر 1730، تلقى تعليمه بجامعة هاراو وإيدنبارغ، وبدأ التعلّم لدرجة المحاماة؛ لكن زواجه بابنة تاجر خمر أثر على دخوله المسابقة. توفيت زوجته بتاريخ أكتوبر 1754، بعد تسعة أشهر من الزواج، ارتحل بعدها بروس إلى البرتغال واسبانيا. إن امتحانه حول الدراسات المشرقية في الاسكوريال جعله يتعلم اللغة العربية وهذا ما سيحدد سيرته المستقبلية. وعندما اندلعت الحرب مع اسبانيا سنة 1762 اختاره الآيرل الثاني لمنصب القنصل البريطاني

مذكراته أو رحلته لاكتشاف النيل، التي عنونها بـ"رحلة للكشف عن منابع النيل". وضمت رحلته إشارات إلى مغامراته بالجزائر، ونظرته إلى الوضعية السياسية في المنطقة؛ والكثير من الاشارات عن الأسرى ووضعيتهم بمدينة الجزائر.

يمثل عمل القنصل الدنماركي في الجزائر ريهبايندر، أحد أهم الأعمال المؤلفة حول المنطقة، والعمل الوحيد الذي خلفه القناصل الدنماركيون بالجزائر خلال الفترة الحديثة. صدرت الطبعة الأولى للكتاب سنة 1798، ثم تلتها طبعة أخرى سنة 1800. [58]

جمع القنصل ريهبايندر تجاربه بالجزائر في ثلاث مجلدات، تحت عنوان: "أخبار وملاحظات حول بلاد الجزائر"، وجاء العمل مشبعا بالأفكار التنويرية (عصر الأنوار). إن الهدف من هذا الكتاب كان إزالة الأفكار الخاطئة التي كانت موجودة حول الجزائر، "بلد القراصنة"، والعمل على الدعوة إلى التسامح الدينيّ مع الديانات الأخرى. ورأى أن الخوف من هذه البلاد بني عن طريق الرهبان والبعثات الكاثوليكية، من خلال كتابات ملبسة تحت عناوين علمية مزيفة. لقد جسد ريهبايندر محتوياتها بـ: "كتابات رهبان مبتدئين قذرة ممزوجة بالحقارة". وحسبه؛ فإن كتاب هذه الكتيبات فعلوا أي شيء لـ "وصف السلوكيات الدين والحياة اليومية الطبيعة لسكان البلد، بنوع من الإشمئزاز والنفور والدناءة"...وعمد

في الجزائر (1763-1765)، وصل بروس الجزائر بتاريخ 19 مارس 1663، أي سنة بعد تعيينه على رأس القنصلية، مع هيئة لدراسة الآثار القديمة في البلد؛ لكن أغلب وقته قضاه في القيام بواجباته كقنصل في قصر الداي، الذي وثق فيه ومنح رسالة ليأخذها إلى باي تونس وطرابلس. ب توفي 27 أبريل 1794، وله أحد أضخم الأعمال في الرحلة "رحلة للكشف عن منابع النيل". ينظر: Bruce, James, Travels to discover the source of the Nile in 1768-1773, Edinburgh: maps and plates, 5Vol./ *"Bruce James"*, The Encyclopædia Britannica, op.cit.

[58] ينظر: Rehbinder, J, Naclirichten und Bcmcrkungcn iibur den Algierischen Staat. Altoua: 1798-1860, 2 vol. 8vo, with maps and plates.

هؤلاء الكتاب إلى اتهام السكان الأصليين؛ بأنهم المسؤولون عن معاملة المسيحيين المؤمنين كالعبيد الزنوج؛ ومن هذا المنطلق رأوا بأن الكتابة بهذه الطريقة، حق محفوظ للأوربيين الأتقياء والعظماء، والحكام الحقيقيون للعالم؛ حيث لديهم الحق الكامل والحصري".[59]

وتعتبر مذكرات السيدة براوغتون إحدى المصادر المهمة لدراسة وضعية الأسرى المسيحيين في الجزائر أواخر العهد العثماني، وهي ابنة السيد هنري ستانفورد بلانكلي *(Henry Stanyford Blanckley)*[60]، الوكيل والقنصل الإنجليزي العام بالجزائر 1806-1612، واعتمدت الكاتبة في إنجاز عملها على مذكرات والدتها اليومية بشكل شبه كلي كما ضمّ الكتاب أيضا مجموعة من الصور الايضاحية.[61]

احتوت المذكرات إشارات كثيرة للأسرى؛ ويعتبر عملها أقل عصبية مقارنة بغيرها مما خلفه أبناء وطنها؛ فمثلا: عنونت في إحدى فصول المذكرة: "دلائل إضافية للنوايا السلمية لداي الجزائر".

نشر القنصل الأمريكي هودسون سنة 1844؛ عملا بيبليوغرافيا مهما حول منطقة شمال إفريقيا؛ بحيث يعتبر أحد أقدم الأعمال البيبليوغرافية حول المنطقة.[62] وقبل هذا قدم

---

[59] Ernspeter Ruhe, Les Allemands fascinés par l'Algérie Récits de voyages des 18ème et 19ème siècles, Majallat El-Tarikh, (Algiers), N°27, 1987, p.39-40.

[60] **هنري ستانفورد بلانكلي**: *(Henry Stanyford Blanckley)*، (1806-1812)، وكيل وقنصل إنجليزي عام بالجزائر، وأيضا قنصل سابق في جزر البليار Balearic islands. ينظر: Alfred Cecil Wood, History of the Levant Company, London, 1935.

[61] صدرت أول طبعة للعمل سنة 1839. ينظر: Broughton, Six Years' Residence in Algiers, 1806-12, 2nd Ed London.

[62] ينظر: Hodgson W. B., Notes on North Africa, the Sahara and the Soudan, New York: 1844.

هودسون إلى الجزائر كمساعد للقنصل الأمريكي الآخر في الجزائر شالر بين سنوات 1825-1829، وقام بترجمة رحلة الحاج ابن الدين الأغواطي[63]، وقد كتبت هذه الرحلة بطلب من القنصل هودسون الذي دفع مبلغا ماليا للأغواطي، والرواية قدمها الأغواطي باللغة العربية، ثم ترجمها الأول إلى الإنجليزية. إن العديد من المعلومات التي وردت في الرواية لا تذكرها كتابات الرحالة الأوربيين. ويؤكد المترجم أن المخطوط الذي عمل على ترجمه مكتوب بخط مغربي رديء.[64]

إن عمل نوح[65] حول فترة تواجده بتونس كقنصل أمريكي؛ يقدم لنا معلومات قيمة عن العلاقات الجزائرية الأمريكية، مع مجموعة من الرسائل الواردة إلى الجزائر من أجل تحرير الأسرى الأمريكان بالجزائر.[66]إن المعلومات المذكورة حول السفينة الأمريكية "سالم" التي

---

[63] ينظر: Hodgson, "W. B., Hadji Ebn-eddin –Elghwaati. Notes of a Journey into the Interior of North Africa…, London: 1831.

[64] للاستزادة ينظر: الحاج ابن الدين الأغواطي، رحلات جزائرية: رحلة الأغواطي الحاج ابن الدين، في شمال إفريقيا والسودان والدرعية، ترجمة وتحقيق: أبو القاسم سعد الله، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.

[65] **مانيال نوح ماردوخي**: *(Mordecai Manuel Noah)*، (1785- 1851)، صهيوني، رجل قانون، مفكر، كاتب وقنصل أمريكي مدافع عن حقوق اليهود، ولد بفيلادلفيا، 19 جوان 1785، والده هو مانيال نوح، أحد أبطال الثورة الأمريكية –حسب المؤرخين الأمريكيين-، وابن زيبورة فليبس، كلا والديه ينتميان لليهود الاسبان والبرتغاليين. ولد نوح في عهد جيفرسون الذي أعلن عن سواسية المواطنين الأمريكيين على اختلاف عرقياتهم: "إننا نتبنى هذه الحقائق لتكون واضحة؛ ذلك أن كل الناس خلقوا سواسية، وهبهم الله حقوقا غير قابلة للمساس؛ من بينها الحياة، الحرية والسعادة"، وهو أول يهودي طرح فكرة إقامة دولة صهيونية بشمال إفريقيا. توفي نوح في 22 مارس 1851. ينظر: Isaac Goldberg, Major Noah, American-Jewish Pioneer, Jewish Publication Society of America: 1936./ Jacksonian Jew, The Two Worlds of Mordechai Noah, by Jonathan Meier Publishers, Inc., New York, 1981 & D. Sarna, Holmes

[66] ينظر: Noah, M., U.S. Consul at Tunis.—Travels in England, France, Spain, and the Barbary States, 1813-1815. New York: 1819.

أسرها الجزائريون سنة 1812 تعتبر المعلومات حولها نادرة ؛ ورغم تدخله لتحريرها؛ إلا أنه فشل وأدت لإعلان داي الجزائر الحرب ضد الولايات المتحدة الأمريكية.

2- الرسائل:

أ- رسائل الأسرى:

إن النشاط القرصاني في الفترة الممتدة بين سنتي 1500-1830، كان يعتبر نشاطا شبه رسميّ بديل للحرب، طغى على العلاقات بين الضفة الشمالية والجنوبية. ورغم أن النشاط القرصاني كان سمة غالبة على كل المجتمعات المتوسطية آنذاك؛ "إلا أن المؤرخين الأوربيين شجعونا لرؤية القراصنة المسلمين فقط، وبالأخص القراصنة "البربر"، في الوقت الذي نسوا فيه بسعادة احتلال الجزائر".[67] إن الاحتلال الأوربي لشمال إفريقيا بدأ بالاحتلال الفرنسي للجزائر؛ لكن إيديولوجية تحضيرية سبقت هذا الاستعمار على الأقل بثلاثة قرون. وشهدت هذه الفترة بروز كل من الرأسمالية وولادة ثقافة علم الانسان. إن النظام الاوربي نحت صورة، كونت وصفا لـ "شخصية" سكان شمال إفريقيا، والتي رغم أنها لم تكن السبب الرئيسي للاحتلال، إلا أن أصبحت في الأخير السبب الفكري له.[68]

تعتبر الرسائل إحدى أهم المصادر للبحث في الأسرى، كون أغلب الأسرى إن لم نقل كلهم راسلوا أهاليهم أو السلطة السلطات الأوربية لإنقاذهم من الجزائر؛ ما يجعل أعمالهم مهمة لتحليل نفسية الأسير وطبيعة نظرته للأسر. ويمكن أن نضيف لهاته الخانة "الرسائل الرسمية" التي أرسلها القناصل والمسؤولون إلى سلطاتهم الرسمية في بلدانهم الأصلية.

---

[67] Lotfi Ben Rejeb, op.cit, p.345.

[68] Ibid, p.345.

إن الرسائل التي كانت تصل أوربا يوميا من قبل الأسرى والقناصل وحتى التجار كونت "الصورة الهمجية" للإنسان الجزائري، ولا يتعلق الأمر فقط بالهمجية؛ ذلك أن الأوربي لم يعد ينظر لهمجية المسلم كغريزة مكتسبة، بل تجاوز الأمر لتصبح غريزة عرق، أي أنها ناشئة مع الإنسان العربي والمناطق التي تبنت الإسلام؛ وهذا نتيجة التلقين المستمر للمواطن الأوربي البسيط، سواء من خلال نشاط الكنيسة، الحكومة أو المسرح (خاصة المسرح الانجليزي).

قدمت لنا رسائل الأسرى معلومات قيّمة عن حالة الأسير، يذكر سميث جورج في رسالته الموجهة إلى إدوارد فيتيباين حالته كأسير في الجزائر: "أنا الآن أعمل في الرصيف...لقد أخذوا مني كل شيء حتى ملابسي التي على ظهري...وأترجاكم أن تتصلوا بالقنصل السويدي في الجزائر السيد سبراجر للتدخل من أجل تحريري، الذي قد يكلّف حوالي 1600 دولار".[69] إن رسائل الأسرى تعتبر عينات مهمة، لتقدير ثمن الفدية، لأنها تعبّر عن معلومات متواصلة خلال ثلاثة قرون للتواجد العثماني بالجزائر.

ومثلت الرسائل الدينية نوعا مهما للثقافة ونمط نظرة الأسير نفسه للحرية الدينية في الجزائر، فمثلا تعتبر رسائل طائفة الكويكرز لزعيمهم الروحي ومؤسس مذهبهم جورج فوكس[70]، مهمة لمعرفة الحياة الدينية في الجزائر، فحتى التسامح الديني الذي عُرف به أتباع

[69] George Smith C., Copy of letter to Edward Fettyplan [?] re: Smith's status as slave in Algiers, Manuscript Document, Gilder Lehrmen Collection, GLC02794.

[70] **جورج فوكس** George Fox (سبتمبر 1624-13 جانفي 1691)، إنجليزي الأصل، وأحد منشئي مذهب الأصدقاء الديني، المعروف بالكويكرز، نشأ فوكس في ظروف غير مستقرة كانت تعيشها البلد، جاب بريطانيا كراهب منشق، واضطهد في العديد من المرات من طرف السلطة الحاكمة التي رفضت معتقداته. تزوج جورج مارغريت فيل أرملة إحدى أتباعه الأغنياء، واتسعت رقعة اتباعه إلى أمريكا والأراضي المنخفضة. وفي إحدى جولاته إلى هاته المناطق سجن لأكثر من سنة. وقضى أواخر سنوات حياته في العمل على توسيع نشاط حركته. وفي عهد جيمس الثاني تقدمت السلطة

الطائفة، يمكن أن يكون نتيجة نظرتهم للمنظومة الدينية، التي استطاع العثمانيون إنشاءها في المناطق التي خضعت لنفوذهم؛ فمثلا "أكد روجر يودي من دوفينشاير، نجار سفينة، كان أسيرا في الجزائر... أن الاتراك استحسنوا لقاءات الطائفة (الكويكرز)، وكانوا راغبين جدا في معرفة طريقة تعبد الأصدقاء... إلخ، ذلك أنهم رأوا في الكويكرز قوما هادئين، ولا يسرقون ممتلكات ملاّكهم كما يفعل الأسرى الأخرين". [71]

واعتمد الكاتب في هذه النسخة، في جزء كبير من عمله على رسائل جورج فوكس، أحد قادة الكويكرز ومنشئها؛ إضافة لشهادات الأسرى من أتباع الطائفة، وحتى شهادات أقاربهم وإخوانهم في الدين. إن العمل الذي بين أيدينا يعتبر أحد أهم الأعمال؛ إن لم يكن أهمها فيما يتعلق بالأصدقاء في شمال إفريقيا.

كانت رسائل الأسرى تنهال على الملك السويدي، وعائلة الأسير. فمثلا: في سنة 1661 راسل أحد الأسرى المشتغلين على ظهر إحدى السفن الجزائرية، والذي كان اسمه جون أرفيدسون *(John Arvidsson)* البحرية الملكية حول وضعيته المزرية في المدينة. وبعد هذا أصبحت الرسائل توجه إلى الكنيسة مطالبة إياها بجمع الأموال لافتدائهم... وفي قضية أرفيدسون قام قائد البحرية شخصيا كارل غوستاف رونغال *(Carl gustave*

باعتذار للكويكرز وحررت 1500 من أتباعها من السجون. أنظر: Nickllas, Jhon L., The Journal of George Fox, Cambridge University Press, 1952.

[71] Account of Slavery of Friends in the Barbary States, towards the Close of the Seventeen Century,with some particulars of the Exertion of their Brethren at Home for their Redemption, London: Edward Marsh, 1848, p.13.

(Wrangel بمراسلة القنصل عن قيمة الفدية.[72] فالرسائل تبقى وثائق جد مهمة في فهم حالة الأسرى المتواجدين بالجزائر.

ويمكن أن نضيف لهذا الصنف من المصادر، العرائض التي كانت ترسل إلى الملوك والمجالس الأوربية؛ ما يجعلها مادة خبرية خام لدراسة حالة الأهل والأقارب ودورهم في عملية تحرير القريب (الأسير)، " وصفت بربرا تريبول *(Bárbara Truiol)* من جزيرة مايوركة في عريضتها الموجهة إلى مجلس أراغون، كيف تم أسرها وزوجها وأبنائها من قبل "قرصان" تونسي وأخذت لتونس، وبعد مفاوضات أطلق سراح الزوجة بينما بقي زوجها وابنها البالغ من العمر ثلاث سنوات كرهائن بيد الآسر التونسي، بينما عادت هي وأبنائها للوطن في انتظار دفع مبلغ الفدية".[73]

ب- الأطر الرسمية:

لعبت الرسائل والتقارير الرسمية دورا جد مهم في توفير المعلومات عن الأسرى باعتبارها تصدر عن أطر رسمية، يكون وصفها للوضع أكثر مصداقية من رسائل الأسرى ومذكراتهم. إن الكثير من هاته الرسائل جمعت في مجلدات رسمية، فيما يعرف "بالمجموعات" ولعل أهم عمل ذائع الصيت لدى الباحثين الجزائريين، هو عمل أوجان بلانتيت "مراسلات دايات الجزائر إلى ملوك فرنسا"[74]، والذي يضم كمّا هائلا من الرسائل، التي احتوت إشارات

---

[72] Joachim Ostlund, Swedes in Barbary Captivity: The Political Culture of Human Security, <u>Historical Social Research</u>, Vol35, N°4, 2010, p.150.

[73] Daniel Bernardo Hershenzon, Early Modern Spain and the Creation of the Mediterranean: Captivity, Commerce, and Knowledge, Thesis for The degree of Doctor of Philosophy (History) University of Michigan, 2011, p.25.

[74] ينظر: بلانتيت أوجان ، مراسلات دايات الجزائر إلى ملوك ووزراء فرنسا 1700-1833، تر. جحيك إلياس سلامنية بن داوود، 03 أجزاء، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، 2014.

لوضعية الأسرى؛ وترجم العمل إلى العربية جيجيك إلياس وسلامنية بن داود، وهناك العديد من المجموعات والتقارير بلغات أخرى غير الفرنسية، نذكر منها: رسائل الرئيس جيفرسون والتي تضم الكثير من المجلدات[75]، احتوت رسائل لمبعوثين ومسؤولين بشمال إفريقيا تتعلق بالأمن البحري للتجارة والمواطنين الأمريكيين.

وتبرز أهمية الوثائق الرسمية في كونها تقدم لنا معلومات أكثر دقة من روايات الأفراد الذين كانوا دائما ما يقدمون روايتهم تحت ميول إيديولوجية تنقص من قيمتها العلمية. ففي المجلد الخاص "بوثائق الدولة" والذي يحتوي عديد المراسلات التي جرت بين مسؤولين أمريكيين في الجزائر والرئاسة الأمريكية، لضبط معاهدة مع الجزائر تضمن تحرير الأسرى المتواجدين في مدينة الجزائر.

وقدم لنا المجلد السابق، معلومات جد مهمة؛ حول عدد الأسرى وأسعارهم. ففي مقتطف من رسالة ريتشارد أوبريان *(Richard O'brien)* إلى توماس جيفرسون *(Thomas Jefferson)* بتاريخ 12 ديسمبر 1789 جاء فيها: " في ديسمبر 1789 كان هناك بالجزائر، 2 ربان سفينة يملك الداي ثمنهم، 2 نائب قبطان يقدر ثمنهم 4000 دولار لكل واحد منهما، 11 بحار بـ 1500 دولار لكل واحد منهم... و20% ضريبة على العبيد... وقد وافق الداي على الثمن، وبهذا يقدر مبلغ الجميع بـ 38.325 دولار".[76]

---

[75] ينظر: The diplomatic correspondence of the American Revolution : being the letters of Benjamin Franklin, Silas Deane, John Adams, John Jay, Arthur Lee, William Lee, Ralph Izard, Francis Dana... concerning the foreign relations of the United States during the whole Revolution : together with the letters in. 1829-1830, Edited by Jared Spark, Vol 04, Boston: Nathan Hale, Gray, Brown, 1829.

[76] American State Papers, Class 1, Foreign Relations, Vol 1, Washington: Published by Gales and Seaton, 1832, p.283.

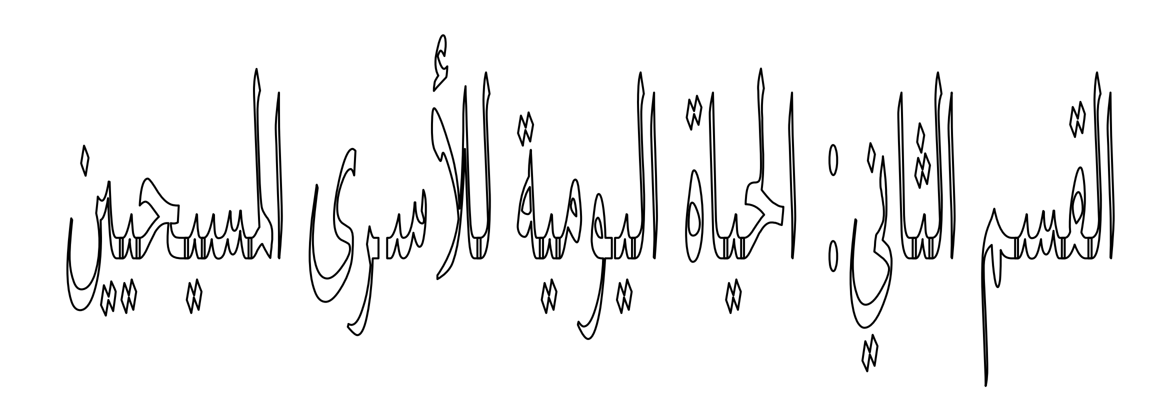
ويعتبر عمل ***(Hertslet's Treaties)*** أحد أفضل المجموعات الإنجليزية التي ضمت أغلب المعاهدات التي عقدتها بريطانيا العظمى خلال الفترة الحديثة، حيث يضم مجلدات ضخمة. واحتوى على 12 معاهده عقدها الانجليز مع دايات الجزائر بين سنتي 1682-1824، وجاءت المعاهدات كالآتي:[77]

- معاهدة وقعت بين الداي والأدميرال هاربرت بتاريخ 10 أفريل 1682.
- معاهدة وقعت بين الداي والسير وليام سلون بتاريخ 6 أفريل 1686.
- معاهدة وقعت بين الداي والقائد موندن والقنصل كول بتاريخ 17 أوت 1700.
- معاهدة وقعت بين الداي والقائد نوربوري بتاريخ 29 أكتوبر 1716.
- معاهدة وقعت بين الداي والأدميرال كافونديش بتاريخ 18 مارس 1729.
- معاهدة وقعت بين الداي والسير القائد كابل بتاريخ 3 جوان 1751.
- معاهدة وقعت بين الداي أرشيبلد كليفند بتاريخ 14 ماي 1762.
- معاهدة وقعت بين الداي أرشيبلد كليفند بتاريخ 3 أوت 1765.
- معاهدة وقعت بين الداي والقنصل فالكون بتاريخ 19 مارس 1800.
- معاهدة وقعت بين الداي واللورد إكسموث بتاريخ 28 أوت 1816.
- معاهدة وقعت بين الداي والقبطان سبانسر بتاريخ 26 جوان 1824.

إن البحث حول الأسرى الأوربيون في الجزائر، يفرض على الباحث الإحاطة على كم واسع من المعلومات، وتوظيفها بما يخدم بحثه؛ كما يلزمه البحث التاريخي توجيهها بما يطور تاريخه المحلي. إن الكتاب الأوربيين عمدوا في أغلب أبحاثهم إلى إعطاء الحقائق الموضوعية في

[77] ينظر: Playfair, E. Lambert, A Bibliography of Algeria, From The Expedition of Charles 5 in 1541 TO 1887.

نسبة كبيرة من أبحاثهم؛ في حين يعمدون لغرس أيدولوجياتهم فيما تبقى من نسبة البحث، حيث أن القارئ المبتدئ يأخذ الإيديولوجية كما وجدها دون تحليلها؛ ولهذا فمهما يكن البحث موضوعيا إلا أن البحث يستلزم على الباحث التأني عند القراءة.



الفصل الرابع: إحصاء الأسرى الأوربيين في الجزائر

الفصل الخامس: الأسرى الأوربيون بالجزائر

الفصل السادس: مرافق الأسرى الأوربيين بالجزائر

الفصل الرابع

إحصاء الأسرى الأوربيين في الجزائر

1- إحصاء الأسرى

أ- الأسرى المسيحيون بالجزائر 1671-1791

ب- الأسرى المسيحيون بالجزائر 1791-1815

ج- الانهيار الكلي لأعداد الأسرى في الجزائر 1816-1830

د- إحصاء الأسرى المسلمين بأروبا 1671-1830

2- النساء المسيحيات في الجزائر.

أ- داخل الحريم

ب- معاملة الأسيرات المسيحيات بالجزائر

ج- إحصاء عدد الأسيرات المسيحيات

د- قيمة الفدية

ج- ثمن وعمر الأسرى المسلمين بأروبا

3- افتداء الأسرى.

أ- الطرق المتبعة لتحرير الأسرى:

1- منظمات الفدية الدينية

1-1 منظمة الثالوث المقدس

1-2- منظمة سيدة الرحمة

2- المعاهدات

3- الحملات البحرية

4- الوساطات

5- صناديق الائتمان

6- السلطة، الكنيسة البروتستانتية والرسائل

7- التدخل القنصلي

8- الافتداء الفردي

9- الهروب

ب- قيمة الفدية

ج- عمر الأسير وسنوات أسره

شكّل الأسر منظومة متكاملة خلال العهد العثماني، لا يمكن فصله بأي شكل من الأشكال عن الوضعية العامة السائدة آنذاك؛ وأصبح يعبر عن حالة اقتصادية، تمثل جزءا من الدخل العام للدولة. وأنتج هذا الوضع نشاطا للعمليات الفدية؛ سواء بتدخل من الدولة أو منظمات الفدية. وعالجنا في نهاية الفصل قضية النساء الأوربيات في الجزائر، ووضعيتهن داخل مجتمع أسيادهن.

1- إحصاء الأسرى

إن عملية إحصاء عدد الأسرى الأوربيين بالجزائر خلال الفترة العثمانية، تبقى عملية صعبة؛ إن لم نقل مستحيلة، كونها ترتبط بعدة عوائق تجعل من الباحث يترنح في تحديد نتائج بحثه:

- إن الإحصاءات المقدمة، لم تصدر عن أطر رسمية، وأغلبها تعتبر شهادات لأسرى عاشوا بالمنطقة أو لقساوسة؛ ما يفقد هذه الإحصاءات قيمتها العلمية من ناحية الحقيقة التاريخية، "علما أن أول إحصاء رسمي لعدد السكان، أجري خلال الفترة الاستعمارية، كان سنة 1872، والذي يعتبر أول إحصاء رسمي مقبول ومكتمل يعلمنا، أن عدد الجزائريين قد أمسى 2.100.000".[1]

- قيام الأسرى في العديد من المرات؛ بالفرار نحو مناطق مملوكة لإسبانيا في شمال إفريقيا أو نحو القبائل الجزائرية المتمركزة بالقرب من مدينة الجزائر، نظرا لليأس الذي قد يصيب الأسير، وفي أحيان أخرى الفرار نحو السفن الحربية الأوربية الراسية بالقرب من ميناء الجزائر فعلى سبيل التمثيل لا الحصر:" استطاع العديد من الأسرى الفرار، في 14 جوان 1688 نحو سفينتين فرنسيتين كانتا قد أرست على بعد ميل واحد من المدينة، ثم اقتربت أكثر بحيث

[1] ميشال هابار، قصة خيانة، تر. عبد الرزاق عبيد، منشورات ANEP، روبية، 2007، ص53.

أصبح يسهل السباحة نحوها".[2]وفي أحيان أخرى ادعاء الدخول في الإسلام، ثم التوجه نحو الحج؛ ومن هناك الفرار نحو الممالك المسيحية القريبة، مثلما حدث مع توماس فيلبس.[3]

يضاف إلى هذه الأعداد نسبة 17% وفيات حسب بعض الإحصائيات[4]، فمثلا: "من بين 400 أيسلندي تم أسرهم سنة 1627، منهم 70 أسير فقط بقي على قيد الحياة".[5] في الوقت الذي قام فيه العديد من الباحثين المعاصرين، بتقزيم عدد الأسرى المتواجدين بالجزائر، كون العديد منهم دخلوا في الاسلام، وكانوا يلقبون بـ "المرتدين *Renegade*"، "فقد تحدث الأب بيار دان عن وجود 9500 أسير دخلوا الإسلام بالجزائر"[6] أي أن 5/2 من الأسرى دخلوا في الإسلام.

– عدم مركزية الأسرى؛ فالعديد منهم كان يتواجد بمناطق غير مدينة الجزائر، ما يجعل من عملية الإحصاء متذبذبة، مثل: الأسير تيدنا الذي كان يشتغل لدى باي معسكر.

– تحطم السفن الأوربية على السواحل الجزائرية *(Shipwreck)*، وتكتم سلطات هذه المناطق عن التصريح بهم؛ خاصة إذا كان هؤلاء الأسرى يتبعون لدولة مهادنة مع الجزائر مثلما: حدث مع ماريا مارتين بتنس (انجلترا)، والآنسة بورك بمنطقة جبال كوكو (فرنسا).

---

[2] Playfair, E. L, op.cit, p.152.

[3] ينظر: Tomas phelps, A True Acount of Captivity of Thomas Phelps, at Mechnasin Barbary, London, p.rinted by H.Hills, 1685.

[4] Robert Davis, "Counting European Slaves on the Barbary Coast", The Past and Present Society, Oxford, 2001, p.115.

[5] بومدين دباب، الأسرى والسجون في مدينة الجزائر العثمانية 1519-1830، تحت إشراف حنيفي هلايلي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة سيدي بلعباس، 2007-2008، ص65.

[6] Pierre dan .R.p, Histoire de Barbarie et de ses corsaires des royaume, et des villes d'Alger, de Tunis, de salé, et de tripoli, 2nd, p.aris: chez pierre Rocolet, Imprimeur & Libraire ordinaire du Roi, 1646, p.341.

إن ما سنقدمه في عملية إحصائنا، هي مجرد أرقام تقريبية بعضها يأخذ طابعا رسميا، في حين أن البعض الآخر يعود لشهادات الأسرى الذين عاشوا بالمدينة أو الرحالة. لكن المهم والذي يجب أن نعلمه هو أن عدد الأسرى بالجزائر، شهد أوجه خلال القرن السابع عشر ثم بدأ في الانخفاض تدريجيا، إلى أن لم يبقى من الأسرى في مدينة الجزائر أثناء الاجتياح الفرنسي سوى 120 أسير.

ويمكن أن نرجع هذا إلى التحول في نوعية السفن المستخدمة، فـ 50-60 سفينة من نوع الغليار التجديفية، كانت تحتاج بين 10.000-16.000 مجدف؛ لكن مع مطلع القرن الثامن عشر، واستخدام سفن شراعية، أصبحت الحاجة إلى المجدفين أقل.[7]

وفي إحدى قصائده إلى الملك فليب الثاني، أخطره سيرفانتيس عن وجوده 25.000 أسير بالجزائر.[8]أما سنة 1621 فقد بلغ عدد الأسرى المتواجدين بالمدينة 32.000 أسير حسب بعض الإحصاءات.[9]وبين سنتي 1628-1634، تمكن الجزائريون من أسر 80 سفينة تجارية فرنسية تحمل 980 أسير، واستولوا بين سنتي 1628-1641 على 131 سفينة إنجليزية، تحمل 2555 أسير. أما في إحدى التقارير الإنجليزية سنة 1646، فقد أكدت عن وجود ما لا يقل عن 20.000 أسير.[10]إن التباين السابق يعكس مدى الصعوبة؛ التي قد تعترض الباحث عند محاولته الوصول إلى الحقيقة التاريخية.

[7] Abla Gheziel, "Captifs et captivité dans la régence d’Alger (xviie- début xixe siècle)", Cahiers de la Méditerranée, 87, 2013, p.80.

[8] Dario Fernandez-Morea, "Islam's Christian Captives", (Book Reviews), Modern Age, Winter, 2008, p.66.

[9] Piracy and Privating in The Golden age, op.cit., p.80.

[10] About Algeria, Algiers, Tlemcen, Constantine, Biskra, Timgad, By Charles Thomas-Stanford F.S.A., With A Map And Thirty. Two Illustrations From Dra Wings By F. Dorrien Thoroton And From Photographs, New York: John Lane Company, 1912, p.68.

أ- الأسرى المسيحيون الجزائر 1671-1791:

يقدم لنا روبيرت دافيس مقارنة بين العبيد السود؛ الذين نقلوا عبر المحيط الأطلسي، والأسرى الإنجليز البيض الذين وجهوا إلى الجزائر سنة 1670: "عندما كان الإنجليز يمارسون تجارة العبيد السود في المحيط الأطلسي، بقي متوسط النقل في حدود 1500 عبد إفريقي سنويا؛ أما "قراصنة" سلا والجزائر فاستطاعوا أسر المئات كل سنة من السفن الإنجليزية وحدها".[11] وقد استطاع الجزائريون بين سنتي 1672-1682 أخذ ما لا يقل عن 353 سفينة بريطانية، هذا يعني أنه كان يتم أسر بين 290 و430 أسير بريطاني جديد كل سنة.[12]

ونشرت جريدة لاغزيت الاتحادية الصادرة في مارس 1790، رسالة خاصة بسيدي إبراهيم سنة 1670، أحد أعضاء الديوان الجزائري، تحكي تذمره من أحدى الطوائف المسماة الرقة *Erika*، حيث قال:" بسم الله، الله العظيم ومحمد نبيه (عليه الصلاة والسلام)، هل تعي طائفة الرقة معنى الاعتراف بعريضتهم؟ إذا أوقفنا هجماتنا ضد المسيحيين، كيف يمكن أن نزدهر من سلع أوطانهم، والتي تعتبر أكثر من ضرورية بالنسبة لنا؟ من سيؤدي أعمال مدينتنا، وعائلاتنا؟ نملك الآن حوالي 50.000 عبد في مدينة الجزائر وضواحيها".[13]

[11] Robert Davis, "Counting European Slaves…, op.cit, p.115.

[12] Robert Davis, Muslim Masters, Christian Slaves…, op.cit, p. 4.

[13] "On the Slave-Trade", Federal Gazette, March 23, 1790, p.7.

ويقدم لنا الجدول التالي الأسرى؛ الذين تم افتداؤهم من قبل منظمات افتداء الأسرى بين سنتي 1575-1739، من خلال أرشيف التاريخ الوطني بإسبانيا *(AHN)* والمكتبة الوطنية بمدريد *(BNM)*:[14]

«إحصاء عدد الأسرى الذين تم افتداؤهم من قبل منظمات الفدية 1575-1739»

السنة	الأرشيف	عدد المُفْتَدِين	المدة الزمنة (اليوم)
1575	BNM:mss2963	143	84
1581-1580	L118, L120[15]	165	293
1582	L119	107	--
88-1587	L122	102	--
92-1591	L121	120	--
1618	L125	141	--
1627	mss3872	143	--
1642	L133	142	--
1649	L132	106	--
1651	mss3597	238	--
1660	mss4359	368	--
1662	L139	285	19

[14] Attila Ambrus, "Pirates of the Mediterranean: An Empirical Investigation of Bargaining with Transaction Costs", Harvard University Press, 2011, p.16.

[15] (L): بمعنى Legagos: أي ملفات رقم.

1664	mss4314	262	--
1667	mss3586	211	22
1669	mss3593	189	12
1670	L135	192	23
1675	mss7974	519	19
1678	Mss7752	448	--
1679	L146	165	09
1686	mss4363	320	20
1690	L145	162	09
1692	L147	156	17
1702	Mss3587	482	17
1713	mss3837	197	22
1718	L148	284	18
1723	mss3549	424	21
1724	mss3589	275	15
1729	L149	272	--
1730	mss3592	345	26
1739	mss3590	435	--
المجموع الإجمالي		7398	(38)

يوضح الجدول السابق التباين في عمليات الفدية؛ لعملية ثابتة ومستمرة، وعدم قدرة الوثائق على تغطية النقص الحاصل في السنوات، كون عمليات الفدية تمثل إخراج جزء من الكل، أي افتداء جزء من الأسرى؛ في حين يبقي آخرون كأسرى في مدينة الجزائر.

ويقارن جدول آخر نشاط كل منظمة (الثالوث المقدس ومنظمة الرحمة في الجزائر):[16]

«مقارنة بين عدد الأسرى الذي تم افتداؤهم من قبل منظمتي الثالوث المقدس والرحمة»

السنة	المنظمة وعدد الأسرى	السنة	المنظمة وعدد الأسرى
1670	الثالوث المقدس (212)	1681	الرحمة (153)
1675	الرحمة (519)	1682	الرحمة (446)
1678	الرحمة (450)	1692	الثالوث المقدس (156) الرحمة (642)
1679	الثالوث المقدس (163)		
مجموع الأسرى المحررين من طرف منظمة الثالوث المقدس (537)			
مجموع الأسرى المحررين من طرف تنظيم الرحمة (2210)			

وتوضح إحدى العرائض الموجهة إلى البرلمان الإنجليزي سنة 1680، حالة الأسرى الإنجليز وعددهم في مدينة الجزائر:" لقد أخذوا (الجزائريين) منذ انقطاع وتصدع علاقاتنا معهم، ما لا يقل عن 140 سفينة شراعية وسفنا أخرى، العديد منها تحمل سلعا ثمينة... ويوجد هناك في هذا الوقت أكثر من 1500 أسير إنجليزي؛ إضافة إلى المئات الذين توفّوا هناك نتيجة الطاعون".[17]

---

[16] Daniel Bernardo Hershenzon, op.cit, p.249.

[17] The Case of Many Hundreds Poor English-Captives, Algier, Together with Some remedies to Present their Increase, Humbly Represented to both Houses of Parliament, London: 1680, p.1.

أحصى أحد أتباع طائفة الكويكرز (جوزيف واساي) *Josef Wasey*، في رسالة إلى ثيودر إكلاستون *Theodore Eccleston*، أنه تلقى في رسالتين مؤخرا أسماء الأسرى الأصدقاء (الكويكرز) المتواجدين بمدينة الجزائر: آرثر واستكاوت (مدينة كورنوال)، جيمس بيرجين (10 سنوات أسير)، جوزيف بيغلاند اللّندني، روبيرت فاينلي من شمال إنجلترا، أبراهام تاري (مدينة إبسوم)، توماس هارل من نفس المينة (05سنوات أسير).[18]

ويوضح الجدول التالي عدد أسرى طائفة الكويكرز بالجزائر، بين سنتي 1682-1702، وأنجزناه بالاعتماد على كتاب "رواية حول عبودية الأصدقاء في الدول البربرية" حيث قمنا بتتبع مسار المعلومات التي أوردها الكاتب في عمله، ووضعناها في جدول لكي يتسنى للقارئ الفهم أكثر:[19]

«إحصاء عدد أسرى طائفة الأصدقاء 1682-1702»

السنة	عدد الأسرى	الأسماء إن وجدت
1682	21	--
1683	--	كان يوجد لقاءات بين أفراد الطائفة دون تفاصيل
1684	في إحدى التقارير، تم افتداء البعض، في حين بقي آخرون كأسرى	--
	ذكر موسس فولك، أسير	

[18] Account of Slavery of Friends in the Barbary States, towards the Close of the Seventeen Century, London: Edward Marsh, 1848, p.12-13.

[19] Ibid, p.13-29.

1685	سابق، أنه ترك في المدينة ستة أسرى. أما إيغرايم جيلبارت أسير سابق يالجزائر، فأكد وجود ثلاثة من أسرى الطائفة	مويسس فولك، إيغرايم جيلبارت، ريوماي أما ريوماي فقد أصبح ملكا للوزير العثماني الأكبر.
1686	01	روجر أودي
1687	01	--
1688	--	--
1702	أحصت أحد التقارير تحرير 07 أسرى من شمال إفريقيا	--

نلحظ غياب المعلومات عن الأصدقاء في الجزائر بين سنتي 1688-1702، وانحصارها بين مدينتي مكناس وسلا؛ ويمكن أن نرجع غياب معلومات عن الجزائر، إلى طبيعة الوثائق التي ارتكز عليها الباحث في بحثه، أو أنه لم يتم أسر أعضاء من الطائفة بالجزائر، نظرا لاستقرار العلاقة الجزائرية البريطانية خلال هذه الفترة.

ومع أواخر القرن السابع عشر، كان مسيحيّوا أمريكا المستعمرة، مفتونين بما يسمى بـ"قراصنة البربر"...وبدأت القصص عنهم تنتشر في المستعمرات الأمريكية. وبعد سنة 1671 عندما أُسر الكابتن ويليام فوسترا الروكسبوري من مدينة مستشاسيتش وابنه. رأى الكتاب المسيحيون الأمريكيون "قراصنة البربر" كصورة لهمجية المسلم. وفي نفس الفترة ساوى هؤلاء الكتاب بين المسلمين والمعادين للمسيحية والرومان الكاثوليك.[20]

[20] Heathe. Z. J. Sharkey, "American Christians and Islam: Evangelical Culture and Muslims From the Colonial Period to the Age of Terrorism", p.rinceton: Princeton University Press, p.259.

وخلال الفترة الممتدة بين سنتي 1677-1680، تمكن بحارة الجزائر من الاستيلاء على 153 سفينة إنجليزية، كان على متنها 1850 بحار، وممتلكات بقيمة 153 ألف إسترليني، من بينها أربعة سفن من ماساشوست الأمريكية: البركة، الوحة، ويليام ماري، والوردة، وغادرت هذه السفن من بوسطن وتشارلستون، حيث قتل من طاقمها ما لا يقل عن 60 بحارا، وعدد غير معروف من المسافرين؛ في حين أسر 90 شخص.[21]

وتذكر بعض الاحصاءات أن الفترة الممتدة بين 1582-1690، شهدت وقوع 49.960 أسير أوربي في منطقة المغرب الاسلامي، بمعدل 458 أسير كل سنة؛ أغلبهم من ايطاليا، فرنسا، اسبانيا...[22]

يوضح الجدول التالي غارات البحارة الجزائريين، ضد السواحل والمناطق الأوربية، من خلال مصادر مختلفة بين سنتي 1672-1793:[23]

«إحصاء عدد الأسرى 1672-1793»

السنة	المناطق	عدد الأسرى	المصدر
82-1672	353 سفينة إنجليزية	4200-2800	*De La Motte, 99*
1673	تورشياريلو- بوغليا	50	*Mafrici, 66*
80-1677	أخذ الجزائريون 160 سفينة إنجليزية خلال 40 شهر.	1900-1300	*Morgan. R*

[21] Beth A.Bower, "Captivity with ye Barbarous Turk", American Ancestors, Vol. 13, Spring 2012, p.18-19.

[22] José Antonio Martínez Torres, "Europa y el rescate de cautivos en el Mediterráneo durante la temprana Edad Moderna", Historia Moderna, Serie IV, T. 18-19, 2005-2006, p.73.

[23] Robert Davis, "Counting European Slaves…", op.cit, p.92-93.

86-1685	--	664	*Fontnay, 434*
1711	سكوينزانو- بوغليا	44	*Mafrici, 67*
1720-1712	أخذ الجزائريون 74 سفينة	1668	*De La Motte, 98*
1716-1714	بالقرب من ليس	80	*Mafrici, 67*
1727-1714	أخذ الجزائريون 36 سفينة إنجليزية تجارية	393	*De La Motte, 142-4*
93-1785	13 سفينة أمريكية	130	*Foss, 160-1*

وفي جدول آخر يحصي روبيرت دافيس عدد الأسرى؛ المتواجدين في الجزائر، وهنا سنأخذ عينة عن الفترة الممتدة بين سنتي 1669-1789:[24]

«إحصاء عدد الأسرى 1669-1789»

السنة	عدد الأسرى	المصدر
1669	14000-15000، تضم 100 امرأة، وبين 300-400 طفل	*Mafrici, 98*
1675	12.000-6000	*Arvieux, Vol 06, 225*
1678	30.000-20.000	*DeFercourt in Cresti, 159*
1681	5.000 أو أكثر	*CPF/SOCG-01, p.503*

[24] Robert Davis, Esclaves Chrétiens, Maitres Musulmans, L'esclave Blanc en Méditerranée 1600-1800, Tr. Manuel Tricoteau, p.aris: Ed. Jacqueline Chambon, 2006, p.314-315.

Barbarella	17.000	1682
Pétis de la Croix, 21	40.000-35.000	1683
Bombard, vol 02, p.78	10.000	1687
Planet, 251	36.000 من مختلف الجنسيات	1691
CPF/SOCG-03, p.144	أكثر من 4000	1693
CFP/SOCG-01, p.54	أكثر من 10.000	94-1693
CFP/SOCG-01, p.54	2.000 يوناني	1694
CFP/SOCG-03, p.377	2.800	1698
CFP/SOCG-03, p.408	أكثر من 20.000 مسيحي	1701
CFP/SOCG-03, p.414	أقل من 3.000 مسيحي	1701
Gueludville in Cresti, 159	4000	1719
CFP/SOCG-04, p.491	أقل من 5.000	1721
Fau in cristi	10.000-9000	1729
CFP/SOCG-06, p.210	أكثر من 5.000	1729
CFP/SOCG-05, p.516	أكثر من 4.000	1734
Shaw in Christi	حوالي 2.000	1738
Bombard, vol 02, p.210	7.000	1749
CFP/SOCG-06, p.210	7.000-6.000	1749

1763	3.000	*CFP/SOCG-07, p.122*
1773	2.000 يحتمل أنهم كاثوليك	*CFP/SOCG-06, p.210*
1774	1.900 كاثوليكي	*CFP/SOCG-07, p.653*
1779	3.000 كاثوليكي	*Thédenat, p.159*
1785	1.800 كاثوليكي، وأكثر من 100 يوناني أرثودكسي	*Bombard, Vol 02, 584*
1785	315 أسير فرنسي تم تحريره من الجزائر	*Trinitaires*
1787	2.000	*Venture de Paradis, 154*
1788	800	*Von Renhinder et Rynal in CRISTI, 159*
1789	500	*Venture de Paradis, 154*

يُظهر لنا الجدول السابق، تراجع عدد الأسرى المسيحيين في الجزائر، منتصف القرن الثامن عشر؛ وفي الوقت نفسه يفسّر لنا مدى التقارب في الوثائق والأرقام المقدمة. ففي سنة 1701، ومن خلال وثيقتين يَظْهَرُ مدى الخلط في المعلومات، حيث تحصي الوثيقة الأولى: 20 ألف أسير، في حين تقدم لنا الوثيقة الثانية 4.000 أسير كانوا متواجدين بالمدينة؛ وهذا ما يؤكد أن الإحصائيات تبقى جزئية. "وفي المقابل يطلعنا توماس شاو، الذي اشتغل كقس في القنصلية الانجليزية بالجزائر (1720-1732)، عن وجود ألفي أسير بالجزائر"[25]، في الوقت الذي يحصي فيه الجدول حوالي 5000 أسير سنة 1721، و9000-10.000 أسير سنة 1729.

[25] Shaw Thomas, Travels and Observations relating to several parts of Barbary and the Levant, 2nd Ed, London: Oxford, 1723 p.68.

ويمكن ملأ بعض الفراغات التي خلفها الجدول أعلاه، من خلال الاعتماد على بعض المصادر الإضافية. ففي سنة 1752 مثلا: قام الأب رامون خوسي روبيليدا وتوماس كاسكو، بعملية فدية لصالح مدينة فالنسيا، حيث أقلعا في 09 ديسمبر من برشلونة، ونجحا في تحرير 240 أسير.[26]وفي سنة 1765 يخبرنا السجل السنوي للحكومة الإنجليزية؛ عن قيام 4.000 آلاف أسير مسيحي في الجزائر بالثورة.[27]

وتؤكد تقارير إسبانية أن بحارة الجزائر، أسروا في أفريل 1717، 120 اسباني من مقاطعة نافارا، بينهم أفراد من الجيش والمدنيين، وفي سنة 1723 تم أسر 240 اسباني.[28]

خلال الفترة الممتدة بين سنتي 1747-1807، وقعت أكثر من 20.000 رحلة من شمال أوربا؛ إلى ما وراء رأس فينستر، منها أكثر من 15.000 رحلة توجهت نحو المتوسط.[29] ما يثبت أنّ أعداد هائلة من سكان هاته المناطق تم أسرهم من قبل بحارة المغرب الإسلامي. "فمثلا بين سنتي 1716-1754؛ 19 سفينة دنماركية أسرها الجزائريون، تحمل 240 فرد".[30]وغادرت في سنة 1724، السفينة *(Hoffnung)* (الأمل)، مدينة نانت، تحت اللواء الهامبورغي، رغم أن كل طاقمها كان من الدنمارك: ثلاثة من أمروم، وواحد من جزيرة فوهر، وثلاثة من ألب *(Elbe)* ؛ حيث تم احتجازها من قبل بحارة الجزائر.[31]

---

[26] The Order of Blessed Virgin Mary of Mercy (1218-1992), A Historical Synthesis, Rome: Mercedarian Library Vi, 1997, 107.

[27] Outbreak of 4000 Christian slaves at Algiers, Annual Register, 1765, p.60.

[28] Maximilliano Barrio Gozalo, "Los Cautivos Espanoles en Argel Durente el Siglo Illistrado", Caud Diechioch, N. 04, 2003 , p.139.

[29] Dan H. Andersen, Hans-Joachim Voth, "The Grapes of War: Neutrality and Mediterranean Shipping Under The Danish Flag, 1750-1807", op.cit., p.04.

[30] Peter Madsen, "Danish Slave in Barbary", Copenhagen University Press, Nov 2010, p. 2.

[31] Marti Rheinheimer, "From Amrum to Algiers and Black: The Reintegration of a renegade in the Eighteenth Century", Central European History, Vol. 36, N°02, 2003, p.209.

وتقدم لنا إحدى الإحصاءات، المتعلقة بأسرى الدنمارك، هامبورغ وليباك أنه بين سنتي 1590-1830، وجد بين 5.000-8.000 أسير، تم تحريرهم من الجزائر. بنسبة افتداء ناجحة بنسبة 80%-90%؛ أي أن أغلب أسرى شمال أوربا، كان يتم افتداؤهم بسرعة.[32]

إن الوثيقتين العربيتين الرسمية، التي تتطرق إلى الغنائم والأسرى، هما التشريفات وسجل الغنائم، ولإعطاء نوع من التوزان في الدراسات، قمنا بإنجاز هذا الجدول من خلال دفتر التشريفات 1736-1791:[33]

«إحصاء الأسرى من خلال سجل التشريفات 1736-1791»

السنة	الأسرى	السنة	الأسرى
1736	1063	**1746**	783
1737	931	**1747**	821
1738	705	**1748**	1003
1739	569	**1749**	950
1740	414	**1750**	1063
1741	499	**1751**	1773
1742	530	**1752**	609
1743	582	**1753**	632

[32] Magnus Ressel, "The North European Way of Ransoming, Explorations into an Unknown dimension, Modern Welfare State", Historical Social Research, Vol35, N°4, 2010, p.139.

[33] A. De Voulx , Tachrifat Recueil de Notes Historiques sur L'administration de L'ancienne Régence d'Alger, Alger: Imprimerie du Gouvernement, 1852, p.131-133.

1744	793	**1754**	591
1745	741	**1755**	564
1756	694	**1774**	1376
1757	1561	**1775**	1373
1758	1571	**1776**	1468
1759	1753	**1777**	1501
1760	1941	**1778**	1369
1761	1993	**1779**	1481
1762	1902	**1780**	1494
1763	1900	**1781**	1586
1764	1920	**1782**	1532
1765	1944/1904	**1783**	1507
1766	2004	**1784**	1520
1767	2062	**1785**	1372
1768	1131	**1786**	1426
1769	1226	**1787**	572
1770	1323	**1788**	574
1771	1320	**1789**	659

1772	1190	**1790**	715
1773	1326	**1791**	715

يعطي لنا دفتر التشريفات احتمالين، باعتباره وثيقة رسمية موثوقة: الاحتمال الأول، أنه خلال القرن 18م، لم تتجاوز الغنائم 2000 أسير، وهذا يثبت أن هذه الإحصائيات تقدم لنا تقديرات فصلية، فمثلا: هناك إحصاءين سنة 1765، الاول في 24 ذو الحجة، والثاني 27 ذو الحجة. أما الاحتمال الثاني: فهو أن الإحصائيات التي قدمها لنا الدفتر، تثبت الأغلاط التي قدمتها لنا الوثائق والمشاهدات الأوربية. "خاصة وأنها تتطابق مع ما قدمه لنا فونتير دو براديس (أقام في الجزائر بين سنتي 1788-1790)، والذي قدر عددهم بين 1.800-2.000.[34] كما يقدم لنا تقرير رسمي أمريكي، 09 جولية 1790، معلومات عن وجود حوالي 300 أسير بالجزائر، بعد أن حرّر الاسبان والنابوليون وعدد من الأمم الأخرى أسراهم؛ وبين سنتي 1787-88 تناقص عددهم إلى 700 أسير، بعد أن كان عددهم 780 أسير نتيجة الطاعون الذي ضرب المدينة. أغلب هؤلاء الموتى كانوا إسبانا فروا من الحاميات الإسبانية بوهران.[35]

ب- الأسرى المسيحيون بالجزائر 1791-1815:

شهدت هذه الفترة، كما أشرنا سابقا دخول الولايات المتحدة الأمريكية إلى البحر المتوسط، كتجارة نامية تغري بحارة الجزائر؛ خاصة وأنها لم تعقد أي معاهدة مع الجزائر، "ففي سنة 1791 وحدها تمكن الجزائريون من أسر 11 سفينة امريكية، تحمل 109 بحار".[36]

[34] Jean-Michel Venture de Paradis, Alger et Tunis au xviii e siècle, Paris, Éditions Sindbad, 1983, p.161.

[35] American State Papers: Documents of the Congress Of The United States, From The First Session Of The First To The Third Session of the Thirteenth Congress, Inclusive: Commencing March 3, 1789, and Ending March 3, 1815. , Class I, Foreign Relations, Vol. 01, Washington: Gales- Seaton, 1832, p.119.

[36] Allen, Gardner W., op.cit, p.16.

ويوضح الجدول التالي عدد الأسرى الذين كانوا متواجدين بالجزائر، بين سنتي 1793-1805، من خلال مصادر مختلفة:[37]

«إحصاء عدد الأسرى 1793-1805»

السنة	عدد الأسرى	المصدر
1793	1200، 600 أسير في كل سجن	*Jhon Foss, 125*
1796	70	*Alasia in Cristi, 159*
1801	500	*Vicherat in Cristi, 159*
1805	1200	*Jonssony*

أما دفتر التشريفات فيقدم لنا أرقاما أكثر دقة واستمرارية، فيما يتعلق بالأسرى المتواجدين بالجزائر:[38]

«إحصاء عدد الأسرى 1792-1815»

السنة	عدد الاسرى	السنة	عدد الأسرى
1792	832	**1802**	772
1793	755	**1803**	946
1794	896	**1804**	901
1795	730	**1805**	1022

[37] Robert Davis, Esclaves Chrétiens, Maitres Musulmans…, op.cit, p.315.

[38] DeVoulx A., Tachrifat…, op.cit, p.133-134.

1796	659	**1806**	1228
1797	546	**1807**	1267
1798	1168	**1808**	1422
1799	1019	**1809**	1545
1800	860	**1810**	1357
1801	545	**1811**	1345
1813	1475	**1815**	1525
1814	1656	**1816**	1450

نلاحظ من خلال الجدول أعلاه، أن الارتفاع المحسوس للأسرى في الجزائر، حدث بين سنتي 1807-1815، والذي نرجعه إلى تجدد الحرب الجزائرية التونسية؛ وكذا استباحة الجزائر للسّفن اليونانية التي كانت تتبع للدولة العثمانية، إضافة إلى عودة التوتر للعلاقات الجزائرية الأمريكية والدويلات الايطالية.

والجدول التالي يوضح الدّول التي كان يتواجد أسراها بالجزائر، خلال سنوات 1811-1815:[39]

«إحصاء عدد الأسرى من خلال سجل التشريفات 1811-1815»

السنوات	**أسرى الدول**
1811	البرتغال، 362؛ نابولي، 634؛ النمسا، 06؛ سردينيا، 34؛ رومانيا، 53 اليونان، 116؛ صقلية، 242؛ الاسبان، 49.

[39] DeVoulx A. , Tachrifat…, op.cit, p.135-136.

1813-1812	رومانيا، 52؛ نابولي، 634؛ فرنسا، 52؛ الولايات المتحدة الأمريكية، 24؛ الاسبان، 08، اليونان، 372؛ صقلية، 285؛ النمسا، 10؛ سردينيا، 34، مليلية، 159، الفلامند، 18.
1815-1814	رومانيا، 174؛ نابولي، 693؛ الولايات المتحدة الأمريكية، 10؛ اليونان، 30؛ صقلية، 325؛ النمسا، 26؛ سردينيا، 33، الفلامند، 26، مايوركا، 06؛ تابولسا، 05، مليلية، 159.

وبعدد الاطلاع على سجل الغنائم، ارتأينا وضع جدول توضيحي، لغنائم كل سنة على حسب ما جاءت في السجل، بين سنتي 1797-1815:[40]

«إحصاء عدد الأسرى من خلال سجل الغنائم 1791-1801»

السنة	عدد الأسرى	السنة	عدد الأسرى
1791[41]	س[42]، 17+05 سفن (؟)[43] = 57-77	**1798**	س، 04؛ 05؛ 10+39س (؟) = 331-487
1792	06 س (؟)= 48-172	**1799**	س، 06؛ 16؛ 09؛06؛22 12؛ 05؛ 43؛ 79؛ 66؛ 86؛

[40] Devoulx Albert, Le registre des prises maritimes…, op.cit., p.52-102.

[41] لم يقدم لنا السجل في غالب السنوات، عدد الأسرى المتواجدون على متن السفن؛ لكن من الواضح أن السفن التجارية، كانت تحمل بين 08-12 فرد، فمثلا في سنة 1793 تمكن الجزائريون من أسر 11 سفينة أمريكية، تحمل على متنها 109 فرد، أي بمعدل 11 فرد في كل سفينة. لكن عكس السفن التجارية؛ فإن السفن الحربية كانت تحمل أكثر بكثير، إضافة إلى أن سفن كل دولة كانت تختلف في تجهيزاتها عن الأخرى، فمثلا: لم يسلح الأمريكيون ودول شمال أوربا سفنهم؛ عكس الهولنديين والإنجليز والفرنسيين. أنظر: Robert Davis, "Counting European Slaves on the Barbary Coast", op.cit.

[42] **س**: السفن وعدد الأسرى المحملين على متنها.

[43] (؟): سفن مجهولة العدد، وهنا سنأخذ المتوسط بين 8-12 فرد عن كل سفينة تجارية.

			16؛ 10؛ 27؛ 10+ 13س (؟) =559-507
1793	س، 09؛ 18+ 13س (؟) = 183-131	**1800**	س، 50؛ 10؛ 18+ 15س (؟) = 258-198
1794	س، 55؛ 76+ س01 (؟) = 143-139	**1801**	س، 09؛ 3س (؟) = 45-33
1795	س، 14؛ 51+ 06س (؟) = 137-113	**1802**	س282[44]؛ 31؛ 09؛ 18؛ 11 17+ 13س (؟) = 522-485
1796	س، 21؛ 08؛ 09؛ 52+ 05س (؟) = 150-130	**1803**	161س، 65
1797	س، 10؛ 28؛ 09+16س (؟) = 239-175	**1804**	س، 08؛ 16؛ 42؛ 13+ 3س(؟) =115-103
1805	س، 32؛ 58؛ 23؛ 46= 159	**1811**	04س(؟)=32-48 (منها 03 سفن تونسية)
1806	س، 33+ 04س (؟) =65-81	**1812**	س، 16؛ 04؛ 09س (؟) = 128-92
1807	س، 30؛ 10؛ 09؛ 16 + 04س (؟) =178-158	**1813**	س، 08+ 02س(؟) = 32-24
1809	س، 18؛ 59؛ 22+ 01س (؟)	**1814**	17س (؟) = 284-136

[44] السفينة التي كانت تحمل على متنها 286 فرد، هي سفينة حربية.

		= 111-107	
1810	لم يقدم لنا معلومات؛ سوى عن سلع تونسية، كانت على ظهر سفن أوربية	**1815**	س250+ 05س (؟) = 290-310 (منها سفينة مغربية)

ج- الانهيار الكلي لأعداد الأسرى في الجزائر:

مع نهاية سنة 1816، شهد عدد الأسرى في الجزائر، انخفاضا معتبرا؛ وهذا لعدة اعتبارات لعلّ أبرزها: الحملة الأمريكية والانجليزية على الجزائر 1815-1816، والتي أضعفت البحرية الجزائرية، ثم تلاها مؤتمر إكس لا شابيل الذي فرض قيودا جديدة، تمنع العبودية المسيحية في العالم الإسلامي وغيرها من المناطق في العالم.

بعد انعقاد مؤتمر فيينا 1815، الذي دعا إلى ضرورة عمل الدول الأوربية على إنهاء "العبودية البربرية"، أرسل اللورد إكسموث أوائل سنة 1816 إلى منطقة المغرب الاسلامي حيث استطاع تحرير 1792 أسير من المنطقة؛ مع تصريح بضرورة إنهاء "العبودية المسيحية" والقرصنة بالبحر المتوسط. ولكن بحارة الجزائر استمروا في ملاحقة سفن الدول المعادية وجاءت قضية صيادي المرجان الأوربيين الذين توفوا بعنابة؛ كحجة للقيام بحملة ضد الجزائر سنة 1816.[45]

[45] Abraham Salamé, op.cit, p.2.

وخلال الحملة الثانية في أوت 1816، تم تحرير 1642 أسير من مختلف الجنسيات:[46]

«إحصاء عدد الأسرى خلال الحملة الانجليزية على الجزائر 1816»

الدولة	عدد الأسرى	الدولة	عدد الأسرى
الصقليتين	1110	النمسا	02
سردينيا وجنوة	62	البرتغال	01
بيدمونتاز	06	اليونان	07
فرنسا	02	هولندا	28
رومانيا	174	اسبانيا	226
توسكانيا	06	**المجموع**	**1624**

يؤكد الجدول حقيقة تتمثل في أن أغلب الأسرى خلال هذه الفترة؛ كانوا من الدويلات الإيطالية؛ وهذا راجع لعدة اعتبارات تتمثل في: ضعف هذه الدويلات، وانحصار نشاطها في العمل التجاري، عكس دول أخرى كإنجلترا وفرنسا؛ التي اهتمت بعملية التوسع والسيطرة في المتوسط. يضاف لهذا قرب هذه الدويلات من الجزائر، ما يجعل من السهل على بحارة الجزائر مهاجمة سواحلها.

[46] Edward Osler, Esq., op.cit, p.335.

لكن اعتبارا من هذه السنة نلحظ، انهيارا شبه كلي لأعمال "القرصنة" الجزائرية، التي لم تعد تشكل المورد الأساسي للاقتصاد الجزائري، وهذا ما يؤكده سجل الغنائم البحرية:[47]

«إحصاء عدد الأسرى خلال سجل الغنائم 1817–1827»

السنة	السفن المأسورة	السنة	السفن المأسورة
1817	4س (؟)= 32-48	**1823**	--
1818	4س (؟)= 32-48	**1824**	غنائم إسبانية (؟)+ غنيمة مجهولة
1819	--	**1825**	--
1820	تم أسر سلع تعود لتونس	**1826**	07س إسبانية (؟)+ سفن
1821	--	**1827**	04س (منها سفينتين فرنسيتين)
1822	--	--	--

إن الأرقام الظاهرة أعلاه، تؤكد مدى التدهور؛ الذي وصلت له البحرية الجزائرية، حيث لم تعد قادرة على تجديد نفسها، واستمرت في استخدام سفن حربية بدائية، من نوع: الشباك البريك، الغراب... وغيرها من السفن التي أصبحت في أوربا تستخدم في الصيد. ونلاحظ أن السجل لم يسجل أية أرقام في العديد من السنوات المتتالية 1821، 1822، 1823، حتى أنه

[47] Devoulx Albert, Le registre des prises maritimes…, op.cit., p.102-112.

"عند دخول الفرنسيين الجزائر سنة 1830، لم يجدوا سوى "120 أسير".[48] ولإحداث نوع من التوازن، قمنا بعملية إحصاء للأسرى المسلمين في العالم المسيحي.

د- إحصاء الأسرى المسلمين بأروبا 1671-1830:

إن قضية إحصاء المسلمين في أوربا، تعتبر أكثر صعوبة من إحصاء الأسرى الأوربيين في العالم الإسلامي، كون الأسرى المسلمين لم يخلّفوا لنا شهادات عن فترة أسرهم في العالم الإسلامي، وكل ما وصلنا هو مجرد رحلات؛ في الغالب كتبها "فكّاكّون" أرسلهم الملك المغربي لافتداء الأسرى المتواجدين في إسبانيا.

يمثل الجدول التّالي عدد الأسرى الذين تمّ بيعهم في قادس، خلال الفترة الممتدة بين 1650-1750:[49]

«إحصاء عدد الأسرى الذين بيعوا في قادس 1650-1750»

السنوات / الأصل	1650 1655	1660 1665	1670 1675	1680 1685	1690 1695	1700 1720	1725 1750	المجموع الإجمالي
"بربري"	24	82	84	56	40	--	--	286
عربي	124	233	329	69	11	08	04	778
تركي	01	11	06	11	58	21	01	109

يؤكد الجدول أن أغلب الذين وقعوا في الأسر بمدينة قادس، كانوا مواطنين عاديين وهذا كون 1064 "بربريا وعربيا" وقعوا في الأسر؛ حيث أن سكان المغرب الاسلامي لم يجنّدوا

[48] Robert Davis, Esclaves Chrétiens, Maitres Musulmans…, op.cit, p.315.

[49] Arturo Morgado García, " El mercado de esclavos en el Cádiz de la Edad Moderna (1650-1750)", Tiempos Modernos, Vol.18, p.08.

في الجيش العثماني، مقابل 109 تركي؛ فالأتراك كانوا في الغالب يجندون في البحرية والجيش ويبدوا أنهم وقعوا أسرى نتيجة معارك بحرية أو برية. ويمكن أيضا أن نلاحظ أن الأسر بلغ أوجه في المدينة بين سنتي 1550-1695؛ وهي نفسها الفترة التي شهدت القرصنة أوجها في البحر المتوسط، فيما يعرف "بالقرن الذهبي للقرصنة".

ويعتقد سالفاتوري بونو أن الفترة الممتدة بين سنتي 1500-1800؛ شهدت تواجد 120.000-80.000 مسلم بالدويلات الإيطالية؛ في الغالب بجنوة، ليفورنو، نابولي، باليرمو.[50] أما باحثون إيطاليون فيعتقدون أن عدد المسلمين الذين أخذوا من شمال إفريقيا "كعبيد" باتجاه إيطاليا؛ بلغ عددهم نصف مليون خلال القرنين 16-17، حيث أنهم في الغالب كانوا يستخدمون للعمل في الغاليارات.[51] وقد كانت الأسواق الرئيسية لهؤلاء الأسرى: نابولي، ماسينا، وباليرمو... ومع مطلع القرن السابع وجدت أكبر الأسواق في ليفورنو ونابولي.[52] ويؤكد بروديل أن ليفورنو وحدها، كان بها أكثر من 10 آلاف أسير خلال القرن 17م.[53] وأواخر هذا القرن وجد 10 آلاف أسير مسلم بمالطة.[54]

اعتمدت البحرية المالطية في المقام الأول على الغليارات؛ حيث أن كل غليارة كانت تحتوي 26 مقعد تجديف (كل مجداف يحتاج ثلاثة مجدفين)؛ أما البوارج فكانت تضم 30 مقعد تجديف، رغم أن بعض مصادر تلك الفترة تؤكد لنا أن سفن الفرسان كانت أقوى من نظيراتها في البحر المتوسط. ففي سنة 1629، أكد أحد الشهود أن الغاليه الحربية المالطية كان

[50] Monique O'Connell, "The Itallien Renaissance in the Mediterranean or between East and West?", California Italian Studies, 2010, p.13.

[51] Jhon Lucassen, "The Mobility Revisited, 1500-1900: What the Case of Europe can Offer to Global History?", Global History, Vol. 03, 2009, p.10.

[52] Moulay Ali Bouânani, "Propaganda for empire: Barbary captivity literature in the US", Journal of Transatlantic Studies, vol. 7, 2009, p. 399.

[53] Braudel Fernand, " L'economie de la Méditerraneé aux 17 Siecle", C.T, 1956, p.198.

[54] Jacques Godechot, "La course maltaise le long des côtes barbaresques", R.A, N.96, 1952, p.106.

طولها 42 متر؛ وأكد آخر أن البارجة وصل طولها 58 متر.[55] وفي الفترة الممتدة بين سنتي 1580-1630، وجد المئات من المسلمين (مغاربة وأتراك) على متن الغاليارات الإسبانية، المتمركزة في قرطاجنة وهافانا وسانتا دومينغو.[56] وتشير العديد من المصادر أن "قراصنة" فرسان سان سيباستيان، المؤسسة في توسكانيا سنة 1549، تمكنت من أسر 15 ألف مسلم سنة 1678.[57] وتؤكد بعض التقارير الإحصائية أنه من بين 7970 مجدف في السفن الفرنسية، كان يوجد 2040 "تركي".[58]

بعد أن أسر الاسبان السفينة الإنجليزية *(Sarah)* سنة 1669، كتب قبطانها يؤكد أن 40 جزائري كانوا على متنها.[59] وفي مارس من نفس السنة، وجد على متن السفينة "نجمة الصباح" الإنجليزية مجموعة شباب جزائريين، تمّ افتداؤهم فيما بعد من قبل الحكومة الجزائرية.[60] واستولى لاوسون الإنجليزي في سنة 1667 على بارجة جزائرية تحمل 260 بحار... وفي سنة 1670 استولى الإنجليز على سبعة سفن حربية جزائرية (حوالي 260 بحار في كل سفينة).[61]

واستولت في ماي 1675، بعض السفن المسيحية على سفينتين جزائريتين بالقرب من القل؛ تحمل 22 جزائري وجّهوا نحو مالطة، وفي نفس السنة تمكن بحارة من إبيزا (جزر البليار) من

---

[55] John McManamon, "Maltese seafaring in mediaeval and post-mediaeval times", Mediterranean Historical Review, Vol. 18, 2003, p.49.

[56] David Wheat, "Mediterranean Slavery, New World Transformations: Galley Slaves in the Spanish Caribbean, 1578–1635", Slavery & Abolition: A Journal of Slave and Post-Slave Studies, Vol. 31, 2010, p.328.

[57] Moulay Belhmissi, Les Captifs Algériens et l'Europe Chrétienne, Alger: Entrepris Nationale de Livre, 1990, p.17.

[58] Boyer Pierre, "La chiourme turque des galères de France de 1685 à 1687", Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, N.06, 1969.

[59] Nabil Matar,"The Last Moors: Maghariba in Early Eighteen Century Britain", Islamic Stadies, Vol.14, 2003, p.14.

[60] Nabil Matar, "Muslims in Seventeenth century England", Islamic Studies, Vol.08, 1997, p.73.

[61] William Laird Clowes, op.cit, p.422-483.

الاستيلاء على سبعة سفن جزائرية بها: 80 أسير جزائري.[62] وفي سنة 1711 استولى بحارة مالطة على سفينة جزائرية بها 240 جزائري... أما سنة 1754 وبعد معركة بحرية للسفينة الجزائرية دانتزيك ضد سفن حربية اسبانية، أسر 325 بحار جزائري، وجرح 80 آخرين.[63] "وفي رسالة تعود لبحارة جزائريين إلى داي الجزائر سنة 1717/1129، أخبروه فيها أنهم بعد أن أقلعوا من مدينة الجزائر في سفينة فرنسية، تحت قيادة وليام أكليتون *(William Aquilton)*، وبعد أيام في البحر، هبت عاصفة غير متوقعة دفعتهم إلى سواحل صقلية، في منطقة تدعى سيراكيوس *(Syracuse)*، وهناك احتجزوا في إحدى المنازل، انتظارا للفدية، حيث كانوا يشتغلون على السفن الصقلية، ويذكر أن عددهم بلغ 159 رجل، و26 إمرأة وطفل.[64]

وشهدت فترة حكم لويس الرابع عشر (1647-1715)، ارتفاعا ملحوظا في عدد الأسرى المسلمين، المستخدمين للتجديف على السفن الفرنسية؛ بطلب سنوي بلغ بين 150-200 أسير؛ وبمعدل بلغ بين 10-12.000 أسير، خلال خمسين سنة... ورغم العريضة التي كتبها أربعة أسرى جزائريين إلى الملك الفرنسي لويس الرابع عشر سنة 1694 إلا أنهم بيعوا في جنوة.[65]

وكتب الفارس بينكورت من مالطا إلى الوزير الفرنسي كولبارت سنة 1675:"هناك أوقات لا أملك فيها أي أخبار عن القراصنة (مالطة)، لقد أرسلت 20 أو 25 تركي منذ شهرين إلى فرنسا، ولدي البعض الآخر الذين اشتريتهم بعد أول فرصة سمحت لي، لقد قمت بالتسوق منذ مدّة؛ فالقراصنة جلبوا بعض الغنائم إلى المدينة (مالطا)".[66] وبعد القصف

---

[62] Moulay Belhmissi, Les Captifs Algériens…, op.cit, p.20.

[63] Ibid, p.22-23.

[64] Morgan Josef, op.cit, p.252-255.

[65] Gillian Weiss, "Infidels at the Oar: A Mediterranean Exception to France's Free Soil Principle", Slave and Post-Slave Studies, Vol. 32, 2011, p.399-402.

[66] Berbrugger, "De l'esclavage musulman en France", R.A, N°1, 1856, p.39.

الفرنسي على الجزائر سنة 1683، طالب الحكومة الفرنسية بتحرير الفرنسيين المتواجدين بالجزائر، " فأجابهم (الجزائريون) بأنكم إن أعطيتم أسارى المسلمين الذين عندكم من الترك وغيرهم، وكان الكلّ أكثر من أربعمائة نصطلح فأجاب اللعين بالرضى".[67] ومع سنة 1690 كانت أطماع فرنسا التوسعية في مستعمراتها، تحتاج إلى 1000 مسلم كهدف لإكمال الأعمال الشاقة.[68]

ويذكر الغساني في رحلته إلى اسبانيا لافتداء الأسرى المسلمين (1690-1691)، من قبل الملك المغربي مولاي اسماعيل: "عندما وجدوا انعدام الكتب، أو تعذّر حالها أن يجعلوا عوضها كمال ألف أسير من المسلمين، وحالوا ترك بعض الآلاف".[69]

كان يوجد بدار الصناعة الاسبانية (الترسانة) ***Arsenal*** سنة 1764، حوالي 994 أسير أغلبهم مغاربة وأتراك، يلقبون بعبيد الملك ***"Esclavo Del Rey"***.[70]وفي سنة 1770 وجد بجنوة، حوالي 350 أسير، أغلبهم رجال حكم عليهم بالتجديف؛ أما النساء فقد منحوا لأغنياء المدينة، للقيام بالأعمال المنزلية.[71]

وكمقارنة بسيطة أدت المعاهدة الاسبانية الجزائرية 1786، إلى إطلاق الاسبان لـ 1200 أسير مسلم، مقابل أن يطلق الجزائريون 785 أسير إسباني. [72]وعند احتلال نابليون لمالطا سنة 1798، قام بتحرير 2000 مسلم، كانوا يشتغلون على متن السفن المالطية.[73]

---

[67] ابن رقية التلمساني، مصدر سابق، ص31.

[68] Gillian Weiss, op.cit, p.403.

[69] محمد الغساني الأندلسي، رحلة الوزير في افتكاك الأسير 1690-1691، تح. نوري الجرّاح، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ضبي، 2002، ص85.

[70] Manuel Labo Cabrera, "La Esclavitud en España en la Edad Moderna; Su Investagac¡on en Los Eltimos Cincunta Años", <u>Hispania</u>, Vol.03, N.176, p.1101.

[71] Ariel Salzmann, "Migrants in Chains: On the Enslavement of Muslims in Renaissance and Enlightenment Europe", <u>religions</u>, Vol. 03, Sept 2013, p.392.

[72] أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا (1492-1792)، مرجع سابق، ص509.

حسب روبيرت دافيس؛ فإن حوالي مليون مسلم تم أسرهم في منطقة المغرب الاسلامي. لكن مقارنة بسيطة، توضح ملابسات الدراسة، فأليساندرو ستيلا استنتج وجود حوالي 700-800 ألف عبد أسود نقلوا عبر اسبانيا والبرتغال بين سنتي 1450-1750، وأضاف 300-400 ألف مسلم. وعندما نضيف العبيد الذين ولدوا في الجزيرة الإيبيرية، جزر البيلار وجزر الكناري؛ فإن العدد سيقفز إلى مليونين. أما سالفاتوري بونو فيستنتج أن حوالي مليوني مسلم على الأقل نقلوا إلى السواحل المسحية؛ مع حقيقة تثبت أن المسيحيين افتدوا أكثر من المسلمين.[74]

2- النساء المسيحيات في الجزائر:

تبقى معالجة قضية النساء المسيحيات في الجزائر، أو حتى أسر النساء في البحر المتوسط عامة، غير واضحة بالشكل الذي يمكن الباحثين من إثرائها؛ فكل من الديانة المسيحية والإسلامية، ترفض معالجة القضايا الجنسية للمرأة، وتدخلها في إطار المحرمات *(Taboos)*، وحتى النساء الأسيرات لم يتناولن الجوانب الجنسية لحياتهن كأسيرات في العالم الاسلامي احتراما لخصوصيات المجتمعين الإسلامي والمسيحي، وبين هذا وذاك فقدت العديد من المعلومات بعد وفاة صاحبتها مباشرة.

أ- داخل الحريم:

تعرف موسوعة المعارف الاسلامية الحريم: "هي تلك الأجزاء المحرّم الدخول إليها من المنزل، وهو المسكن الخاص بالنساء...وإذا كانت الطبقات الوسطى والفقيرة في العالم الاسلامي غالبا ما تتزوج مرة واحدة، فإن الأغنياء كانوا يتزوجون أربع مرّات، إضافة إلى الخليلات (الجواري) والمخصيين من الرجال؛ الذين كانوا يبقون في الحريم".[75]

---

[73] Moulay Belhmissi, Les Captifs Algériens…, op.cit, p.28.

[74] Daniel Bernardo Hershenzon, op.cit, p.29-30 .

[75] "Harim", The Encyclopedia of Islam, Vol. 03, op.cit.

إن الكثير من الرحالة الأوربيين قدّموا لنا صورة حسنة، عن معاملة ملاك الأسرى بالعالم الاسلامي للأسرى من المسيحيات؛ "فالنساء في الغالب لا يتم ضربهن أو جلدهن؛ رغم أن الكثير منهن يتم إخفاؤهن في الحريم".[76] في سنة 1678 سافر الكاتب المسرحي الفرنسي الشهير جين فرانسوا رينار، على متن السفينة الملكية البريطانية على طول السواحل الإيطالية، وفي طريقه من روما إلى مرسيليا، تمّ أسره من طرف بحارة الجزائر وبرفقته إحدى النبيلات الفرنسيات حيث بيعت في سوق الجزائر؛ ورغم أن الكاتب تمّ تحريره بعد تسعة أشهر؛ إلا أن المرأة اختفت في الحريم، ولم يسمع عنها بعد ذلك.[77]

كان يدار الحريم في الغالب من طرف المخصيين *(Eunuch)*، وهم أسرى تم نزع جهازهم التناسلي، سواء لارتكابهم أخطاء أو لأنهم ولدوا عبيدا، وهذا الأمر كان رائجا في العالم المسيحي أيضا، ويوضح ذلك فولتير: "لقد ولدت في نابولي، أين يتم إخصاء ثلاثة أو أربعة آلاف طفل سنويا، حيث يموت العديد منهم بعد العملية، والناجون يتم إرسالهم ليحكموا بلدا وإمبراطوريات".[78]

إن قضية المرأة في المجتمع الاسلامي، كثيرا ما كان ينظر إليها في المجتمع الغربي نظرة الكائن الضعيف والمقهور؛ لكن داخل الحريم فالمرأة ليست مجرّد أمة ووسيلة جنسية، ومهما يكن فإن المرأة في الحقيقة، كانت مخلوقا مندمجا بعمق في المجتمع الاسلامي.[79]وأغلب نساء الحريم هن نساء دخلن الإسلام وتزوّجن المالك، وأصبح لهن تأثير واضح في السياسة والحياة الاجتماعية.

[76] Daniel Panzac,, op.cit, p.16.

[77] Diane Long Hoevler, Jerry Cass, interrogating Orientalism: Contextual approaches and Pedagogicals PR, Ohio University Press, 2006, p.51.

[78] Voltaire, Candide or The optimist and Prince Samuel Johnson, London: George Routledge and Sons 1888, p.35.

[79] Yvonne J. Seng, “Invisible Women: Residents of Early Sixteenth-Century Istanbul” Women in the Medieval Islamic World: Power, p.atronage, and Piety, New York: St. Martin’s Press, 1998, p.242.

فبعد أن زنا تيدنا مع إحدى نساء المدينة، في حديقة باي معسكر، قرر الباي معاقبته لجرمه؛ لكن: "هنا تدخلت منقذتي التي كانت تتمتع بنفوذ كبير على زوجها، مستعملة ما في وسعها لتهدئته وتبرأتي من التهمة... بهذه الحجج وغيرها استطاعت السلطانة أخيرا، أن تهدأ زوجها".[80]

وكانت النساء المتحوّلات للإسلام متأثرات بوضعية الأسرى المسيحيين بالجزائر؛ "حيث يرسلن الصدقات بإسم الرب، ويذهبن إلى القدّاس، ويعطين المساعدات إلى الكنيسة، وينتظرن الأسطول الأوربي لتحريرهن".[81]

لاقت القصص التي ألفها الرواة عن وضعية النساء المسيحيات في الأسر، رواجا واسعا في العالم المسيحي؛ ولعلّ أشهر الروّاة النساء اللاتي لاقت رواياتهن رواجا، الانجليزية بينيلوب أوبين فروايتها *The Noble Slaves: Being an Entertaining History of the Surprising Adventures, and Remarkable Deliverances, from Algerine Slavery, of Several Spanish Noblemen and Ladies of Quality* طبعت ستة مرّات سنة 1722، وعمّت كلاّ من انجلترا والمستعمرات الانجليزية في العالم الجديد، وكذا روايتها التي نشرت سنة 1721، *The Strange Adventures of the Count de Vinevil and His Family; Being an account of what happened to them whilst they resided at Constantinople*، طبعت ثلاث مرّات خلال نفس السنة. وعالجت رواياتها وضعية النساء المسيحيات داخل الحريم والمعاناة من العبودية.[82]

[80] تيدنا، الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني (مذكرات تيدنا أنموذجا)، تر. عميراوي أحميدة، دار الهدى، الجزائر، 2009، ص67-68.

[81] Johanna toth, The Muslims of Algiers in Antonio de Sosa's Topographia, E Historia General de Argel (1612), A Thesis for the Degree of Master of Arts in Comparative History, Central European University, Budapest, May 2013 , p.73.

[82] Diane Long Hoevler, op.cit, p.51-51.

ويؤكد الباحث ساندر "أن أوبين ركّزت اهتمامها على أسرى القارة الأوربية، المجهولون من الرجال النبلاء، الرهبان، والنساء، واعتمدت عناوين وصفية لم تذكر في الروايات الحقيقة للأسيرات".[83]

وعبرت أوبين في مقدمتها أن المسلمين يفتقدون لمعنى الحريّة، ويستغلّون النساء المسيحيات جنسيا: "في أمتنا، أين يولد المواطنون أحرارا، أين تعتبر حريّتهم وممتلكاتهم محفوظة باسم القانون، ذلك أنه لا يحق لأي أمير أن يستعبدنا...لا يمكننا التفكير دون رعب، عن أولئك الذين تنتظرهم المأساة، في بلدان تعتبر فيها الملكية مطلقة... تجعل من الآخرين عبيدا؛ فالأتراك والمغاربة مشهورون بهذه القسوة... أين يعتقد الحاكم أنه لا جريمة في استخدام النساء لمصلحته، أين تدفعه رغبته الجنسية الفطرية إلى الإعجاب".[84]

وتعطي لنا إليزا هايوود *(Eliza Haywood)* نظرة مختلفة نوعا ما عن أوبين، بعد أن تبعتها في نفس الحقل، وأنتجت مجموعة روايات؛ حيث أظهرت في العديد من أعمالها، أن الآسر المسلم يعتبر أكثر انسانية من نظيره الأوربي، كأعمالها: *(Idalia)* سنة 1723، التحقيق العقيم 1727، و*(Philidore and Placentia)* سنة 1727.[85]

ورغم أن الأمريكيين لم يكن لهم أسيرات بكثرة في الجزائر؛ إلا أن روانسن افتتحت مسرحيتها *"Slaves in Algiers"* 1790، "وهي تجسد امرأة أمريكية تدعى ريبيكا وابنها أغسطيس تنتظر أموال فديتها من أمريكا. لقد كانت تجهل أن مالكها بن حسن اعترض المال، وأبقاه في حوزته واستمر في أسر ريبيكا، وهو يحاول إقناعها بالزواج منه".[86]

---

[83] Diane Long Hoevler, op.cit, p.51.

[84] Ibid, p.52.

[85] Ibid.

[86]Miriam López Rodríguez, Maria Dolores Carrion, Women's Contribution to Nineteenth-century American Theatre,2004, Valencia: Biblioteca Javier Coy d'estudis Nord Americans, p.18.

ويخبرنا توماس سميث عن مغامرته داخل القصر، باعتباره طبّاخ الباشا، وكيف أن إحدى زوجات الباشا أحبته، وطرده من قبل الباشا بعد الشكّ فيه؛ "ليرسل للعمل في الحقول... ويؤكد أنه عرض عليها الزواج، مذكّرا إياها بالحياة المسيحية السعيدة، التي تعتبر أفضل من العيش بجانب رجل عجوز، وأنهما يستطيعان الهرب من الجزائر...لكنّها رفضت لأنها كانت تملك طفلين وتخاف المغامرة"[87]

وأعطى لنا أيضا صورة عن المنافسة بين الزّوجات داخل الحريم: "لقد رحلت وتركتني أرثي حالي: ربما واحدة من زوجات الباشا سمّمتها، لأن الباشا كان يحبها أكثر من باقي زوجاته... وقبل ستة أشهر من وفاتها أنجبت طفلة جميلة، بيضاء مثل البياض نفسه، كان يعتقد الرجل المسن (الباشا) أنه أبوها (هنا ربما يشير الكاتب إلى أنه الوالد الحقيقي)... وعملت الفتاة الألمانية على تحريري؛ حيث تكلمت مع قريبها الذي كان يعمل بالقصر على إعطائها وعدا بتحريري بعد وفاتها، وأرسلت لي هدية من ذهب ذات قيمة عالية. لكنه أخلف الوعد وساقني إلى السوق مرّة أخرى".[88]

إن نفوذ المرأة لم ينحصر فقط في التأثير بالزوج؛ بل في كثير من الأحيان تصبح الأسيرة أم الداي وحتى السلطان العثماني نفسه، "فالسيدة آمي دي بوك ريفيري قريبة جوزفين، الزوجة الأولى لنابليون بونابارت، تمّ أسرها من قبل بحارة الجزائر. ومنحها الداي كهدية للسلطان العثماني عبد الحميد (1774-1789)، وأشيع أنها أم محمد الثاني؛ لكن الوثائق أظهرت أن آمي كانت موجودة في فرنسا سنة 1788 بعد ولادة محمد الثاني".[89]

---

[87] T. S, The Adventures of Mr. T.S an English Merchant, Taken prisoner by the Turks of Argiers, and Carried into the inland countries of Africa with a Description of the Kingdom of Argiers, of All the Towns and places of note thereabouts, whereunto is Added a Relation of the Chief Commodities of the countrey, and of the Actions and Manners of the People, London: Printed, and are to be Sold by Moses Pitt at the White Hart in Little Britain, 1670, p.15-24.

[88] Ibid, p.23-24.

[89] Christine Isom Verhaaren, "Royal French Women in the Ottoman Sultans' Harem: The Royal Uses of Fabricated Accounts from Fabricated Accounts from the

ب- معاملة الأسيرات المسيحيات بالجزائر:

يعتقد فولتير في روايته كانديد أن النساء المسيحيات، في الجزائر كن قد اغتصبن جميعا، حيث يذكر عن ابنة البابا أوربان العاشر التي باعها أحد الإيطاليين للداي: "وأنت تفهمين وضع ابنة بابا، في سن الخامسة عشر فقط، والتي في أقل من ثلاثة أشهر سقطت في الفقر والعبودية، واغتصبت كل يوم تقريبا".[90]

ولكن موليير *(Molière)* يقدم لنا المرأة على أنها بعد سنوات من الأسر في شمال افريقية، ما تزال صالحة للزواج في أسرة برجوازية راقية... والظاهر أنه لم يكن من الصعب جدا على امرأة شابة أن تنتهي إلى الحكم؛ بأن زواجا في الجزائر قد لا يكون مختلفا كثيرا عن الزواج في أوربا والأكيد أن مثل هذا الزواج كان أفضل من وضعية وصيفة في البيت مدى الحياة.[91] ويذكر أحد الشهود، أن حملة مراد رايس على جزيرة آيسلندا سنة 1627، أدت إلى وقوع العديد من النساء في يد الجزائريين، "واحدة منهن تزوجت أحد الأعلاج، وعاشت كالملكة، لباسها حرير وأرجواني".[92]

وبعد أن جنّد القرصان الانجليزي وارد في البحرية التونسية، دخل الإسلام وأصبح يسمى يوسف رايس، وتزوّج بإحدى النساء الايطاليات، وكان من فترة لأخرى يرسل المال إلى زوجته التي تركها في انجلترا.[93]

Seexteenth to the Twenty-First Century", Journal of World History, Vol.17, N.02, 2006, p.184.

[90] Voltaire, op.cit, p.70.

[91] جون. ب. وولف، مرجع سابق، ص228.

[92] Helgason, Thorstein, "Historical narrative as Collective Therapy: the Case of the Turkish Raid in Iceland Scandinavian", Journal of History, Vol 22, 1997, p.283.

[93] Kenneth Parker, "Reading 'Barbary' in Early Modern England, 1550–1685", The Seventeenth Century, Vol.19, N.01, 2004, p.90.

وتعبّر الأسيرة ماري فالنات، عن طريقة التعذيب التي كان يمارسها "الأتراك" ضد الأسيرات المسيحيات: "آه، بعد وصولي إلى غرفة التعذيب، وجدت أربعة أتراك تم اختيارهم لتنفيذ أوامر الباشا، قاموا بتجريدي كليّا من ملابسي، واحد من هؤلاء الوحوش أمسكني من شعري، وفي نفس الوقت أمسكني آخر من رجلي، وقاما بطرحي على الأرض فوق آلة مرعبة، تحتوي رماح أو مسامير، بعدها بقليل احترقت جلدي حتى ظهرت العظام".[94] أما ماريا مارتين، فتؤكد التعذيب: "لقد كان يتم إجبارنا مرارا، لأخطاء تافهة على نزع ملابسنا، وبعدها نقف لعدة دقائق داخل نار متأججة، وفي مرات أخرى ترمي (هنا تؤكد أن المعذبة كانت امرأة) الجمر والفحم داخل صدورنا، وفي حضوري قامت بسلب الحياة من فتاة فقيرة بنثر الأرز المغلّى على جسدها العاري".[95] إن كلام ماريا مارتين هذا لم نجده في نسخة 1818، لأنه بين سنتي 1809-1818 صدرت "12 نسخة للرواية".[96] أما جيمس لويس فيعتبر أن "دلالات رمي الأرز على جسمها العاري؛ لا تحتاج إلى تفسير".[97] لكن يظهر أن كلام ماريا مارتين السابق تم سرقته حرفيا عن رواية فالنات التي صدرت سنة 1806، "لقد كان يتم إجبارنا مرارا على نزع ملابسنا من أجل أخطاء صغيرة، ومن ثم الوقوف داخل نار متأججة، حتى تتقرح أجسادنا بالكامل تقريبا، وفي مرات أخرى يتمّ إجبارنا على الوقوف فوق الجمر، وفي مرة تم انهاء حياة فتاة فرنسية فقيرة، وهذا بتجريدها من ملابسها، ثم رمي الأرز المغلّى على جسدها".[98]

[94] Mary Velnet, An Affecting History of the Captivity and Sufferings of Mrs. Mary Velnet, An Italian Lady, who was Seven Years a Slave in Tripoli, NY: Alden Spooner 1806 , p.55.

[95] Maria Martin, A History of the Captivity and Sufferings of Mrs. Maria Martin Who was Six Years a Slave in Algiers, p.hiladelphia: Rakestraw, 1809, p.86.

[96] Paul Miranda, Captive in Barbary : The Stereotyping of Arabs, Turks, and Islam in Early American Society, 1785-1850, A Thesis for the degree of Bachelor of Arts in History, University of Delaware, Spring 2012, p.43.

[97] Ibid, p.50.

[98] Mary Velnet, op.cit, p.22.

إن الطرح السابق يتشابه تماما في كلتا الروايتين، وهذا ما يجعلنا نعتقد أن إحدى الراويتين نقلت عن الأخرى بعضا من طرق التعذيب، وما يؤكد شكّنا أن ماريا مارتين هي من اعتمدت على رواية فالنات، كون الأولى صدرت سنة 1809، أما الثانية فكانت سنة 1806، وما يزيد من شكّنا، هو أن رواية فالنات كتبت عن أسرها في ولاية طرابلس الغرب أما ماريا مارتين فكتبتها عن مغامراتها كأسيرة بمدينة تنس الجزائرية. إن اللّبس الحاصل يجعل من الصعب؛ تقديم معلومات دقيقة عن وضعية النساء في الجزائر كون التضخيم قد غلب على معظم الكتابات التي خلّفتها الأسيرات.

وعن المعاملة التي كانت تتعرض لها الأسيرات فوق السفينة، تؤكد الآنسة بورك " وعلى إثر هذا صعد الجزائريون إلى السفينة، والسيوف بأيديهم، حيث جرحوا واحدة من خادمات السيدة بورك في موضعين من جسمها. ثم دخلوا إلى قمرة السفينة أين توجد الفتاة ووضعوا أربعة حراس عليها... ثم صعد القبطان إلى القارب، وتوجه إلى غرفة السيدة بورك، وسألها من تكون، ومن أي بلد هي، ومن أين أتت، وإلى أين تذهب؟. فردت عليه بأنها امرأة فرنسية أتت من فرنسا، وهي تتجه نحو إلى اسبانيا".[99]

يريدنا فولتير أن نعتقد في روايته كادندا، أن النساء المسيحيات يتم الاقتتال عليهن واغتصابهن من قبل البحارة فوق السفينة: "لقد قام المغاربة بتجريدنا من ملابسنا تماما كما ولدنا أول مرة، أمي والخادمات تم تجريدهن بنفس الطريقة... كنت حتى تلك الفترة لا أزال عذراء، لكن يا حسرتاه، لم يدم ذلك طويلا، فقد سلبني إياها القبطان".[100] أما السيدة بورك فتؤكد: "أن القبطان منحها حرية الاختيار بين الصعود على متن قاربه، أو البقاء على سطح سفينتها، أين ستتمتع بحرية وهدوء كبير، ونصحها باختيار الاقتراح الثاني، إذا كانت لا تأمن

[99] Acba. B, op.cit, p.13-14.

[100] Voltaire, op.cit, p.65-66.

نفسها والنساء اللاتي يرافقنها، وسط حوالي مائتي تركي أو جزائري، يركبون على ظهر قاربه فاختارت السيدة بورك الاقتراح الثاني".[101]

وفي كثير من الأحيان كان يعرض الملاك على الأسيرات الزواج؛ لكن لم يكن يتم إجبارهن؛ كما يعتقد بعض الكتاب (مورغان وربيرت دافيس) أن المرأة بمجرد وصولها الجزائر تأخذ إلى الحريم؛ فعلى سبيل التمثيل لا الحصر: " يذكر كاثكارت أن امرأة كانت معهم أرسلت فور وصولها إلى المستشفى الإسباني، حيث ستبقى هناك لغاية تحريرها.[102]

وأما ابنة السيدة بورك الفرنسية، التي كانت أسيرة بجبال كوكو؛ "فقد عرض عليها المرابط أن تتزوج ابنه البالغ من العمر أربعين سنة، فابنه ليس تافها ويمكن أن يقارن بالملك الفرنسي"[103]، لكن تمّ إطلاق سراحها بعد تدخل الداي نفسه.

إن أغلب روايات الأسر صوّرت لنا "الأتراك"، على شاكلة مخلوقات منحرفة جنسيا متغطرسة، فاسقة، مستبدة بالفطرة، وطبيعيا قاسية وعنيفة.[104]وفي هذا تقول الأسيرة ماريا تار ميتلين *(Maria Ter Meetelen)*: "لم أكن خائفة من قتلهم لي، ولكن ما كان يرعبني كثيرا أن يتم اغتصابي من طرفهم. أفضل الموت على أن أسقط في أيديهم".[105]

---

[101] Acba. B, op.cit, p.15.

[102] كاثكارت، مذكرات أسير الداي كارتر قنصل أمريكا في المغرب، تر. اسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1982، ص22.

[103] Acba. B, op.cit, p.24.

[104] Paul Miranda, op.cit, p.09.

[105] Judith E. Tucker, "She would Rather Perish: Piracy and Gendered Violance in the Mediterranean", Journal of Middle East Women's Studies, Vol.10, N°03, Fall 2014, p.8.

وحسب إحدى الروايات؛ "فإنه سنة 1817، تمّ اختطاف فتاة سردينية بعد قدومها من منزل القنصل الفرنسي مع والدتها من قبل حرّاس الداي، حيث وجهت مباشرة إلى حريمه، ثم أجبرت على التخلي عن دينها".[106]

ويطلعنا أحد الكتاب "أن النساء المسيحيات، دائما ما كن يعاملن باحترام"، وقد سمح حكام شمال إفريقيا للأسرى بالزواج، والإقامة في غرف منفصلة عن العزاب من الأسرى 'دون إجبارهم على العمل'؛ أما الأسرى الذين يملكون أطفالا؛ فتمنح لهم قطع من الأرض لزراعتها، أو القيام بالأعمال كإدارة حانة أو حانوت للإنفاق على عائلاتهم. وقال السلطان المغربي مولاي اسماعيل: "إن العبيد ممن يملكون عائلات لديهم العديد من المشاكل لتحملها ولهذا يجب عدم ارسالهم إلى العمل؛ لأنه يعيقهم عن الاعتناء بعائلاتهم".[107] وفي سنة 1809 نقلت امرأة إنجليزية مع طفليها وزوجها الإيطالي شوفاليي روسي، إلى بيت القنصل الانجليزي.[108]

ويقارن أحد الرّحالة بين العبودية المسيحية في العالم الجديد ووضعية الأسرى في العالم الإسلامي " إن المسلمين لا يستخدمون السوط؛ إلا ضد الأسرى من الرجال؛ أما النساء فلا يتم تعذيبهن إطلاقا".[109]

ج- إحصاء عدد الأسيرات:

ما هو معلوم أن نسبة النساء كانت تمثل 10% من مجموع الأسرى المتواجدين بالجزائر[110] وتقديم أرقام عامة عن عدد المسيحيات بالجزائر، يمكن أن يوقعنا في العديد من

---

[106] Playfair, E. L, op.cit, p.282.

[107] Khalid Bekkaoui, op.cit, p.21.

[108] Signor Pananti, Narrative of a Residence in Algiers; Containing a Geographical and Historical Account of the Regency; Biographical Sketchs of the Dey and his Ministers…, Noted by Edward Blaquiere, London: Printed for Henry Colbur, 1818, p.67.

[109] Kenneth Parker, op.cit, p.95.

التناقضات كون أغلب المشاهدات التي قدمت لنا، كانت تمثل أرقاما لعدد الأسرى المسيحيين إجمالا.

أحصى القنصل الإنجليزي بالجزائر في 10 أوت 1631، أن الغارة التي قادها بحارة الجزائر ضد مدينة بالتيمور الإنجليزية، خلفت 89 امرأة وطفلة[111]. وهاجم بحارة الجزائر سنة 1637 مدينة كالب بفالنسيا وأسروا حوالي 315 أسير أغلبهم نساء وأطفال.[112]

في سنة 1621 أسر الجزائريون ماريا رودريغيز *(Maria Rodriguez)* بعد الغارة على بورتنوفو، وفي السنة اللاحقة أخذت ماريا غارسيا *(Maria Garcia)* في الهجوم على ماسبيكا (كلاهما من مقاطعة غاليس شمال إسبانيا). وفي سنة 1640 أسرت الطفلة ميغيلا كارنوسا *(Miguela Carnossa)* بالقرب من سواحل تالون، بعد أن قتلت والدتها. أما سنة 1642 أسرت كاتالينا بيريز *(Catalina Perez)* وهي نائمة في فراشها.[113] ومن بين 244 بريطاني جلبوا إلى الجزائر سنة 1646، كان هناك 19 امرأة.[114]

يؤكد الأب بيار دان عن وجود ما لا يقل عن 25.000 أسير، و8000 "مرتد"، منهم 1000-1200 إمرأة.[115]

وجد بالجزائر سنة 1669، 100 إمرأة وبين 300-400 طفل، من إجمالي 14.000-15.000 أسير بمدينة الجزائر[116]، أما سنة 1725، فقد أسر الجزائريون من السواحل الإسبانية

---

[110] Robert Davis, Muslim Masters, Christian Slaves…, op.cit., p.15.

[111] Theresa D. Marruy, op.cit, p.17.

[112] Ellen G. Friedman, "North African Piracy on the Coasts of Spain in the seventeenth Century: A New Perspectiveon the Expulsion of the Moriscos", The International History Review, Vol.01, No.01, Jan 1979, p.09.

[113] Ellen G. Friedman, op.cit, p.8-9.

[114] Khalid Bekkaoui, White Women Captives in North Africa, Narratives of Enslavement, 1735-1830, UK: Palgrave Macmillan, 2010, p.21

[115] Playfair, E. L, op.cit., p.53.

[116] Robert Davis, Esclaves Chrétiens, Maitres Musulmans…, op.cit, p.314.

25 امرأة وطفل.[117]وقامت منظمة الرحمة (الأب هيرود) سنة 1750 بافتداء 66 أسير منهم امرأتين[118].

د- قيمة الفدية:

يجب أن نؤكد بأن أغلب النساء المسيحيات اللاتي تمّ أسرهن بمدينة الجزائر، كنّ من طبقات راقية في المجتمع المسيحي أو خادمات مرافقات لسيداتهن، وهذا عكس البحارة والمسافرين الذين كان يمكن أن يكونوا من طبقات فقيرة؛ ولهذا فإن سعر النساء كان دائما مرتفعا عن الرجال. ويضيف نبيل مطر أن النساء المرتفعة فديتهن، هن النساء اللاّتي لم يغتصبن أو يتزوجن، ولهذا لا يزلن صالحات للعيش مع أزواجهن والعائلة بعد العودة إلى الديّار.

قمنا بإنجاز الجدول التالي من خلال مصادر مختلفة، توضح ثمن فدية النساء في الجزائر خلال الفترة العثمانية:

«ثمن النساء الأسيرات من خلال مصادر مختلفة»

السنوات	قيمة الفدية
1635	بعيت أسيرة آسلندية جميلة في سوق الجزائر مرّتين بمبلغ مرتفع عن غيرها من الأسرى، ثمّ بيعت أخيرا إلى زبون مسيحي من فلسطين.[119]
1646	دفع مبلغ 1655 دوبل عن إمرأة بريطانية (إليزابيث ألوين من لندن)[120]

[117] Maximilliano Barrio Gozalo, op.cit, p.139.

[118] Abla Gheziel, op.cit, p.83.

[119] þorsteinn Helgason, "Historical narrative as collective therapy: The case of the Turkish raid in Iceland", Scandinavian Journal of History, Vol.22, N.04, 1997, p.283.

[120] Khalid Bekkaoui, op.cit, p.21.

1683	إليزابيث فان هارغلين كلّفت 900 قطعة ذات الثمانية[121]
1751–1750	تمّ افتداء ثمانية نساء بمبلغ 18 ألف قرش، أي بمتوسط 2571,40.[122]
1782–1778	استقر متوسط الفدية الفردية بين 4200-4500 ليفر.
1789	300-12000 ليفر (ثمن خاص).[123]
1817	دفع الإنجليز 10.000 دولار عن فتاتين.[124]
1826	كانت تباع الفتاة صغيرة السن بـ 200 دولار.[125]

ج– ثمن وعمر الأسرى المسلمين بأروبا:

كان بيع الأسرى المسلمين في العالم المسيحي، يتم بشكل قانوني؛ مثلما حدث مع أحد الأسرى الجزائريين الذي بيع بإسبانيا، في 1705/03/26، والملخص التالي عبارة عن وثيقة ملكية مقدمة لمالكه: "يعتبر المسمى عمّار *(Amar)* عبدا، وهو رجل متوسط الطول، حسن الوجه، قصير الشعر، موطن الولادة: الجزائر، 26 سنة، يتحدث الاسبانية جيدا. وبموجب السلطات الممنوحة لي، أعتبره عبدا للسيد الأرميني خوان دي ميساغن".[126]

[121] Piracy and Privating in The Golden age, op.cit, p.84.

[122] المنور مروش، ج2، مرجع سابق ، ص398.

[123] Mathiex Jean, "Trafic et prix de l'homme en Méditerranée aux XVIIe et XVIIIe siècles", Annales. Économies, Sociétés, Civilisations, 09e année, N.02, 1954, p.162.

[124] Playfair, E. L, op.cit, p.284.

[125] Missionary Register, Church Missionay Society 1826, London: Printed by R.Watts 1826, Vol.14, p.293.

[126] pocio Periañez Gomez, La Esclavitud en Extramadura (Siglos 16-18), Tesis Doctoral, Departaminió de Historia, Universidad de Extremadura, Cacers, 2008 p.576.

ويعتبر ثمن أسرى شمال إفريقيا مرتفعا؛ مقارنة بغيرهم من الأسرى الموجودين في إسبانيا، ففي سنة 1675، أكد الراهب ليورنسي دييغو أنتونيو باربا، أن تحرير الأسير المغاربي جوسيغا دي جوسيس يتطلب دفع 5000 ريال.[127]

قام خوان دي ريفيرا سنة 1660، بشراء علي الجزائري؛ مقابل 148 بيسوس، وأعاد بيعه مقابل 150 بيسوس... وبيعت 1840 امرأة، بمبلغ إجمالي قدره 302.405 بيسوس بمتوسط 164 بيسوس عن كل امرأة، وبيع 1608 رجل، بمبلغ إجمالي قدره 201.009 بيسوس، بمتوسط 130 بيسوس عن كل رجل.[128]

ومن بين العبيد الذين بيعوا في الأسواق الاسبانية؛ كانت نسبة الرجال مرتفعة عن النساء، 79% رجال و21% نساء، وبالنسبة للون فـ 56% بشرة سمراء، 36.6% بيضاء، 7.3% سوداء، وأما عن السّن فقد تراوحت أعمارهم بين 15-30 سنة.[129] وتؤكد الاحصاءات السابقة أن أغلب الأسرى المتواجدين بإسبانيا؛ كانوا إما مغاربة (بشرة سمراء)، أو أتراكا (بشرة بيضاء).

وبيع سنة 1674 المسلمون في ليفورنو، مقابل 154 بياستر[130]، وفي السنة الموالية انخفض سعرهم إلى 130 بياستر، و95/100 بياستر سنة 1679؛ لكن مع نهاية نفس السنة عاد وارتفع سعرهم ليصل 120 بياستر.[131]

---

[127] pocio Periañez Gomez, op.cit, p.205.

[128] Arturo Morgado García, op.cit, p.21, 16.

[129] Pocio Periañez Gomez, op.cit, p.148.

[130] 01 بياستر= 03 ليفر.

[131] Mathiex Jean, op.cit, p.161.

ويوضح الجدول التالي متوسط ثمن الأسرى على حسب العمر في مدينة قادس، عملة (بيسوس):[132]

«تحديد ثمن الأسرى حسب العمر في مدينة قابس»

العمر	رجال	نساء
14-10	115	114
19-15	137	185
29-20	134	187
39-30	144	167
49-40	114	131
59-50	90	107
< -60	62	62

إن ارتفاع أسعار الأسرى بين سن 15-39، يمكن أن نرجعه إلى قناعة المالك، بأنها الفترة التي يستطيع فيها الاستغلال التام لقدرات الأسير في وظائف مختلفة. فالرجال بين 15-25 سنة يمكن توظيفهم في أشغال منزلية (غلمان)، أو وظائف إدارية وتسيير شؤون القصر، والرجال بين 25-39 يتم استغلال طاقاتهم في وظائف شاقة، أما النساء فيتم توظيفهن في أعمال منزلية وحتى الاستغلال الجنسي.

[132] Arturo Morgado García, op.cit, p.17.

أما الجدول التالي فيعبّر عن المبلغ السنوي المتوسط، لثمن الأسرى في مدينة قادس بين سنتي 1670-1750 (البيسوس الاسباني)[133]:

«السعر السنوي المتوسط للأسرى الموجودين في قادس»

السنة	متوسط الثمن السنوي	السنة	متوسط الثمن السنوي
1670	177	**1715**	81
1675	169	**1720**	79
1680	139	**1725**	86
1685	110	**1730**	91
1690	98	**1735**	125
1695	82	**1740**	125
1700	100	**1745**	116
1705	70	**1750**	90
1710	74	--	--

يبدو واضحا كيف حافظ متوسط الثمن ارتفاعه حتى الثلث الأخير من القرن السابع عشر لكن مع سنة 1685 نشهد تراجعا نتيجة للانكماش النقدي الذي شهدته فترة حكم شارل الثاني، وربما نتيجة دعم العملة (زيادة قيمة الذهب في العملة).

وبيع المسلم في مالطا مقابل 100 إيكة[134] سنة 1664، ثم ارتفع إلى 350 ليفر سنة 1677، وهو نفس السعر الذي استمر حتى سنة 1707، ثم ارتفع سنة 1712 أين بيع المسلم

[133] Arturo Morgado García, op.cit, p.15.

مقابل 130 إيكة، و200 إيكة سنة 1713، ثم عاد وانخفض السعر سنة 1716 إلى 350 ليفر.[135]

وهذه بعض الأرقام المتعلقة بثمن الفدية خلال القرن الثامن عشر والتاسع عشر:[136]

السنوات	المبلغ عن كل أسير
1736-1735	145-120 سكين بندقي[137]
1743	800-700 بياستر
1748	700-200 بياستر
1749	كلف شراء 34 مسلم من جنوة، 250 ليفر[138]
1765	800 إيكة مالطية[139]
1769	1065 إيكة مالطية
1772-1770	بين 200-1000 إيكة مالطية
1774	حوالي 700 إيكة مالطية
1776	120 إيكة (افتداء جماعي لـ 136 أسير تونسي) 1000-500 إيكة (افتداء فردي).

[134] 01 إيكة= 03 ليفر.

[135] Mathiex Jean, op.cit, p.160-161.

[136] Ibid, p.162.

[137] 01 سكين بندقي= 5.6 بياستر.

[138] Moulay Belhmissi, Les Captifs Algériens…, op.cit, p.20.

[139] 01 إيكة مالطية= 2.5 فرنك.

1789-1785	2000-1800 ليفر فرنسي
1794	1000 إيكة مالطية
1816	دفع الداي عن 08 جزائريين 500 دولار إسباني لنابولي.[140]

يبقى ثمن الفدية مختلفا من فترة لأخرى؛ وهذا على حسب الندرة والكثرة، وكذا العرض والطلب، من قبل القوى الكبرى أو من قبل الفكاكين. ولهذا فكلما كان الطلب مرتفعا كانت قيمة الفدية مرتفعة، وارتفاع الثمن قد لا يخضع لشمولية المناطق والفترة، فقد نجد الثمن مرتفعا في نابولي بينما يكون منخفضا بمالطة في نفس الفترة. هذا إضافة إلى الندرة التي قد تدفع الكثير من الملاك إلى رفض بيع أسراهم.

وفي الكثير من الأحيان كان يتمّ تحرير الأسرى بالمجّان، نتيجة الضعف الجسدي للأسير حيث يصبح غير قادر على تأدية الأعمال اليومية، "مثلما حدث مع أحمد من شمال إفريقيا الذي تم إجباره على الخروج من المدينة؛ نظرا لتدهور حالته الصحية".[141]

3- افتداء الأسرى:

كانت الحرية الشغل الشاغل للأسرى الموجودين بالجزائر، حيث كان يعمل هؤلاء ما بوسعهم للوصول إليها؛ كغاية أسمى. وتمكن الكثيرون من شراء حريته بنفسه، دون أي وساطات؛ خاصة أولئك الذين كانوا يشتغلون في مراكز مرموقة، في حين أن الآخرين قامت منظمات تابعة للسلطة وأخرى للكنيسة بالتكفل بمصاريف تحريرهم.

---

[140] Playfair, E. L, op.cit., p.254.

[141] Arturo Morgado García, "Los Libertos en el Cádiz de la Edad Moderna", Revista Studia Historiam Historia Moderna, Vol.32, 2010, p.404.

أ- الطرق المتبعة لتحرير الأسرى:

1- منظمات الفدية الدينية: لعبت هذه المنظمات دورا كبيرا، في الحصول على حرية الأسرى؛ خاصة منظمة الثالوث المقدس ومنظمة الرحمة. ومنحت لها كل الصلاحيات الإدارية من قبل السلطة الجزائرية، ونشطت بالأخص في إسبانيا وفرنسا.

1-1 منظمة الثالوث المقدس: تعتبر منظمة الثالوث المقدس *(Trinitarian)*، أكثر منظمة دينية لافتداء الأسرى نشاطا في العالم الإسلامي. "يرى الأب بيار دان في كتابه: تاريخ الدول البربرية، أن هذا التنظيم تأسس على يد القديس جون دو ماتا، وفليكس دو فالو... ورأى جون دوماتا رؤيا تتمثل في ملكا في صورة مشعة، يرتدي قميصا أبيضا. ويحمل على صدره صليبا نصفه أحمر والنصف الآخر أزرق اللون، وعلى جانبه يجلس أسيرين، يبدو من خلال هيئتهما أن الأول مسيحي والثاني تركي، وقد شاهد جون دو ماتا حركة يدوية يقوم بها هذا الملك، تشير إلى استبدال الأسيرين الواحد بالآخر".[142]

إن قصة كالتي أشار إليها بيار دان، حول فكرة تأسيس منظمة الثالوث المقدس، تعتريها العديد من الشبهات؛ وهذا حسب اعتقادنا الشخصي، فلما يقول الكاتب: "يبدو من خلال هيأتهما أن الأول مسيحي والثاني تركي". ماذا كان يقصد بالتركي، علما أن الرؤيا كانت قبل التأسيس الفعلي لتركيا (1300)، بعد وصول الطبل والعلم. وهذا يعني أن المنظمة تأسست بحوالي قرن قبل تأسس الدولة العثمانية. وهذا يجعلنا نتأكد بأن الرؤيا يمكن أن تكون مختلقة، كون الأتراك لم يكونوا معروفين لدى المجتمعات والسلطات الأوربية آنذاك.

أسست المنظمة سنة 1198، وسميت منظمة الثالوث المقدس وافتداء الاسرى، *(Order of the Holy Trinity and Redemption of Captives)*، أعطيت

[142] حفيظة خشمون، مهام مفتديي الأسرى و التزاماتهم الاجتماعية في مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الاجتماعي لدول المغرب العربي، تحت إشراف كمال فيلالي، جامعة منتوري 2007/2006، ص33.

الاعتماد مباشرة من طرف دير السانت ماترين بباريس، وتأسس فرع آخر لها في روما بهضبة كاولاين، وأخرى سميت بسير فروي بالقرب من *(Meaux)*، وفروعا في العديد من البلدان الأوربية، وحتى في الهند الغربية. كما قام الأب أنوسنت الثالث بمباركة التنظيم الجديد، وكتب رسالة باللغة اللاتينية، يوصي فيها بالمفتدين خيرا لدى الملك المغربي: *(Illustri Miranomolin, Rigi Marochetanorum)*. وأول رحلة تمت كانت سنة 1199 حيث تم تحرير 186 أسير.[143]

وكان لباسهم عبارة عن رداء أبيض وأزرق، مع صليب أحمر معلق بالعنق؛ إضافة إلى عباءة سوداء. ونمت المنظمة بسرعة كبيرة في فرنسا، أين كانوا يسمون أيضا *(Maturinians)*، نسبة إلى السانت ماترين؛ كما أن مراكزها انتشرت بسرعة، في كل من: إسبانيا، البرتغال، اسكتلندا، إنجلترا (الكاثوليكية)، ايطاليا، ألمانيا. وفيما بعد قدموا إلى بولندا، وإلى حدود سلوفاكيا، الجمهورية التشيكية (حاليا)، المجر والنمسا، أين كانوا يلقبون بالإسبان البيض.[144]

ركزت المنظمة في بداية نشاطها على الفدية والإرساليات؛ التي نشطت في شمال إفريقيا، وبعد محاولات لإصلاح المنظمة في فرنسا والبرتغال خلال القرن السادس عشر، استطاع السانت جون باتيست من إجراء تعديل جذري على المنظمة، تربطها أكثر بإسبانيا، بعد أن تمت الموافقة على الإصلاح من قبل البابا كليمنت الثامن، في مرسوم بعنوان *(Ad Militantis)*، في 20 أوت 1599.[145]

أما خلال الفترة الحديثة، فقد نشطت هذه المنظمة أكثر في الجزائر وتونس، من خلال المستشفيات الثالوثية. وتؤكد الحقائق أن 3/1 من واردات المنظمة كانت عبارة عن توسلات

---

[143] Stanly Lane-poole, op.cit, p.252.

[144] Andrzej Witko, "The Trinitairian Inconography", Folia Historica Cracoviensia, T13 Krakow, 2007, p.145.

[145] Andrzej Witko, op.cit., p.145.

للرهبان. ورغم أنها كانت حاسمة؛ إلا أنها لم تكن كافية. فتم الاعتماد على واردات أخرى مهمة، مثل: الهبات، الوصايا، والإيجار، والكثير من العائدات كانت تجمع من قبل منخرطي التنظيم والمحاولات الفردية- عامة السكان *(Sidicos)*.[146]

وظهرت شركات الوصايا الاستثمارية؛ ففي سنة 1666 أسست شركة الآنسة ميكو الخيرية، بعد أن تبرعت بمبلغ 1000 جنيه إسترليني "لافتداء الأسرى المسيحيين الفقراء من الجزائر"، وأمرت السلطات البريطانية باستثمار المبلغ السابق، بحيث ترفق المبالغ المالية بوصية الآنسة ميكو... ومع أواسط القرن التاسع عشر تضاعف المبلغ ليصل إلى 160.000 جنيه استرليني.[147]

1-2- منظمة سيدة الرحمة: *(Mercedarian)*، يعتبر القديس بيتر نولاسكو *(Peter Nolasco)*، المؤسس الحقيقي لمنظمة سيدة الرحمة (*The Order of Blessed Virgin Mary of Mercy*)، وأول مصدر أشار لمكان ميلاده وجد في مجموعة مخطوطات *(Spuculum Fratum)* تعود لرئيس العام للمنظمة نادال غافر *(Nadal Gaver)* سنة 1445، وفي نسخته الإسبانية إقتبسنا منه: "أكيد أنه بالنسبة لرجل مقدس، كبيتر نولاسكو ، فإن مكان إقامته كان بالقرب من ماس بسانتاس ببجولاس، سانت بول ديوسيس، ببرشلونة". وتوقع قدماء في المنظمة أن غافر أشار في الجملة السابقة إلى *Mas Saintes Puelles (Saint popoul dioces)*، منطقة تقع جنوب مدينة تولوز الفرنسية. وفي سنة 1446 قال الأب بيدرو سيجار نفس الشيء في مخطوطه *(Apusculum Tantum Aninque)*، وأكد البروفيسور الأب فرانسيسكو زومال بجامعة سلامنكا نفس المعلومات في عمله *(De vitis Patrum)*... ومؤخرا ظهرت بعض

---

[146] Bonifacio Porres Alonso," Libertad a los cautivos, actividad redentora de la orden Trinitarian", (Book Review), Secretario Trinitario, Córdoba-Salamanca, 1997-1998 p.1.

[147] Sidney G. Poupard, Baptist Beginnings in Trinidad", Historical Social Research, Vol35, N°4, 2010, p.232.

النصوص التي تؤكد أن الأب بيتر نولاكسو ولد في مزرعة *(Masia)* بالقرب من برشلونة... أما عن سنة ميلاده، فالعديد من المؤرخين أكدوا أنها قد تكون بين سنتي 1180-82.[148]

تأسست المنظمة في 10 أوت 1218، في برشلونة، بمباركة ودعم من الملك جيمس الأول الأراغوني، قبل أن يبادر أبرش المدينة برانجر دوبولو إلى الترحيب بها. وبمرسوم البابا النهائي غريغوري التاسع في 17 جانفي 1235، تم تنظيم عملها والاعتراف بنشاطها.[149] ولعل أبرز عمل قامت به المنظمة هو افتداء، الكاتب الاسباني الشهير سيرفانتيس، من الجزائر في أفريل 1577.

وهناك منظمات أخرى نشطت في الجزائر، لعل أبرزها منظمة اللازريست، أو المهمة، مقرّها باريس، أسسها بول دي بول فينسن (1581-1660)، من عائلة فلاحية، ولد بقرية بوي، بمقاطعة غاسكوني الفرنسية، أرسل للدراسة بمنطقة داكس لدى عائلة محترمة، التحق بعدها بجامعة تولوز، وبعد سبع سنوات من الدراسة عين دي بول سنة 1600 كاهنا.[150] تمّ تأسيس المنظمة عن طريق قصص مشكوك في صحتها *(Apocryphal)* حيث ادعى بول أنه استعبد في المغرب الإسلامي، ما جعله يهتم بالفدية الجسدية والروحية للأسرى المسيحيين. كانت عملية الفدية تختص بها القنصلية الفرنسية؛ لكنها منحت فيما بعد لطائفة اللازريست (الجزائر 1646، تونس 1648). إن قدوم الطائفة اللاّزرية إلى الجزائر بتفويض من البابا وتعيين قنصلي من فرنسا، أثار سخط طائفة الثالوث المقدس ومنظمة الرحمة. اشتغل دي بول كراهب عام في السفن الفرنسية. تم الاعتراف بقداسته سنة 1737.[151] تعرضت

---

[148] The Order of Blessed Virgin Mary, op.cit., p.17.

[149] CF. CA, p.rologue; Bullarinun, 3, 1858, p.485.

[150] حفيظة خشمون، مرجع سابق، ص40.

[151] Naylor Phillip Chiviges, Heggoy Alf Andrew, "De Paul, Vincent", Historical Dictionary of Algeria, African Historical Dictionaries, N.66, Scarecrow Press, 1994.

المنظمة لعدة مضايقات، كونها تدخلت في مشاكل سياسية، فبعد أن قصف الفرنسيون الجزائر سنة 1683، أعدم الداي ميزومورتو القنصل اللاّزري الأب دو فاشي.[152]

وهناك أيضا منظمة الكابوشين إحدى المنظمات البارزة في الفدية، تكنّى باللغة اللاتينية *(Ordo Fratrum Minorum Capuccinorm)*، وهي منظمة دينية كاثوليكية وأبرز فروع المنظمة الفرنسيسكانية، ظهرت سنة 1520، بعد أن تلقى ماثيو دي باسيو أحد أتباع الطائفة وحيا من الرب، فسره القديس فرنسيس أوسيسي بضرورة العودة إلى الطريقة الأولى المتمثلة في الوحدة (العزلة)، والعيش كما عاش مؤسس منظمتهم، هذا الأمر ألزمهم الاختباء من السلطات الكنسية، كونهم لم يعودوا يؤدون واجباتهم الكنسية بدعوى الوحدة، وفي سنة 1529 اعترف البابا كليمانت السابع بالطائفة.[153]

أشركت طائفة الكابوتشين في عهد غريغوري الثالث عشر (1502-1585) في عمليات المفاوضة لافتداء الأسرى من الجزائر.[154] واشتكت من ارتفاع أسعار الفدية في الجزائر سنة 1580، بسبب المفتدين الاسبان والبرتغاليين الأغنياء، الأمر الذي جعل الملاك المحليين يرفعون سعر الأسرى.[155]

وأما عن القوانين التي كانت تفرض، على منظمات الفدية القادمة لتحرير الأسرى من الجزائر، يعطي لنا سجل التشريفات، معلومات عن تحرير أسرى البايلك، من خلال رحلة فدية قام بها آباء اسبان في عهد حسن باشا 1672، والحاج بابا حسن 1793:[156]

---

[152] أنظر: Tournier Jules, Jean Le Vacher, p.rêtre Consul de France & martyr (1647 1683), Rabat: Les Éditions la Porte, ,1947, p.48.

[153] Fragaszy, and al, The complete Capuchin: The Biology of the Genus Cebus, London: Cambridge University Press, 2004, p.05-10.

[154] Hess Lawrance, "Capuchin Friars", The Catholic Encyclopedia, Vol.03, New-York: Robert Appleton Company, 1908.

[155] Francesca Trivellato, et al, Religion and Trade: Cross cultural Exchanges in World History, 1000-1900, Oxford University Press,20007, p.119-120.

[156] A. De Voulx , Tachrifat Recueil de Notes…, p.57-59.

- يختار الآباء في البداية 10 أسرى من بين المسنين، المعاقين والمصابين، بعدها يختارون 15 أصحاء، وبعد المعلومات التي يقدمها المراقبون، يتم دفع مبلغ 1000 صائمة[157] عن كل أسير حسب التقاليد القديمة.

- إن إطلاق سراح أسير؛ لن يتم إلا بعد أن تدفع الفدية، وتضبط مصاريف أخرى حسب النظام وعلى النحو التالي: يدفع للخزينة مبلغ واحد بوجو عن كل 10 بوجو. وبعد دفع مبلغ الفدية، يدفع الأسير مستحقات إلى خزينة القصر. وفي الأخير يقتطع 12 ريال من أجل الحصول على ورقة الخروج، يدفع نصف هذا المبلغ للخزينة (06) ريال، والباقي يمنح للعمال.

- يمنح الآباء الاسبان الباشا 1000 صائمة، عن كل 06 أسرى يتم تحريرهم، من بين المسنين، المعوقين، المشوّهين والعاجزين.

- يمنح الآباء 1000 صائمة، لآغا الجيش، المسؤول عن السجن *(Dar Serkadji)*.

- يوجد أمين لدى الباشا يسمى خوجة الدفتر، وأمينان (المقتاضجي *Mekataadji*، وخوجة الروقمانجي *Errokamadji*)، يمنح كل واحد منهم 1000 صائمة عن كل أربعة أسرى.

- يتلقى أمين خزانة القصر، 1000 صائمة عن كل أسير.

- تحصل الدولة على 2000 صائمة، عن كل أسيرين في مقتبل العمر، واحد يشتغل بالقصر، والثاني في القصبة.

- يتلقى قادة البحر 1000 صائمة عن كل أسير.

- يتلقى خوجة الديوان، كلاهما 1000 صائمة، عن كل أسير.

واختصارا فإن كل أسير مطالب بأن يقدم 43 ريالا، كهدايا قبل أن يخرج من القصر، وكذا تقديم هدايا للياياباشي المسؤول عن الذهاب للسفن، وأربعة أمناء الديوان: خوجة المكتبجي

[157] 1000 الصائمة: تعادل بين 60-70 ريال إسباني.

(02)، خوجة الدفتر، وخوجة الروقمانجي، وإلى قائد الميناء، أمين الغنائم، كتاب البحرية وقائد المدينة.

- يتلقى الباشا ريالين كبيرين عن كل أسير.
- يتلقى أميني المجلس (المقتاضجي)، وأمينين يلقبان بخوجة الدفتر، مبلغ ريال عن كل أسير.
- يتلقى قائد الميناء نصف ريال عن كل أسير.
- يتلقى كتّاب الميناء 8/1 ريال عن كل أسير.
- يمنح الآباء عن كل أسير، ريالا واحدا للمترجم الإنجليزي والفرنسي.
- يتلقى حراس الأسرى هدية من الآباء عن كل أسير.
- يتلقى اليياباشي ريالا عن كل أسير.
- يتلقى الخوجة الروقمانجي، وأربعة أمناء الديوان، مبلغ ربع ريال عن كل أسير.
- يتلقى أمين الغنائم مبلغ ربع ريال عن كل أسير.
- يتلقى الحراس المرافقون مبلغ ربع ريال عن كل أسير.
- يتلقى قائد المدينة ربع ريال عن كل أسير.
- تكفل الدولة حراسة خاصة للآباء، مهمتها حراستهم ليل نهار، وحمايتهم في مهمتهم وبانتهائها يمنح الآباء كل واحد من أفرادها مبلغ ربع ريال عن كل أسير.

أما بالنسبة للأسرى الخواص عند تحريرهم؛ فتدفع الفدية للمالك، بينما تستفيد من المبالغ الملحقة أجهزة الدولة المختلفة، في شكل حقوق أو هدايا تتمثل في:[158]

- حقوق حارس أبواب السجن، وعادة ما تساوي هذه الحقوق ثمن فدية.

أما لوجيي دوتاسي وستيفن دستراي، فقد قدما معطيات في شكل نسب أو أرقام:[159]

[158] حفيظة خشمون، مرجع سابق، ص295-296.

[159] المرجع نفسه، ص296.

- 10% للجمارك، 15 بياستر للقفطان باشا، 10% لرئيس الميناء.

2- المعاهدات: برزت المعاهدات كحل للافتداء، وإيقاف تعرض سفن الدولة المهادنة للمضايقات، ويتم بموجبها افتداء الكل أو جزء من أسرى الدولة المهادنة، حسب أمكانيات وأهمية كل دولة؛ لكن ما هو معروف أن أي دولة توقع السلم مع الجزائر، مطالبة بافتداء جزء من الأسرى الموجودين بالمدينة.

تطرقت معاهدة السلم الموقعة بين فرنسا والجزائر، في 24 أفريل 1684، إلى وضعية الأسرى الفرنسيين بالجزائر؛ حيث نصت المادة 04: ضرورة تبادل الأسرى الموجودين عند كلتا الدولتين. المادة 07: يتم إطلاق سراح كل الاسرى الفرنسيين، الذين أسروا من قبل أعداء فرنسا واقتيدوا إلى الجزائر. المادة 09: إلزامية إعطاء الداي أوامره بجمع الأسرى الفرنسيين المتواجدين بالإيالة، ونفس التسهيلات تتم في فرنسا.[160]

وعالجت المعاهدة الإنجليزية 1682، نفس المشاكل التي كانت تعاني منها الدول الأوربية في البحر المتوسط. المادة 12: منذ تاريخ اليوم وحتى الفترات اللاحقة من تاريخ توقيع المعاهدة، يؤكد حاكم الجزائر، على أنه لن يباع ويشترى، أو يستعبد أي من الرعايا الإنجليز في مدينة الجزائر أو أي نطاق يتبع لها. دون أعذار. وأن الملك البريطاني غير ملزم من خلال معاهدة السلم هذه، بتحرير أي من رعاياه حاليا... والعديد من هؤلاء سيحررون من وقت لآخر.[161]

وتمكن السويديون من توقيع السلم مع الجزائر سنة 1731، وفي المقابل استطاعت الدنمارك، توقيع السلم مع الجزائر سنة 1747، مقابل معدات وتجهيزات عسكرية تضمن لها عدم تعرض مواطنيها للأسر.[162]

---

[160] جمال قنان، مرجع سابق، ص295-297.

[161] Article of Peace and Commerce…, op.cit, p.11.

[162] Peter Madeson, op.cit, p.07.

وعكس هاته الدول فإن إسبانيا والبرتغال، اعتبرتا دولتان معاديتان لدولة "الخلافة" العثمانية؛ لكن مع أواخر القرن الثامن عشر، شهدت العلاقة بين الطرفين انفراجا، ووقع الجزائريون معاهدة صلح وسلم مع اسبانيا 1786، ثم البرتغال 1793.

وأفضت المعاهدة الجزائرية الاسبانية في أكتوبر 1786، إلى ضرورة تبادل الأسرى الموجودين عند الجانبين، واشترط الجزائريون أن تطلق اسبانيا كل ما لديها من الأسرى، مقابل أنها تستطيع افتداء الأسرى الاسبان المتواجدين بالجزائر.[163]

3- الحملات البحرية: كان يمكن خلال الفترة الحديثة أن تكون أسيرا أو حرا في ساعات. إن الكثير من المؤرخين عند دراستهم قضية الأسرى في البحر المتوسط، يهملون جانب المعارك في التحرير والأسر.

مثّلت الحملات البحرية جزءا كبيرا من تحرير الأسرى؛ فكثير من هذه الحملات كان يمكن لها أن تنجح؛ كما كان مقدرا عليها الفشل. في ماي 1683، أجبر القصف الفرنسي الجزائريين على تحرير 142 أسيرا مع وعود بتحرير الباقين، بعد جمعهم من المناطق الداخلية.[164] وتقدم لنا سجلات منظمة سيدة الرحمة أرقاما مهمة رغم أنها لا تدخل في فترة دراستنا؛ حيث تؤكد أن 70% من الأسرى الذين تم افتداؤهم بين سنتي 1572-1574، هم أسرى أخذوا عند فتح تونس سنة 1574، و18% أسروا في البحر، و02% من على السواحل الإسبانية.[165]وفي أوت 1670 هاجم الأسطول الإنجليزي والهولندي مجموعة من السفن الجزائرية، لتجبر على الهروب نحو رأس سبارتل، لكن الانجليز تمكنوا من إحراق سفينيتين؛ أما

[163] أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا (1492-1792)، ط3، دار البصائر، الجزائر، 2009 ص509.

[164] Mathew Carey, op.cit, p.60-61.

[165] Allen Friedmen, Spanish Captives in North Africa in the Early Modern Age, Madison: The University of Wisconsin Press, 1983, p.06.

الباقي فقد تمكن العبيد المتواجدون على متنها من الاستيلاء عليها، وتقييد طاقمها.[166] وفي سنة 1679، استولى الإنجليز على سفينة جزائرية، وجد على متنها 50 مسيحيا، نصفهم انجليز.[167] إن كل السفن الجزائرية الحربية، كانت تستخدم مجدفين مسيحيين على متنها؛ ما يعني أن سقوطها في يد الدول الأوربية، هو حصول الأسرى المسيحيين على حريتهم الشخصية مباشرة.

4- الوساطات: لعبت الوساطات دورا كبيرا في تحرير الأسرى؛ خاصة تلك التي كان يقوم بها التجار أو القناصل لصالح الدول الأوربية، وكانت هذه الوساطات تتمّ في الغالب لصالح دول شمال أوربا، وبعض الدول التي توجد في حالة حرب مع الجزائر كإسبانيا والبرتغال.

لعل أشهر التجار الذين قاموا بعمليات وساطة، لعقد معاهدات سلام بين الجزائر ودول شمال أوربا هو لوجيي *(Logie)*، المولود في اسكتلندا وكان كثير الاطلاع على منطقة الساحل المغربي؛ بسبب تزويدها بسلع مهربة، مثل: التجهيزات العسكرية والمعدات الحربية؛ لكنه اختطف من قبل الهولنديين لتصديره سلعا غير مرخصة، ورمي في السجن.[168]

ولإنقاذ نفسه عرض خدماته على السلطة السويدية، لتوقيع معاهدات سلم لصالحها مع دول المغرب الاسلامي؛ فمنحت له الجنسية السويدية. ومن خلال الهدايا استطاع عقد معاهدات صلح وتجارة مع الجزائر. وقدرت قيمة الهدايا والمعدات العسكرية المقدمة للجزائر

---

[166] Playfair, E. L, op.cit, p.108.

[167] William Laird Clowes, op.cit, p.454.

[168] North African States, 1767, Manuscript, A comparative View the Military and Naval Power of the Four Piratical States of Barbary, with an Account of their Produce and Description of the Present State of their Government where Necessary, Introduced by Ali Tablit, Alger: Thala, 2008, p.20.

بحوالي 5000 جنيه استرليني. وبعدها أصبح مسؤولا عن عقد معاهدات لصالح دول شمال أوربا، كتلك التي وقعها لمصلحة الدنمارك بنفس البنود التي وقعها السويديون.[169]

وفي تقرير من مجلس الخزينة الملكية إلى الملكة آن، حول عريضة التاجر ويليام باوتل اللندني، يؤكد فيها أنه: بين سنتي 1681-1687، استطاع تحرير حوالي 400 أسير إنجليزي كانوا متواجدين بالجزائر.[170]

وكان لوساطات القناصل دور كبير في تحرير الأسرى؛ خاصة قناصل الدول التي كانت في حالة سلم مع الجزائر، كفرنسا، وبعض الدويلات الإيطالية، انجلترا وهولندا. "ففي سنة 1684 راسل المقيم الهولندي في هامبورغ، جيرارد كوستين (1647-1708)، مجلس الشيوخ الهامبورغي؛ مؤكدا أن القنصل الهولندي في الجزائر كريستوفل ماثياس (1655-1702) يرغب في تحرير أسرى ليباك وهامبورغ، الذين تم أسرهم على ظهر السفن الهولندية... وقررت الحكومة الهامبورغية استخدام هذه الطريقة لافتداء كل الهامبورغيين، حتى أولئك الذين لم يوجدوا على متن السفن الهولندية، وأرسلت إلى ماثياس مبلغ 6800 رايتشستالرز *(Reichsthalers)*.[171]

وكان لليهود الدور البارز في افتداء الأسرى؛ فمثلا: كلّفت الحكومة السويدية سنة 1668، اليهودي أزويدا *(Azeweda)* من أمستردام، المفاوض المحترف رفقة السويدي أيوساندر *(Eosander)* بتحرير الأسرى السويديين المتواجدين بالجزائر، وفي سنة 1669، أوكلت مهمة الفدية لجونس باركمان؛ لكن المهمة نفسها فشلت، بعد اعتراضها من قبل سياسيين نافذين، لخشيتهم من ردة الفعل الإنجليزية والهولندية.[172]

[169] North African States, op.cit, p.20.

[170] Feb 27, 1690, Calender of Treasury Books, Vol. 09, 1039.

[171] Magnus Ressel, "Venice and the redemption of Northern European slaves (seventeenth and eighteenth centuries)", Cahiers de la Méditerranée , Vol. 87, 2013, p.139.

[172] Joachim Ostlund, op.cit., p.153.

5- صناديق الائتمان: يبدو المصطلح السابق غير متوافق مع لغة ذلك العصر؛ لكن الحقيقة تثبت أن صناديق الائتمان، ظهرت بكثرة في دول شمال أوربا خلال الفترة الحديثة؛ لتأمين حرية البحارة والمواطنين، المتوجهين نحو البحر المتوسط.

أسست سنة 1549 في نابولي، مؤسسة "الدار المقدسة لافتداء الأسرى" *(Santa Casa della Rednzione dei Cattivi)*، وتعتبر أول مؤسسة مستقلة عن المنظمات الدينية لافتداء الأسرى، وتبعتها المناطق الإيطالية بتأسيس مؤسسات مستقلة للفدية؛ فظهرت سنة 1586 منظمة بالبندقية، تدعى "منظمة مراقبوا الصدقات والمستشفيات"*(rovveditori Sopra Ospedali e Luoghi PII)*، وأنشأت جنوة سنة 1597 منظمتها الخاصة "إنقاذ العبيد" *(Majestrato per il Riscatto Degli Schiavi)*، أما في إسبانيا، فقد أشرفت منظمة الثالوث المقدس على عمليات الفدية.[173]

وما يُلاحظ أن عمليات الفدية وجمع التبرعات، كانت تختلف من منطقة لأخرى فالدويلات الصغيرة، اعتمدت في عمليات الفدية على تأسيس منظمات تابعة للسلطة؛ أما الدول الملكية الكبرى كفرنسا، اسبانيا، البرتغال، فقد دعمت المنظمات الدينية للفدية.

أصبحت التجارة الهامبورغية في خطر بعد سنة 1621؛ نظرا لدخولها البحر المتوسط كبديل للهولنديين، وبعد سنة واحدة قام ضباط السفن بتأسيس صندوق شراء الأسرى *(Stuk Von Achten Kasse)*، عبارة عن أخوّة تتكفل بتحرير أعضائها. لكن ما كان يعاب على هذا الصندوق، أن عملية التحرير كانت تمس الضباط وقباطنة السفن، دون الفئات الأخرى... وفي سنة 1624، انشأت هامبورغ أول صندوق تأمين، سمي "صندوق العبيد" *(Sklavenkasse)*، وهو عبارة عن مكتب يدار من قبل البحرية الهامبورغية، مهمته فرض ضريبة على كل بحار، وإقرار مبلغ مالي عن كل سفينة متوجهة نحو غرب

[173] Magnus Ressel, op.cit, p.128.

هولندا. حيث تستخدم هذه الأموال في تحرير الأسرى المتواجدين بشمال إفريقيا... وأسست ليباك صندوقا مشابها سنة 1627.[174]

وأنشأ أواسط القرن السابع صندوق في إنجلترا، سمي "ضريبة الجزائر" *(Algiers Duty)* مهمته فرض ضرائب على السلع الواردة والمصدرة من إنجلترا.[175] ولم يعرف هذا الصندوق تنظيما كذلك الذي شهدته دول مثل: السويد، الدنمارك، هامبورغ وليباك.

مع نهاية الحرب الشمالية الكبرى 1700-1721، أخذت حماية الملاحة في البحر المتوسط أولوية عالية بالنسبة للحكومة السويدية، ويمكن أن نلاحظ هذا في قرارين صدرا سنة 1724؛ فأسس مكتب المواكب السويدية *(Konvgkommissariatet)*، بهدف تنظيم وحماية الملاحة في جنوب أوربا. كما يعمل المكتب على توقيع معاهدات السلم؛ وخدمة المصالح السويدية بالمنطقة. وتدعّمت هذه المنشأة بضريبة *(Extra-Licent)*، ضريبة فرضت من طرف التجار السويديين سنة 1723، على كل السلع المستوردة والمصدرة. وفي سنة 1726 صدر قانون يفرض أربعة عمليات لجمع أموال الفدية كل سنة بالسويد.[176]

وأصدر البرلمان السويدي لجنة مسؤولة عن هذه المبالغ، سميت "مكتب الموارد المالية الجزائرية" *(Rikoens Standers Deputation of Wer Det Algiereisk Fondwercket)*. ومع أواسط القرن الثامن عشر تأسس تنظيم مؤسسة رجال البحر *(Sjomanshus)*، وانتشر في العديد من المدن السويدية، حيث استقدم عدد هائل من

---

[174] Magnus Ressel, op.cit, p.129-130.

[175] About Algeria, Algiers, Tlemcen, Constantine..., op.cit, p.68-69.

[176] Joachim Ostlund, op.cit, p.155.

رجال البحر للتبرع، من أجل افتداء زملائهم. [177]وبعد الاستقلال، أنشأ الأمريكيون منظمة تدعى لجنة فيلاديلفيا لتحرير الأسرى.[178]

6- السلطة، الكنيسة البروتستانتية والرسائل: بعد عمليات الاصلاح الديني الذي شهدته أوربا، وانفصال دول أوربا الشمالية عن الكنيسة الكاثوليكية، وعكس المناطق الكاثوليكية، غابت المنظمات الدينية للفدية في العالم البروتستانتي. وكانت الرسائل تصل أقارب هؤلاء الأسرى، الذين عملوا على جمع أموال الفدية لصالحهم. "وأول عملية افتداء من هذا النوع حدثت في مدينة دانزينغ سنة 1547، واستمرت هذه الطريقة كمصدر أساسي للفدية خلال 70 سنة اللاحقة".[179]

لكن ما كان يعاب على هذه النوع من الفدية، هو عدم القدرة على توفير المبالغ اللازمة لافتداء كل الأسرى الألمان؛ حتى أن أخوة البحارة *(Brotherhood)*، كانوا يجوبون المدن الهانستيكية (الدنمارك، الأراضي المنخفضة وبعض المناطق من ألمانيا) أملا في الحصول على صدقات المتبرعين.

وكانت هذه الرسائل توجه إلى الملك، السلطات الرسمية، وكل فئات المجتمع، ففي أوت 1635، راسل أحد الأيسلنديين الذي كان أسيرا بالجزائر السلطات، حيث حملت رسائله أفكارا وكلمات متكررة: " المساعد من الرب، الملك، السلطات المحلية، العائلة والأصدقاء... واظهار الاسلام كعدو للمسيحية".[180]

وفي رسالة مشتركة راسل توماس سويت وريتشارد روبنسون، 29 سبتمبر 1646 أصدقاءهما بلندن؛ أملا في توفير أموال الفدية لهما: "خلال الفترة التي قضيتها أسيرا في هذه

---

[177] Magnus Ressel, op.cit, p.129-30.

[178] Norman Robert Bennett, "Christian and Negro Slavery in Eighteenth-Century North Africa", The Journal of African History, Vol.01, No.01, 1960, p.79.

[179]Magnus Ressel, op.cit, p.129.

[180] Peter Madeson, op.cit, p.3.

المدينة، راسلت في العديد من المرات السلطات اللندنية... وكذا والدي إن كان حيّا، ورسائل أخرى إلى اخوتي وأصدقائي... ولم يصلني أي رد... ما جعلني أعتقد أن هذه الرسائل قد فقدت، أو أنكم غيّرتم مكان إقامتكم".[181]

وراسل الأسرى السويديون (البحارة) الملك مباشرة؛ ويعتقد الكثير من المؤرخين أن مراسلة الملك مباشرة في المجتمع اللوثري، كان يعتبر أمرا عاديا؛ ذلك أن الملك لم يكن زعيم المجتمع فقط، بل رئيس الكنيسة البروتستانتية نفسها.[182]وفي العديد من المرات كان يشترك مجموعة من الأسرى في كتابة الرسائل: "البعض منّا تجمع هنا بصدق عظيم، على ركبنا العارية، بمرارة دموعنا القلبية والعينية، ندعوا ونطلب مرة أخرى، من جلالتكم المساعدة والتحرير".[183]وكانت الرسائل في كثير من الأحيان توجه إلى الزوجات في أوربا، أملا في جمع الأموال أو بيع الممتلكات الخاصة بالأسير أو حتى الزوجة، مثل: "تلك الرسالة التي وجهها بيار كولابر أحد الأسرى من منطقة فوندي (مقاطعة فرنسية) إلى زوجته، يطلب منها بيع ممتلكاتها لتحريره من الأسر في الجزائر.[184]

وكانت أول محاولة للفدية في السويد، بسبب رسالة كتبها الأسير جوهان أرفيدسون في الجزائر. أرسلت بعدها السلطات السويدية الكابتن جونس باركمان. وفي سنة 1662 راسل مجموعة من الأسرى مستشار الدولة، وأكدوا أن باركمان زارهم مرّتين، لكنه فشل في الحصول على حريتهم... وأدى هذا الفشل إلى تأسيس شركة سويدية من طرف الملكة

---

[181] Richard Robinson, Letter to his Friends, A Single Sheets, The British Museum, N°03.

[182] Joachim Ostlund, op.cit., p.151.

[183] أنظر: Riksarkivet Stocholm, Diplomatica Turcica: Bihang Algerica, Vol. 15, 1680.

[184] Gillian Weiss, Captives and Corsairs, France and Slavery in early Modern Mediterranean, California: Stanford University Press,2011 , p.57.

دواغير، وعدد من البرلمانيين. هدفها أسر السفن الإسلامية في البحر الأحمر؛ لكنها فشلت.[185]

وعبّر الرحالة السويدي سبارتوانت سنة 1691، عن وجهة نظره في رحلته إلى شمال إفريقيا: "إن أموال الفدية يجب أن توجه لتحرير الأسرى: الأفضل، أصحاب المهن، صغار السن، والسويديون الخالصين؛ أما الكبار والمرضى واللاّسويديون فلا يجب فديتهم".[186]

راسل في 30 سبتمبر 1812 السيد جورج سميث، أحد أفراد طاقم السفينة سالم ممثل السلطة الأمريكية في لشبونة. "وطلب منه أن يراسل السيد سبراجر، أو يتصل بمعارفه المتواجدين بجبل طارق، ليتدخل لدى القنصل السويدي في الجزائر لدفع مبلغ فديته".[187]

7- التدخل القنصلي: يعتبر مواطنوا الدول الأوربية، التي توجد دولهم في حالة سلم مع الجزائر أحرارا، وآمنين عند عبورهم المتوسط. لكن ما يلاحظ خلال الفترة الحديثة، هو أن تحطم السفن على السواحل الجزائرية البعيدة عن مدينة الجزائر، كان يغري حكام هذه المناطق على التستر عن هؤلاء الأسرى. وهنا يبرز دور القناصل في تحرير أسرى دولهم من هذه المناطق.

في سنة 1719، تحطمت سفينة السيدة بورك على سواحل منطقة جبال كوكو (بجاية)، فتوفيت وأسرت ابنتها، واقتيدت مع طاقم السفينة نحو جبال كوكو. وفي الاول من نوفمبر وبعد الثلاثة أسابيع قضتها ابنة السيدة بورك في جبال كوكو، استطاعت أن تراسل القنصل الفرنسي في الجزائر؛ لكنها لم تتلقى أي جواب... وفي الرسالة الرابعة استطاع القنصل استلامها من الداي في 24 نوفمبر.[188]

---

[185] Joachim Ostlund, op.cit, p.152-53.

[186] Ibid, p.150.

[187] Smith, George C., op.cit.

[188] Acba. B, Remarkable shipwrecks or a collection of interesting accounts of naval disasters, with many particulars of the extraordinary adventures and sufferings of the

أجرى القنصل اتصالاته مع الداي، الذي منحه رسالة تزكية لدى مرابط بجاية صاحب السلطة الروحية في المنطقة. وفي مساء ذلك اليوم أقلع القارب، وبعد وصولهم قام المترجم باطلاع المرابط على التزكية. بعد خمسة أو ستة أيام وصلوا الجبال، وما إن رأى السكان المرابط حتى لجؤوا لأكواخهم؛ لكن المرابط دقّ كوخ شيخ القبيلة وسأله مكان المسيحيين، ورغم محاولته التستر؛ إلا أنه اعترف بمكانهم، وأطلق سراح الأسرى.[189]

ونفس المصير لقيته ماريا مارتين الانجليزية بعد أن تحطمت، سفينتها على سواحل تنس (مدينة تابعة حاليا لمدينة الشلف) بعد العاصفة الشديدة التي تعرضت لها؛ لكن تدخل القنصل سمح بتحريرها وإرجاعها إلى موطنها.

8- الافتداء الفردي: لقد كان هذا النوع من الفدية رائجا في الجزائر؛ خاصة بين أولئك الأسرى التابعين لكبار الشخصيات وأثرياء المدينة، حيث كان يمكن للأسير أن يجمع أموال فديته بسهولة، دون إعاقة من المالك حتى وإن كان الباي نفسه؛ فعلى سبيل التمثيل لا الحصر: "استطاع الأسير تيدنا شراء حريته من باي معسكر نفسه، باعتباره وزيره الشخصي، الأمر الذي سهل عليه جمع أموال الفدية... وبعد أن سلمها للقنصل الفرنسي، قام الأخير بإجراءات تحريره؛ رغم معارضة الباي، إلا أن القانون كان واضحا، وبعد عرض الباي الأمر على الداي، أجابه: "إننا لا نستطيع الاحتفاظ بالأشخاص الذين ينتمون لهذه الأمة (فرنسا)"، وبعد محاولات نجح القنصل في تحرير الأسير تيدنا".[190]

ولعل أبرز الفديات الشخصية غرابة، هي فدية الأسير الانجليزي توماس سميث سنة 1648، حيث وعده سيده الذي كان قائدا في الانكشارية، بمرافقته إلى المناطق الداخلية

---

crews of vessels wrecked at Sea, and of their treatment on distant shores, together with an account of the deliverance of subibors, Hartford, published by Andrus and Starr, 1823, p.16, 23.

[189] Ibid, p.24.

[190] تيدنا، مصدر سابق، ص78.

لجمع الضرائب (المحلة) ومن ثمّ منحه الحرية، "تم بيعي لأحد قادة الجيش علي أحمد رايس *(Hally Ahmed Reis)*، الذي عاملني بلطف ووقار، وكان عازما على أنه لن يأخذ أي أموال منّي، رغم أنني عرضت عليه 800 دولار؛ حيث قال: يجب أولا أن ترافقني إلى الأرياف، وعند عودتنا سأقوم بتحريرك؛ إن أنت أحسنت التصرف".[191]

ويواصل:" وعلى ذمة الوعد الذي قطعه لي، منحني حريتي، ومبلغا من المال للعودة إلى وطني، وبعدها التقيت بسفينة مارسيلية في الميناء، حملتني إلى فرنسا".[192]ويذكر فونتير دي براديس: "حتى الفقراء كان يمكنهم توفير أموال الفدية في سنوات، وهذا عندما تسمح لهم الفرصة بالعمل في الحانات الموجودة بالمدينة".[193]

9- الهروب: كان اليأس يدفع العديد من الأسرى إلى الهروب نحو السفن الراسية بالميناء؛ وحتى نحو المواقع الإسبانية المتواجدة على ساحل المغرب الاسلامي، وكان الهروب نحو السفن الراسية على الساحل الجزائري، لا يفرض على دولة الأسير دفع فديته. "ففي المعاهدة الإنجليزية الجزائرية 1682 جاء البند 11 كالآتي: "عندما تظهر أي سفينة أمام المدينة، يجب إخطار حاكم الجزائر، الذي يصدر على الفور إعلانا عاما بمنح العبيد المسيحيين الأمان، وفي حالة هروب أحدهم نحو السفينة البحرية، فقائد السفينة غير ملزم بإعادة العبد مرة أخرى ولا يجبر القائد أو القنصل ولا أي فرد من رعايا بريطانيا على دفع فديته".[194]

ومثل هذه البنود، كانت تشجع الأسير على الفرار، ولو بنوع من التحفظ لأن الامساك به كان يعني الموت، "ففي سنة 1665 استطاع العديد من الأسرى الهولنديين الفرار نحو سفينة راسية بالميناء، وتمّ اجبارهم على العودة إلى المدينة؛ لكن البحارة على ظهر الأسطول قاموا

[191] T. S, op.cit, p.25.

[192] Ibid, p.89.

[193] Jean-Michel Venture de Paradis, op.cit, p.50.

[194] Article of Peace and Commerce…, op.cit, p.10-11.

بجمع أموال الفدية بدفع دولار لتحريرهم... وفي سنة 1674، أجبر القنصل الانجليزي على دفع فدية، ثلاثة أسرى كانوا قد فرّوا من الجزائر".[195]

ولعقود تحدث الناس في أروبا عن فرار وليام أوكلاي برفقة أصدقائه سنة 1646. فحتى قاربه الذي فرّ فيه تم تعليقه كتمثال بالقرب من الكنيسة المركزية بمايوركة.[196] واستطاع سنة 1669 أحد الأسرى البرتغاليين الفرار، نحو بارجة حربية بريطانية كانت بالقرب من الساحل وهذا عندما كان يشتغل في حديقة سيده خارج مدينة الجزائر.[197]

ب- قيمة الفدية:

تبقى مبالغ الفدية غير ثابتة، حيث تختلف من فترة لأخرى، على حسب مبدأ الندرة والكثرة، والطلب والعرض، وكذا حالة الأسير الاجتماعية والصحية. ففي سنة 1541 أكد ديغرامون أنه بعد حملة شارل الخامس ضد الجزائر ، "بيع العبد ببصلة"، كدليل على انخفاض أسعار الأسرى " وتؤكد سجلات الدولة الأمريكية، أن الداي رفض عرضا أمريكيا لشراء أسراها، وأكد أنه غير مستعد لبيعهم، فهو في حاجة إليهم، خاصة مع تناقص عدد الأسرى في المدينة".[198]

---

[195] Playfair, E. L, op.cit, p.74.

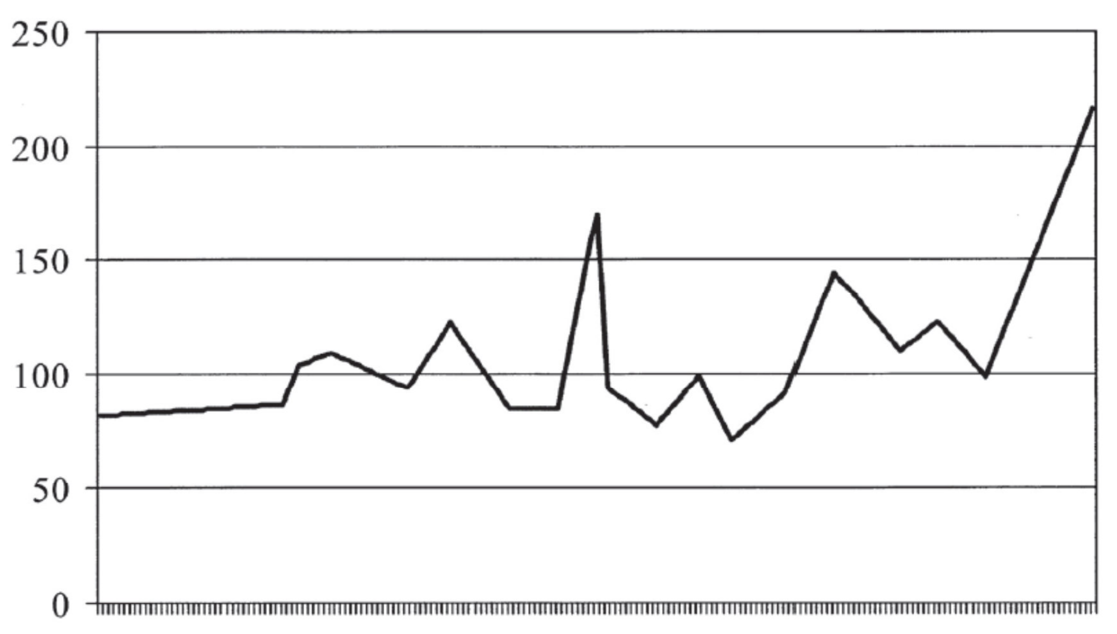
[196] Daniel. j. Vitkus, p.iracy, Slavery, and Redemption…, op.cit, p.5.

[197] Jhon Finnemore, The Barbary Rovers, London: Adam and Charles Black, 1912, p.65.

[198] American State Papers…, op.cit, p.101.

والمنحنى التالي يوضح تصاعد ثمن الفدية بين سنتي 1575-1759:[199]

«ارتفاع أسعار الفدية 1575–1759»



العملة: الإسكودوس الإسباني.[200]

وما يصعب عملية تقدير ثمن الفدية، هو قيمة العملة نفسها، حيث تختلف من فترة إلى أخرى، فقد ترتفع وتنخفض على حسب اقتصاد وامكانيات الدولة. خاصة عند تآكل الفضة والذهب المصنوعة منه، ومختلف الاحصاءات لا تقدم لنا أرقام ثابتة.

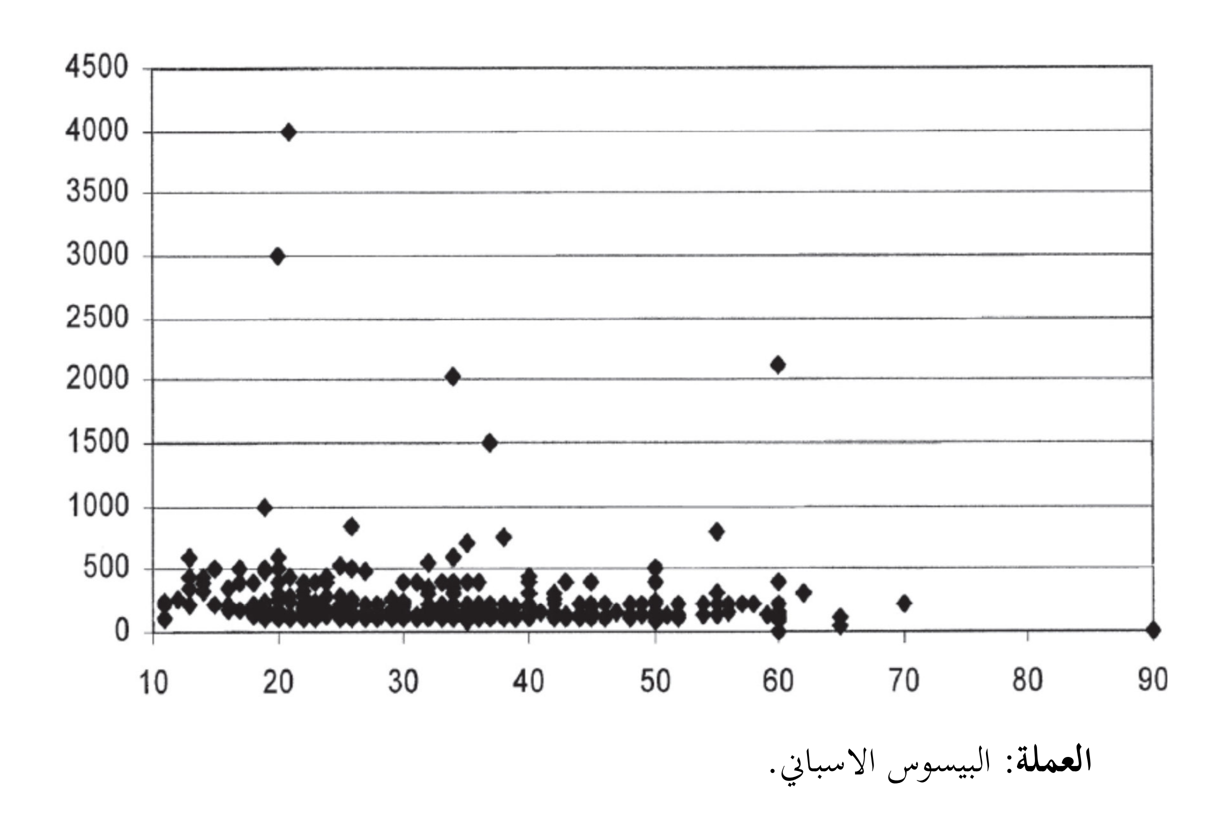
---

[199] Thomas Woodward, op.cit, p.605.

[200] الإسكودوس: ظهر أول مرة سنة 1535/1537، يعادل 16 ريال، وعندما ظهرت أنواع الريال ، أصبح يساوي 16 ريال دي بلاتافيورتي، أو 40 ريال دي فيليون بداية من سنة 1737. أنظر: Krause Chester. L, Chifford Mishler, Standerd Catalog of World Coins: 1801-1911, 18Th Ed, New-York: Krause Publications, 1911.

أما النقاط البيانية التالية، فتقدم لنا سن وسعر عينة من الأسرى، لسنة 1702:[201]

«سعر الأسرى من خلال عينة تعود لـ1702»



العملة: البيسوس الاسباني.

ومن خلال المنحنى نلاحظ أن ثمن الفدية لم يتجاوز، حدّ 500 بيسوس؛ إلا في بعض الحالات النادرة، حيث وصل إلى 4000 بيسوس؛ وهنا يمكن أن نرجع هذا الارتفاع لنوعية الأسير. كما أن أغلب الفديات التي قدر مبلغها بـ 1500 بيسوس، تعود لأسرى تراوحت أعمارهم بين 19-37 سنة.

وللتوضيح أكثر قمنا بإنجاز الجدول التالي من خلال مصادر مختلفة، عن ثمن الأسرى المحررين من الجزائر خلال القرنين 17-18-19م:

السنوات	الثمن
1642	أربعة فرنسيين تمّ تحريرهم مقابل 6.000 دولار[202]

[201] Thomas Woodward, op.cit, p.606.

1646	تم دفع مبلغ 1450 دوبل عن رجل بريطاني[203]
1682	في قائمة قدمها لنا سيمون دفبريس، تظهر أن ثمن الفدية كان بين 150-2000 قطعة ذات الثمانية، أما المتوسط الإجمالي للفدية فكان بين 200-300.[204]
1683	إحدى قوائم الفدية قدمت لنا أن ثمن الفدية كان بين 130- 600 قطعة ذات الثمانية ، أما المتوسط الاجمالي 200-300، وهناك بعض الإستثناءات، مثلا: قائد سفينة من أمستردام (2000)، كارنو لويسسيفارتيز تاسل (1100)، ربان سفينة (900)[205]
1688	فرانسيس بروك يؤكد أن السلطان المغربي، راسل الجزائريين من أجل شراء 500 أسير مقابل 150 دولار عن كل رأس.[206]
أواخر ق17	بعد أن مرض إبن تاجر يهودي، كان أسيرا لدى أحد كبار الضباط الأتراك قام الأخير بتعيين أسيرين للاعتناء به؛ إضافة لنساء القصر،

[202] Charles Sumner, White Slavery in The Barbary States, Boston: William D. Tick Nor And Company, 1847, p.22.

[203] Khalid Bekkaoui, op.cit, p.21.

[204] Piracy and Privating in The Golden age, op.cit, p.84.

[205] Ibid.

[206] Francis Brooks, Barbarian Cruelty, Being A True History of the Distressed Condition of the Christian Captives under the Tyranny of Mully Ishmael Emperor of Morocco, and King of Fez and Macqueness in Barbary, In which is likewise given a particular Account of his late Wars with the Algerines. The manner of his Pirates taking the Christians and Others. His breach of Faith with Christian Princes. A Description of his Castles and Guards, and the Places where he keeps his Women, his Slaves and Negroes, With a particular Relation of the dangerous Escape of the Author, and two English Men more from thence, after a miserable Slavery of ten Years, London: Printed for J. Salusbury at the Rising-Sun in Cornhil, and H. Markman at the King's Arms in the Poultry, 1693, p.77.

	باعتبار أنه كان يأمل أن بيعه، سيمكنه من شراء خمسة أو ستة أسرى آخرين.[207]
1726-1690	تقدم لنا إحدى التقارير الهولندية، أن ثمن الفدية استقر بين 135-700 قطعة ذات الثمانية، أما المتوسط الاجمالي فقدر بـ 336.[208]
1768	كلّف تحرير 1006 أسير، تنظيم الثالوث المقدس 3.500.000 ليفر، بمعدل 34791 ليفر عن كل أسير.[209]
1769	كلف تحرير 1450 أسير، مبلغ 5.555.704 ريال.[210]
1786	في رسالة من لامب إلى جيفرسون يذكر: ثلاثة قباطنة بـ 6000 دولار ، نائبا قبطان بـ 4000 دولار، مسافرين بـ 4000 دولار عن كل أسير.[211]
1787	حرّر الروس أسراهم مقابل 1546 دولار[212]
1788	منذ المعاهدة الإسبانية الجزائرية لم تتمكن أي دولة من تحرير أسراها، بفدية أقل من 250 باوند استرليني، أما الكابتن أوبريان فيعتقد أنه كان يستطيع افتداء الأسرى الأمريكان؛ مقابل 1800 دولار عن كل أسير. ويعتقد قبطان آخر أنه يمكن تحريرهم مقابل 4074 دولار عن كل أسير.[213]

[207] De Tassy Laugier, Histoire de Royaume d'Alger, Amesterdam: Henri du Sauzet 1837.

[208] Piracy and Privating in The Golden age, op.cit, p.84.

[209] Robert. C. Devis, Cristian slave, Muslum masters, op.cit, p.25.

[210] Karen Melvin, "Charity without Borders: Alms-Giving in New Spain for Captives in North Africa", Colonial Latin American Review, N°18, Vol.01, 2009, p.79.

[211] Jefferson Papers, (Lamb to Jeferson), Vol. 20, May 20, 1786.

[212] American State Papers…, op.cit, p.101.

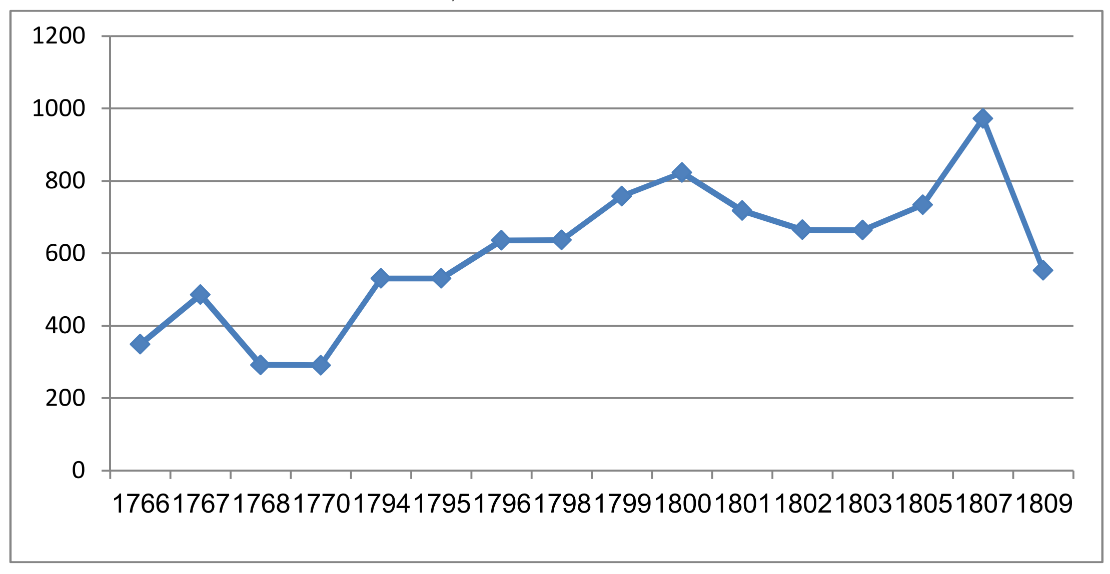
[213] Ibid.

أكد أحد الخواص للسيمبسون الأمريكي بلشبونة، أن 40 أسيرا أمريكيا يمكن افتداؤهم بـ 34.792.28 دولار، أي 2485 دولار عن كل أسير، وفي نفس الفترة تم افتداء شاب اسكتلندي مقابل 8000 ليفر (1400 دولار)، وأكد القائم بالسفارة الأمريكية بباريس أنه يمكن افتداء الأسرى الأمريكان مقابل 1571 دولار عن كل أسير.[214]	1790
يعتقد جورج سميث في رسالته إلى أحد المسؤولين؛ أن ثمن فديته لن يتجاوز 1600 دولار.[215]	1812

يؤكد الجدول السابق أن ثمن فدية البحارة كانت أعلى من المواطنين. وإن الفدية الأعلى قيمة دائما ما كانت لأسرى ذو أهمية اجتماعية وسياسية في مجتمعاتهم؛ أو أنها لأسرى يشتغلون في مناصب راقية في الجزائر.

ويوضح المنحنى البياني التالي قيمة افتداء الأسرى من خلال سجل الغنائم؛ وهذا بجرد قيمة افتداء الأسرى لكل سنة، من خلال متوسط البيع الاجمالي:[216]

«قيمة الفدية من خلال سجل الغنائم 1766–1809»



العملة: الفرنك الفرنسي

---

[214] American State Papers…, op.cit, p.101.

[215] Smith, George C., op.cit.

[216] Devoulx Albert, Le registre des prises maritimes…, op.cit., p.16-90.

ج- عمر الأسير وسنوات أسره:

إن الأسرى الشباب دائما ما كانوا ذا أهمية بالغة بالنسبة للدولة؛ كونهم يقومون بأغلب الالتزامات، ولهذا فإن السلطات كانت تتخلى عن الأسرى كبار السن؛ وهذا ما تؤكده أحد البنود المفروضة على الآباء: يتم اختيار 10 من المسنين والمعاقين والمصابين، وهذا ما ساعد في انخفاض عددهم في المدينة، والجدول التالي يوضح ذلك:[217]

«عدد الأسرى المحررين حسب السّن»

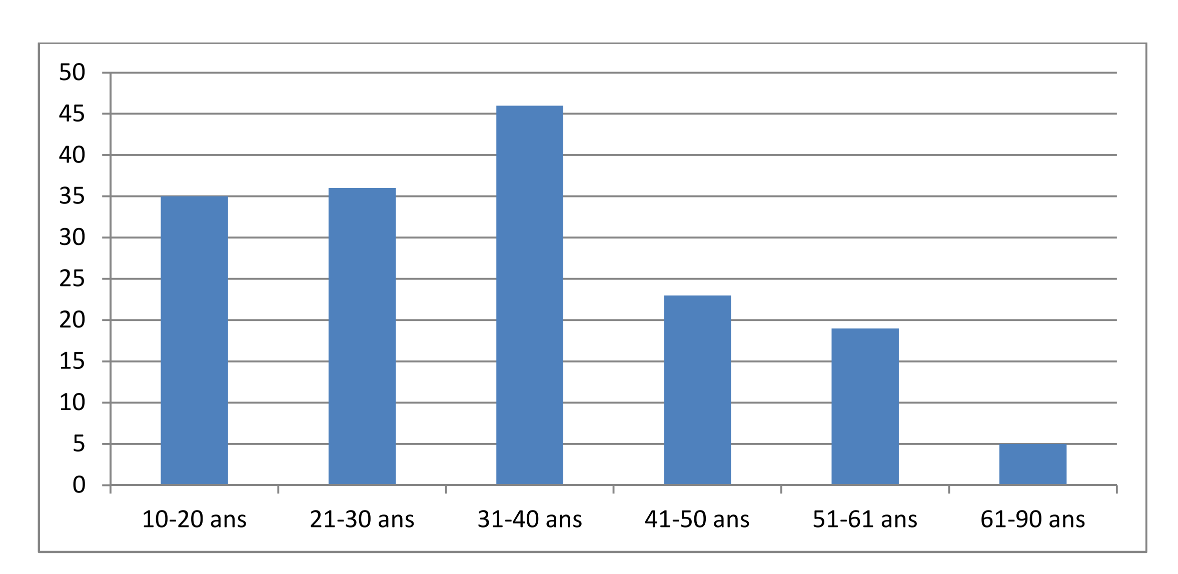
عمر الأسير خلال عملية التحرير	عدد الأسرى/62
30-21	23
40-31	26
50-41	09
50-51	04

ويمكن ارجاع ارتفاع عدد الأسرى بين سن 21-40 سنة، إلى أن هذا هو السن الذي يقوم فيه المالك بالاستغلال الكلي للأسير، من ناحية النشاط والبنية المورفولوجية.

[217] Abla Gheziel, "Captifs et captivité dans la régence d'Alger (xviie- début xixe siècle)", Cahiers de la Méditerranée, Vol. 87 , 2013, p.83.

وتعطي لنا الأعمدة البيانية التالية، عمر الأسرى المتواجدين بالجزائر سنة 1702، من خلال عينة 162 أسير:[218]

«عمر الأسرى من خلال عينة 162 أسير»



ويبدوا أن سنين الأسر التي كان يقضيها أسرى أوربا الجنوبية، كانت مرتفعة نوعا ما، وهذا نظرا لطبيعة العلاقات السياسية بين الضفتين. وبناء على عملية فدية لمجموعة من الأسرى عددهم أربعة وأربعون أسيرا (44)، قامت بها منظمة الثالوث المقدس؛ فإن المدة القصوى لتلك الحالات كانت 44 سنة، ولكن في المتوسط لم تتجاوز 7.5 سنوات.[219]

[218] Thomas Woodward, op.cit, p.606.

[219] حليفة حماش، الأسرة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث، جامعة مونتوري، قسنطينة، 2006، ص87.

وفي عينة من 60 أسير من جنوب أوربا، يبين الجدول التالي فترة الأسر وعدد الأسرى:[220]

«فترة الأسر وعدد الأسرى لعينة من أسرى أوربا الجنوبية»

فترة الأسر (بالسنوات)	عدد الأسرى
3-2	05
04	11
05	14
06	10
08-07	10
17-09	09
18	03

وفيما يخص معدل سنوات أسر مواطني شمال أوربا (الدنمارك، السويد، هامبورغ، ليباك) فكانت أقل بكثير من سكان أوربا الجنوبية، وحتى من مواطني انجلترا وهولندا، والجدول التالي يقدم لنا مقارنة بين سنوات أسر دول شمال أوربا الشمالية وهولندا:[221]

نظام الفدية المتبع	الدنمارك، هامبورغ ليباك	هولندا
أموال الفدية	ضرائب مستمرة لمجموعات معينة، إضافة إلى الصدقات المجموعة.	عبارة عن صدقات في الغالب، والقليل من الدولة.
تنظيم الفدية	بتدخل وتنظيم الدولة في الغالب (مركزية).	شخصية غير مركزية غالبا.
متوسط سنوات الأسر	غالبا أقل من سنة واحدة	ثلاثة أو أربعة سنوات

[220] Abla Gheziel, Captifs …, op.cit, p.84.

[221] Magnus Ressel, The North European way of Ransoming, op.cit, p.128.

إن الاحصاءات المقدمة تبقى جزئية؛ فما يتعلق بالأسرى عبارة عن إحصاءات تراكمية لشهادات غير رسمية، ما يجعل التصديق بها غير ثابت؛ فالوثيقتين الرسميتين العربيتين الوحيدتين أعطتنا إحصاءات مناقضة لما جاءت بها الأعمال الأوربية حول المنطقة. إن نشاط منظمات الفدية لا يمثل كل عمليات الفدية؛ فإذا اختصت هذه المنظمات بالفدية في المناطق الساحلية للبحر المتوسط وجعلها شخصية؛ فإن دول شمال أوربا عملت على ربط عمليات الفدية بالدولة وجعلها أكثر مركزية. أما فيما يتعلق بالنساء المسيحيات بالجزائر، فوضعيتهن لم تكن بذلك السوء الذي وصفتهم به الأعمال الأوربية، فكان يمكن للأسيرة أن تصبح ملكة.

الفصل الخامس

الأسرى الأوربيون بالجزائر

1- الحياة اليومية للأسرى المسيحيين

أ- أوضاع الأسرى الأوربيين في الجزائر بنظرة أوربية مختلفة:

ب- أوضاع الأسرى المسيحيين من خلال كتابات الأسرى:

1- فوق السفينة:

2- وصول الأسرى إلى الجزائر

3- الأشغال اليومية للأسرى:

3-1- أسرى الداي:

3-2- أسرى البايلك (الدولة)

3-3- أسرى الخواص

ج- وضعية الأسرى المسلمين بأوربا:

2- الأعلاج:

أ- الدعاية الأوربية ضد الإسلام خلال الفترة الحديثة

ب- المتحول في كتابات الأسرى والرحالة ق 16-17م

ج- النظرة الأوربية للأعلاج خلال الفترة الحديثة

د- الاستقرار بالمدينة وبدء حياة جديدة

هـ- نظرة حول أعداد الأعلاج في الجزائر 1671-1830

تبقى معالجة الحياة ووضعية الأسرى الأوربيين في الجزائر، متناقضة من ناحية الدراسة المنهجية، كونها تتصل بأطر عرفية متعددة، ويتجلى هذا في قضية التناول الأوربي المتعدد لقضية الأسرى، فكتاب عصر الأنوار كانوا أكثر موضوعية في نظرتهم للإسلام، وخاصة أولئك الرحالة المتنورين (نقصد رحالة عصر الأنوار).

1- الحياة اليومية للأسرى المسيحيين

لنكون أكثر دقة في تناول الحياة اليومية للأسرى من كل جوانبها. سنحاول أن نأخذ نظرتين أوربيتين مختلفتين، لحياة الأسرى الأوربيين في الجزائر:

أ- أوضاع الأسرى الأوربيين في الجزائر بنظرة أوربية مختلفة:

تذكر موسوعة العبودية في العالم، أنّ حياة الأسرى المسيحيين في الجزائر، تختلف عن أولئك العبيد المسلمين المتواجدين في اسبانيا وإيطاليا؛ فهم يستقبلون زيارات كل فترة زمنية من قبل الآباء المسيحيين، الذين كانوا ينشطون كوسطاء لافتداء الأسرى الأغنياء منهم. وأما شعائرهم الدينية فكانت تؤدى بكل تسامح... إن الجزائر كانت تعتبر مجتمعا متعدد اللغات والجنسيات، فيها العديد من المرتدين". [1]

ويذهب أحد الأسرى الإنجليز إلى أبعد من ذلك؛ عندما يصف كتابات الأسرى الأوربيين باللاّموضوعية، ومدى اندهاشه من اللاّمصداقية التي يتبعها هؤلاء الأسرى ضد الأتراك والجزائريين: "كل العالم المسيحي يهتف ضد الجزائريين ومعاملتهم السيئة "للعبيد" وأعمالهم التي تصل حدّ التعذيب لتحويلهم إلى الإسلام *(Mohamatism)*؛ لكن هذا كلام خاطئ، ووجهة نظر أنانية؛ فالأسرى المسيحيون في الجزائر يقترفون العديد من الأخطاء دون أيّ عقاب، ولا أحد منهم يجبر على عمل ما لا يطيق، وأكثر من هذا يتم الصفح عنهم عندما يمرضون، والعديد منهم مسرور بوضعيته، حتى أنهم لا يقومون بشراء حريتهم

[1] "Cervantes, Miguel de (1547-1616)", The Historical Encyclopedia of World Slavery, Vol.01, California: Junius P. Podring, p.1997.

رغم قدرتهم على فعل ذلك. ونفس الشيء يحدث بجميع الأراضي الإسلامية، باستثناء بعض المناطق الخاصة؛ كأسرى السلطان المغربي مولاي إسماعيل".[2]

ويعتقد لوجيي دوتاسي أن التحامل ضد الأتراك والمسلمين عامة، متجذر في صدور أغلب المسيحيين... الذين حذّروا من قبل بعض الآباء الاسبان؛ من ينشرون آلاف الأكاذيب عن رحلاتهم إلى منطقة المغرب الاسلامي؛ لافتداء الأسرى. وفي بعض الأحيان تزداد هذه الأكاذيب، عن طريق روايات كاذبة لأسرى متظاهرين، يتوسلون حول الأرياف بسلاسل تحيط أعناقهم؛ لم يحملوها في إفريقيا أبدا.[3]

إن مثل هذا التضخيم الذي كانت تستخدمه الكنيسة، كان يهدف بالدّرجة الأولى إلى التأسيس لدعاية كنسيّة قوية؛ تستعطف قلوب المسيحيين؛ وتعطي الصورة الهمجية للمسلمين، ما يساعد على توفير أموال الفدية.

علق أحد الصحفيين الأمريكين قائلا: "ليس من العدل أن نقول، بأن وضعهم (الأسرى) في الجزائر عامة سيء؛ فالكثير من أسرى الحرب في الدول الاوربية المتحضرة، يعاملون ببشاعة أكثر من الجزائر".[4]

إن 80% من الأسرى البيض، الذين تمّ نقلهم إلى المستعمرات الجنوبية من العالم الجديد، من قبل السلطات البريطانية، توفوا نتيجة للأعمال الشاقة والمرض. فالأسرى كانوا يعملون من طلوع الشمس إلى غروبها في الحقول، وبعدها يتم نقلهم للعمل في مطاحن الحبوب حتى منتصف اللّيل والواحدة ليلا".[5]

---

[2] Antony Benzet, Some Historical Account of Guinea, its Situation Produce, and the General Discription of it's Inhabitans: with some Inquiry into the Rise and Progress of Slaves Trade,its Nature, and Lamentable Effects, London: W. Dwen, 1772, p.70-71.

[3] Josef Morgan, A Compleat History of the Piratical States of Barbary, Algiers, Tunis Tripoli and Marocco, Containing: The Origin Revolution and Present States of these Kingdooms, their Forces, Revenus, p.olicy and Commerce, London: R. Griffiths 1750, p.4-5.

[4] Daniel Panzac, op.cit, p.15.

[5] Micheal Hiffman, They are White and they were Slaves, the Untold History, of the Enslavement of Whites in Early America, Wish Well Ruffin Home, 1992, p.92.

وراسل أحد النبلاء سنة 1688 من المستعمرات البريطانية في جزر الكاريبي، الحكومة البريطانية: " أتوسل إليكم... اعتنوا بالعمال الفقراء البيض المتواجدين هنا، والذين يتم استغلالهم بهمجية لا تصدق، أكثر من تلك التي يعانيها أسرانا في الجزائر، فأجسامهم وأرواحهم تستخدم كأنها جهنم، بدأت هنا وستستمر في العالم القادم أيضا".[6]

إن التعاليق السابقة تقدم لنا نظرة مختلفة كليا، عن النظرة التي قدمها لنا الأسرى الأوربيون الذين تواجدوا بالجزائر، وعند التدقيق يتأكد لنا أن أغلب الذين عارضوا فكرة اضطهاد الأسرى، كانوا من طبقات علمية واجتماعية راقية، أي أنهم يمتازون بتفوق منهجي في الكتابة عن الأسير العادي، الذي كان في الغالب من طبقات اجتماعية فقيرة، ذات بعد ثيوقراطي متعصب.

ب- أوضاع الأسرى المسيحيين من خلال كتابات الأسرى:

1- فوق السفينة: في سنة 1793 أبحر القبطان جون فوس *(John Foss)* بسفينة البولي من بالتيمور باتجاه قادس*(Cadiz)* ؛ وكغيرها من السفن الأميركية في ذلك الوقت كانت محملة بالقمح الموجه إلى أوربا التي مزقتها الحرب، خاصة وأن ارتفاع ثمنه أغرى التجار للاستثمار في نقله؛ وهذا رغم الصعوبات التي كانوا يتعرضون لها من قبل السفن المعادية وسفن القراصنة. وبالقرب من رأس سانت فينسن *(St. Vincent)* شاهدوا سفينة تحمل العلم الإنجليزي تقترب منهم، مع أن البعض اعتقدوا أنه القرصان الفرنسي إينيون جاك *(Union Jack)* الذي أراد أن يوهمهم؛ إلا أنه وبعد أن اقتربت السفينة منهم وجدوا فوقها شخصا "يلبس لباسا مسيحيا"، وحياهم على أنه مواطن إنجليزي وقبل أن يردوا عليه التحية خرج الرجال من المقصورة وقفزوا فوق سفينة البولي. مهاجموهم كانوا "ذوي لحية طويلة" وبهذا تأكدوا أنها تعود لبحارة الجزائر، وبعد أن تم حمل الركاب على ظهر السفينة الجزائرية، أخبر الرايس الجزائري الكابتن فوس وطاقمه "أنهم سيعانون من العبودية في الجزائر".[7]

---

[6] Micheal Hiffman, op.cit, p.90.

[7] Christine E. Sears, American slaves and African masters: Algiers and the Western Sahara, 1776–1820 , United States: Palgrave Macmillan, 2012, p.3.

أسر الدكتور أندرهيل في نوفمبر 1788 من طرف بحارة الجزائر، "وسئل مباشرة عن جنسيته، ولما أجاب أنه أمريكي، أظهر القبطان نوعا من الازدراء لشخصه، وتم تقييده، ورميه في حجرة قذرة، أين بقي هناك 24 ساعة، دون فراش للنوم، ولا أي أكل أو شرب... وتم إطلاق سراح العبيد السود الذين وجدوا على السفينة... فجأة فتح الباب ومنح ملابس، وماء بارد، مع القليل من الأرز المسلوق ثم أغلق الباب مرة أخرى. في اليوم الموالي نفس الشخص منح له نفس الفطور، صرخ أندرهيل متوسلا أن يرى هذا الشخص، وفي الأخير عرف أنه أحد الأفارقة الذين تم تحريرهم".[8]

كانت رحلة العودة مفعمة "بالحياة" كما وصفها القديس أولفير إغيلسون[9] *(Olafur Egilsson)* أسير من منطقة هايماي (جزيرة قبالة آيسلندا)، بعد الهجوم الجزائري على آيسلندا 1627: "لقد كان الجو سيئا جدا، ولمدة أسبوع كانت سفينة الكراب *(Krabbe)* منفصلة عن سفن البحارة، وكان الأسرى على متن السفينة أكبر من عدد البحارة عدة مرّات؛ حيث خطط الأسرى للثورة والاستيلاء على السفينة. لكن تم اكتشاف الخطة، فواحد من الأسرى الدنماركيين تحدث مع أحد "المرتدين" الدانمركيين (بول) وأطلعه على الخطة، عندما قال "كم من الفئران تحتاج لقتل قط"، وبهذا تفطن بول للأمر، وتمّ تطويق الأسرى بالحديد إلى غاية لحاق السفينة بسفن البحارة الجزائريين". وأكد أوليفر أن الأسرى عوملوا جيّدا خلال الرّحلة، ومنحوا الجعّة والخمر ذلك أن الأتراك لا يشربون إلا الماء.[10]

وعن احتجاز الأسرى يذكر أوليفر: "بما أن الظلام كان يخيّم على الحجرة، فكان لديهم (الجزائريون) مصابيح تضيء في الليل والنهار. وكلّ مساء يحضّر لنا الطعام، حيث نأكل نفس الطعام الذي يقدم للبحارة في القمرة. أما برميل الخمر، الذي وجد في إحدى السفن التجارية التي أسرت في فاستمان الآيسلندية؛ فكان يقدّم لنا منه كل صباح".[11]

---

[8] Updike Underbill, op.cit, p.110-111.

[9] ينظر: Jôn Thorkelsson, Tyrkjarânid â ïslandi 1627

[10] Lewis Bernard, "Corsairs in Iceland", Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, N.15-16, 1973, p.142-143.

[11] Ibid, p.143.

أما توماس سميث فيؤكد أن المعاملة فوق السفينة، لم تكن بذلك السوء الذي يصوره الكثير من الأسرى، "فخلال فترة تواجدنا على متن السفينة، عوملنا بطريقة حضارية كتلك التي توقعناها، وأطعمنا من نفس الطعام الذي أكله الجزائريون، الثوم، بور جون *(Poor-Jhon)* (نوع من السمك الأوربي)، خبز محمر *(Rusk)*، أرز، وغيرها من الأطعمة".[12]

2- وصول الأسرى إلى الجزائر: تصف إحدى الفتيات الإنجليزيات وصول الأسرى إلى الجزائر: "لقد أنزلونا (الجزائريون) على ساحل رملي... مغطا بآلاف الجزائريين، الذين كانوا يصرخون ويهتفون... مشينا حوالي ميل في الرمال، وأمامنا فرقة موسيقية تعزف...وفي الطريق تشوشنا بصراخ النساء (زغاريد) من على أسطح البيوت، اللاتي فاجأنني كثيرا، حتى تم إخباري أنها طريقة للتعبير عن الفرح بقدوم النساء المسيحيات".[13]

بعد وصول الأسرى إلى المدينة، يتم عرضهم أمام الداي، حيث له الحق في ثمن الأسرى القادمين إلى الميناء؛ وبناء على ذلك يقوم باختيار الأسرى المهمين، حسب قيمتهم شخصهم وقدراتهم، وخاصة النجّارين. يتم إرسال الأسرى الذين اختارهم الداي إلى سجون الدولة والآخرين ليتقاسمهم الملاك والطاقم.[14]

يتم نقل الأسرى الآخرين إلى البادستان (السوق الخاص ببيع الأسر)... حيث يقوم السماسرة بعرض مهنة ونوعية وسعر الأسير. ويتم البيع عن طريق المزايدة، وآخر مزايد يقوم كاتب البيع بتسجيل سعر الأسير... ويكون البيع الأول للأسرى خاصا بالملاك وطاقم السفينة، أما البيع الثاني فيكون في الغالب مرتفعا نوعا ما عن البيع الأول، لأنه يتعلق بالبايلك، ومن البيع الثاني يتم تحديد السعر الخاص بالأسرى... ويمكن تقسيم هؤلاء الأسرى إلى قسمين أسرى الدولة وأسرى الخواص.[15]

ويصف لنا الدكتور أندرهيل طريقة بيعه في السوق، "في اليوم الموالي تم نزع ملابسنا التي عرضنا بها في القصر. تمّ ربط فوطة حول خواصرنا، وعباءة بالية على أكتافنا، بعدها تم

---

[12]T. S, op.cit, p.08.

[13] Khalid El khadraoui, White Women Captives…, op.cit, p.02.

[14] Josef Morgan, A Compleat History…, op.cit, p.218.

[15] Ibid, p.222.

عرضنا للبيع في السوق. هو عبارة عن مساحة مربعة واسعة، مغلق بحوانيت منخفضة، تبيع سلع مختلفة... في وسط السوق ساحة مستطيلة مسيّجة، يتم فيها عرض العبيد والبهائم: هنا توجد الجمال، البغال، الحمير والماعز... الرجال والنساء، وكلّ الأنواع الأخرى من المخلوقات، سواء للشهوة أو الاستخدام. وشاهدت المشتري كيف يتنقل من سلعة لأخرى ليقارن بينها. يتم إخفاء النساء في حانوت منعزل، أما الرجال فيعرضون وسط الحيوانات الأخرى". [16]

وعن طريقة بيع الاسرى، يذكر وليام أوكلاي الذي كان أسيرا بمدينة الجزائر أواسط القرن السابع عشر: "يسوقونهم (الأسرى) أعلى وأسفل السوق، وإذا صادف وعرض تاجر أي مال، يصرخون مباشرة، أراش! أراش! أي " عرض الكثير من المال هنا، من يعرض أكثر؟"... في البداية ينظرون إلى أفواههم، الوسامة، القوة، وتزيد سلامة الأسنان *(Ginders)* من سعر الأسير، ولديهم سبب واضح عن ذلك التصرف: أولا هم مخلوقات عقلانية ويعلمون أن الذي لا يملك أسنانا، لا يمكنه أن يأكل جيدا، ومن لا يستطيع الأكل فإنه لا يستطيع العمل... ثانيا فهم ينوون منحهم طعاما قاسيا طيلة السنة، ولا يمكن أن تمضغه؛ إلا الاسنان القوية... أما معالجتهم اللاحقة فتركز على مدى سلامة أطراف اليد والأرجل (وجود أي كسور، انفصال العظام من مكانها، نمو غير طبيعي)... ويعتبر السن مهما جدا... وفحص الأيدي أيضا، من ناحية الخشونة والقوة، حيث يستطيعون التمييز إن كانت تصلح للعمل؛ أما إذا كانت رقيقة ولطيفة، فيشكون أن الأسير غني أو تاجر، ما يدفعهم لشرائه من أجل الفدية". [17]

---

[16] Updike Underbill, op.cit, p.117-118.

[17] William Okeley, Eben-Ezer: or, a Small Monument of Great Mercy, Appearing in the Miraculous Deliverance of William Okcley, John Anthonym William Adams, John Jcphs, John Carpenter, From The Miserable Slavery of Algiers with the Wonderful Means of their Escape in A Beat Of Canvas …, London: Printed for Nat. Ponder, 1575, p.9-11.

تؤكد إحدى الخرائط التوضيحية حول الحملة الإنجليزية على الجزائر سنة 1816[18] الموجودة بالمتحف الوطني الإنجليزي، أن سوق البادستان كان يقع خارج مدينة الجزائر من الناحية الشرقية، ووضع السوق في مكان كهذا، يمكن أن يرتبط بالصبغة الدينية.

3– الأشغال اليومية للأسرى:

كان يمكن للأسير أن يكون خازندارا للجزائر؛ كما كان يمكن أن يكون مجدفا في السفينة. إن المهن التي يؤديها الأسرى تقوم على مبدأ المواهب التي يملكها كل أسير، وعلى أساسها يكون ثمنه.

هناك نوعين من الأسرى: أسرى الدولة (بعضهم يوجد في قصر الداي، أما الأغلبية فمهمتهم إنجاز أعمال ومشاريع الدولة، حيث يستقرون في السجون)، وأسرى الخواص. وكان من بين الاسرى أطباء، قادة سفن وأصحاب حرف مختلفة.

3–1– أسرى الداي: يعيش أسرى الداي داخل جدران القصر الذي يرتفع على مساحة 4000 متر وسط المدينة، ولا يمكنهم الهروب لأن هناك باب واحد يؤدي إلى إقامة الداي، وجدران القصر محاطة بأسوار وبنايات عديدة.[19]

إن الأسرى الذين يقوم الداي باختيارهم ، يكون أغلبهم من الشباب والوسماء، بحيث يقومون بخدمته كغلمان، وهاته الطبقة من الأسرى يتم تغذيتهم جيدا مع لباس لائق، وكثيرا ما يستقبلون هدايا من قبل الشخصيات القادمة إلى القصر.[20]

أثناء دخولهم القصر يأخذون إلى حمام ساخن، ويقوم بغسلهم أسرى مسيحيون آخرون، وينظفون من جميع الأوساخ التي علقت بهم أثناء الرحلة البحرية، وتخلع عنهم ألبستهم البالية، ويمنحون أقمصة مفتوحة الأكمام وسراويل تركية واسعة وأحذية وطرابيش

---

[18] أنظر: الملحق رقم 01.

[19] Laugier De Tasser, op.cit, p.164.

[20] Josef Morgan, A Compleat History…, op.cit, p.222.

حمراء.[21] أما عن الطعام فيقول بفايفر: "أما طعامنا فإنه لم يكن من النوع الذي كان يفرض علينا أن نشكو من الجوع. فقد كانت فضلات المطبخ كلها لنا وكذلك كل ما يتبقى فوق مائدة الوزير أو السادة الآخرين من أهل البيت".[22]

وتقع شقق الأسرى على امتداد دهليز، بالقرب من المخازن المخصصة للتدبير المنزلي، وهي عبارة عن غرفة كبيرة حيث يأكل العبيد وينامون، وبه يوجد مطبخ مخصص للعبيد، إلى جهة الحديقة بواسطة ممر مغطى ومرصوف تمر به أنابيب خاصة بالمياه.[23]

لم تكن الأعمال في القصر شاقة ، فتوماس سميث ذكر بأنه "عيّن طباخا للداي بعد وفاة طباخه الخاص، ليصبح الطباخ الرئيسي للداي؛ لكن بعد حفلة أقامها الحاكم في قصره وتذمر الحضور من الحساء، عيّن مساعدا لرئيس الطباخين إسباني الأصل، ثم نقل لتسيير شؤون حمام الداي الشخصي".[24]ومن الأسرى من كان يقوم بغسل الثياب، مثلما حدث مع الأسير الاسباني دييغو غالان *(Diego Galán)*، "لقد عيّنت لغسل الملابس وغيرها من الأعمال المنزلية".[25] وآخرون كانت مهمتهم تنظيف المطبخ وغرف القصر في الطابق السفلي والعلوي، ففي الطابق العلوي يوجد أربعة عشر أسيرا مهمتهم نظافة الجناح وحمل أطباق اللّحم إلى مائدة الداي، واثنان من هؤلاء مهمتهما تقديم القهوة للداي وزواره كما يوجد في الطابق السفلي إثنان مهمتهما إضاءة الدرج للداي في الصباح، ورفع أسرّة الجنود الذين يرقدون عند أبواب الخزينة.[26]

---

[21] كاثكارت، مذكرات أسير الداي كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب، تر. إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية 1982، ص93.

[22] سيمون بفايفر ، مذكرات جزائرية عشية الاحتلال، تر. أبو العيد دودو، دار هومة، الجزائر، 1998.

[23] كاثكارت، مصدر سابق، ص22.

[24] T. S, op.cit, p.16.

[25] Ellen G. Friedman, "Cristian Captives at "Hard Labor" in Algiers, 16th-18th Centuries", The International Journal of Aferican Historical Studies, Vol.13, N.04, 1980, p.623.

[26] كاثكارت، مصدر سابق، ص26-27.

استطاع تيدنا أن يصبح خزندار باي معسكر، حيث يذكر: "أين هي تلك البربرية واللاإنسانية التي تنسبها معظم أوربا لهذا الشعب الذي أنتمي إليه حاليا؟ ألا يمكن أن يكونوا إنسانيين تجاهي فقط؟ فقلت لنفسي لا، وواصلت القول: يجب على من ينسبوا إليهم ما لا يشرفهم أن يعرفوهم أولا. لأنهم لم يعيشوا معهم أبدا".[27]

كان يمكن للأسير أن يترقى في مناصب مختلفة في الدولة، حسب النشاط والاجتهاد ويدير مجالات يختص بها الأتراك والمتحوّلون، مثلما حدث مع أسير باي قسنطينة هارك ألوفس *(Hark Olufs)* (1724-1727): "اشتغل في البداية كخادم في قصر الباي، ثم كأمين لصندوق الباي (خازندار)، وبين سنتي 1728-1732 كقائد لحراس الباي؛ ثم عين سنة 1732 آغا الدايرة (قائد عام للفرسان المحليين السباهية). وكان له دور كبير في الغزو الجزائري لتونس 1735، ليمنح بعدها حريته، ويعود إلى مدينته أمروم الألمانية".[28]كما كان يمكن للأسير أن يكون كاتبا للسجن، وحسب جيريت "فإن كاتب السجن –وهو عبد اسباني- قد وصل على صحوة جواده، وأمرنا أن نحضّر أنفسنا، لكي نتبعه إلى السجن".[29]

ولهذا فإن الأسرى الذين يرثى لحالهم حسب فونتير دي باراداي، هم الذين يشتغلون في أعمال المنافع العامة. حيث يجب استثناء أصحاب الصناعات. أما الأسرى الذين يعملون عند الداي وكبراء الدولة، وعند أغنياء الترك والعرب واليهود، أو في المستشفى، أو عند آباء البعثة، فإن هؤلاء ليس لهم ما يؤلمهم إلا تذكرهم بأنهم أسارى، فهم يرتدون أفخر الثياب ويأكلون أشهى الأطعمة، ولا يعملون إلا أعمالا طفيفة، ويمكنهم في مدة قليلة جمع المال الذي يفتدون به أنفسهم.[30]

---

[27] تيدنا، مصدر سابق، ص40.

[28] Martin Rheinheimer, op.cit, p.211-213.

[29] جيريت ميتزون، يوميات أسر في الجزائر 1814-1816، تر. محمد زروال، دار هومة، 2011، ص58.

[30] أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791، سيرته، حروبه، أعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص207.

3-2- أسرى البايلك (الدولة): يعتقد البعض أن الداي بعد اختياره الثمن من الأسرى القادمين، يقول "إذهبي أيتها الكلاب المسيحية، والتهمي الحجارة".[31] كان يعيّن بعض الأسرى لخدمة الثكنات، وتتلقى هذه الطبقة معاملة حسنة من قبل الجنود الأتراك؛ أما البقية فيتم إرسالهم لسجون الأسرى...وكل الأسرى يلبسون حلقة حديدية صغيرة في أحدى الرجلين، وهذا لتمييزهم عن الآخرين (كرمز للعبودية)... ويقوم الداي باستثناء النجارين، الجلافطة والحدادين من بين الأسرى ليؤجرهم لملاك السفن، مقابل مبالغ مالية.[32]

في الصباح يتم توجيه الأسرى المتواجدين في السجون للعمل في وظائف مختلفة: المعسكرات، سحب الأمتعة، تأدية الأعمال الشاقة في قصر الداي، أما الأعمال العمومية فترتكز في الغالب على تحطيم الجدران، وكسر الصخور وسحب عربات محملة بمستلزمات البناء... كما يقوم الداي بإرسال بعضهم إلى البحر، ويترك لهم 3/1 من حصتهم في الغنيمة بينما يأخذ الباقي.[33]ولتأدية الأعمال بصرامة كان يتم استخدام السوط في بعض الأحيان. ويمكن للأسرى أن يشتغلوا في مناصب مختلفة حسب مواهبهم، في الزراعة، المحلات والوظائف المنزلية.[34]

إن أصعب الأعمال إرهاقا بالنسبة للأسرى هو التجديف. كانت السفن الجزائرية (الغاليه) تضم بين 18-24 مقعد تجديف، حيث أن كل مجداف كان يحتاج بين ثلاثة إلى خمسة أسرى؛ أما السفن الصغيرة فكانت تحتاج أقل، مثلا البرغنتين تضم بين 8-13 مقعد تجديف. وقوارب البحارة كانت تتطلب في بعض الأحيان 240 مجدف.[35] ويعتبر فرانسيس نايت أن الأعمال الأخرى التي يؤديها الأسرى لا يمكن أن تقارن بالعمل على السفن

[31] Jakson. G. A, Algiers: Being a Complete Picture of the Barbary States; their Government, Laws, Religion, and Natural Productions, and Containig of their Various Revolutions…, London: R. Edwards, 1817, p.336.

[32] Ibid, p.223.

[33] Josef Morgan, Several voyage to Barbary Containing an Historical and Geographical Account of the Country, With the Hardships, Sufferings, and Manner of Redeeming Christian Slaves…, London: Printed for Oliver Payne, 1736, p.44-45.

[34] Ellen G. Friedman, "Cristian Captives at "Hard Labor…, op.cit, p.618.

[35] Ibid.

بإعتبارها الأكثر وحشية واللاإنسانية... وفي عدة مرات يموت الأسرى نتيجة العطش، حيث يجبرون على شرب ماء البحر؛ كما أن الحاجة إلى النوم، تدفع الكثيرين إلى الهذيان.[36] وقد أكد أحد الملاحظين الاسبان أواسط القرن السابع عشر، وفاة حوالي عشرين مجدفا من العطش؛ فخلال ثمانية أيام لم يشرب الناجون سوى ماء البحر.[37]

ومن الأسرى من يقوم باكتراء الحانة الموجودة في السجن، عندما يملكون مالا كافيا لإدارتها، أو يقومون بتأجيرها لليهود، الذين يشتركون مقابل 3-4% من أرباحها شهريا، كما يقومون بمنح مبالغ ضخمة للداي سنويا، مقابل الخمر الذي باعوه.[38] ويؤكد كاثكارت: "كان يسمح للأسير في سجن جاليرا تسيير حانة في السجن، ولا يدفع سوى نصف الرسوم المقررة، وشراء حانة لعينة في السجن، هو الذي مكنني من الحصول على المال في وقت لم يكن فيه زملائي في الأسر يملكون شيئا" .[39]

ومن بين أكثر المشاريع استقطابا للأسرى، هو عملية تعزيز الساحل لحماية الميناء من الرياح والهجمات الخارجية، الأمر الذي كان يدفع الأسرى إلى العمل في معامل الحجارة التي تبعد حوالي ميلين عن مدينة الجزائر، وحملها في عربات وجرها إلى الميناء. في سنة 1736 راسل مجموعة من تسعين (90) أسيرا إسبانيا "ضباطا وجنودا" الملك فليب الخامس، يتذمرون من العمل في الجزائر، حيث أكدوا أنهم منذ ثلاث سنوات ونصف، لا يتحركون من دون سلاسل ضخمة، وخلال هذه الفترة عملوا على تعزيز الميناء، حيث يقومون بأربع رحلات يوميا يجرّون فيها عربات محملة بالحجارة من المعمل إلى الميناء. وفي سنة 1680 أكد أحد الضباط السامين الإسبان، يدعى دون بالتسار هيرنانديز دي ريفادينيرا، الذي كان أسيرا بمدينة الجزائر (تم تحريره مقابل ابن حاكم تلمسان الذي كان اسيرا في اسبانيا) أنه خلال فترة

---

[36] Francis Knight, A Relation of Seaven Yeares Slaverie Under the Turkes of Argeire, Suffered by an English Captive Merchant, Wherein is also Conteined all Memorable Passages, Fights, and Accidents, which Happoned in taht Citie…, London: Printed by T. Coles, 1640, p.28-29.

[37] Ellen G. Friedman, "Cristian Captives at "Hard Labor"…, op.cit, p.620.

[38] Josef Morgan, Several voyage to Barbary…, op.cit, p.45.

[39] كاثكارت، مصدر سابق، ص128.

أسره اشتغل يوميا في جرّ عربات محملة بالحجارة إلى الميناء، وأضاف أنه كان دائما محاطا بسلاسل تزن حوالي 50 باوند (الباوند يساوي 353 غرام).[40]

إن مثل هذه الأعمال كانت تؤدي إلى تدهور الحالة الصحية للأسير، وفي مرات عدة إلى وفاته، ومن بين المناطق التي كان يشتغل بها الأسرى لجلب الحجارة، الآثار الرومانية الواقعة خارج مدينة الجزائر. في 4 أكتوبر 1719، تم جلب خمسة أسرى إلى مستشفى الثالوث المقدس ممن كانوا يسحبون الحجارة، "وأكدت التقارير أن الماء الموجود بالمحجر كان سيئا إضافة إلى سوء التغذية والإجهاد. وفي 10 أكتوبر 1719 كان يوجد ستة وأربعون (46) أسيرا بالمستشفى جلبوا من معمل الحجارة، ومع 15 أكتوبر واحد من هؤلاء الأسرى توفي".[41]

أرسل الكابتن كروكر في جويلية 1815 من طرف اللورد إكسموث إلى الجزائر، حيث أعطى لنا صورة عن وضعية الأسرى المسيحيين في الجزائر، "في اليوم الموالي من وصوله إلى المدينة، توجه إلى معمل الحجارة أين شاهد الأسرى المسيحيين يمشون مع البغال إلى المعمل تحت إمرة أسيادهم الجزائريين، ويضربون ضربات مفاجئة، عند محاولتهم الاتصال بالقنصل الانجليزي لإثبات أنهم يحملون جوازات إنجليزية؛ ورغم هذا لا يزالون في العبودية".[42]وفي إحدى المرات التي اكتشف فيها القنصل الإنجليزي أن أحد الأشخاص يحمل جوازا إنجليزيا لم يستطع فعل أي شيء؛ ما عدى أخذ الأسير إلى منزله وإبقاءه تحت حمايته، مقابل أن يدفع دولارا واحد كل شهر، لتجنيبه العمل في المنجم.[43]وحتى القناصل كان يمكنهم أن يسحبوا الحجارة؛ إن حدثت مشاكل بين دولهم والجزائر، " لما أخذ الفرنسيون مصر وبلغ خبر ذلك إلى مصطفى باشا استدعى القنصل الفرنسي... وأمر أن يجعلوه قيد الحديد برجله

---

[40] Ellen G. Friedman, "Cristian Captives at "Hard Labor"…, op.cit, p.621.

[41] Ibid, p.622.

[42] Croker Walter, The Cruelties of the Algerine Pirates, Shewing the Present Dreadful State of the English Slaves, and Other Europeans at Algiers and Tunis with the Horrid Barbarities…, London: Pritedfor W.Hone, 1816, p.04-05.

[43] Ibid, p.05.

وأن يخدم الحجر مع الأسرى، واستدعى جميع قناصل فرنسا الذين بالجزائر مثل: عنابة ووهران، وعندما قدموا وضع القيود في أرجلهم، مثل صاحبهم يخدمون الحجر".[44]

3-3- أسرى الخواص: كانت سجون الخواص في الكثير من الأحيان مرقدا بالنسبة للأسرى، وفي النهار يتدبر الأسير أمره، مقابل أن يمنح سيده نسبة معينة من هذا الدخل، "فقد كان هؤلاء الأسرى يمارسون السرقة وكل أنواع السفالة. فالمواد التي يسرقونها في اليوم السابق تعرض للبيع في اليوم الموالي صباحا في مزاد علني عمومي داخل السجن الخاص".[45]

واشتغل الكثير من هؤلاء الأسرى في صناعة بعض الألعاب الخشبية واكترائها للأطفال.[46] إضافة إلى بيع التبغ والمشروبات الكحولية، والتجول في شوارع المدينة.[47] وبهذا يزود الأسرى أنفسهم بالقليل من المال للتغلب على مصاعب الحياة. غير أن العدد الأكبر منهم يموت جوعا كلّ سنة، وذلك حسبما أخبرنا به رحالة انجليزي، أن 20 من بني جلدته ماتوا هنا في شتاء واحد بسبب الحاجة فقط.[48] كما كان يمكن للأسير أن يشتغل في مزارع سيده، ويصف ذلك توماس سميث: "كان سيدى اللاحق بستاني، حيث أخذني إلى بستان مملوء بالأشجار، وبهراوة ضخمة جعلني أتعلم أعمالا لم أقم بها من قبل. حاولت في العديد من المرات، أن أقنعه بأداء مهام أخرى؛ لأنني لم أعد أتحمل. وباستياء كبير أطلعني بأنه سيقتلني... في بعض المرات كان يرسلني لجلب الجير من أجل إكمال البناء".[49]

---

[44] محمد شاطو، نظرة المصادر الجزائرية إلى السلطة العثمانية في الجزائر، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، تحت إشراف: محمد بن خروف، جامعة الجزائر، 2006-2009، ص90. نقلا عن المصدر: مسلم بن عبد القادر، أنيس الغريب والمسافر، مصدر سابق، ص76.

[45] جيمس ويلسن ستيفن، الأسرى الأمريكان في الجزائر 1796/1795، تر.على تابليت، منشورات ثالة، الجزائر، 2007، ص216.

[46] Robert Davis, Esclaves Chrétiens, Maitres Musulmans…, op.cit., p.167.

[47] بومدين دباب، مرجع سابق، ص79.

[48] جيمس ويلسن ستيفن، مرجع سابق، ص217.

[49] T. S, op.cit, p.16.

وكان يمكن للأسير أن يشتغل في تربية الأطفال، "ويقوم بما تقوم به الأمهات... وهناك العديد من الأسرى يقومون بهذه الوظائف، وبها يعفون من وظائف أخرى؛ خاصة إذا تعلّق بهم الأطفال... وهي أكثر الأعمال سهولة في الأسر".[50]

إن وضعية هؤلاء الأسرى ترتكز على نوعية المالك نفسه، "ففي بعض الأحيان يعيش الأسير حياة سعيدة، ويتمتع بالحرية مثل مالكه، ويقيم في نفس الحجرة، ويأكل معه من نفس المائدة؛ وهناك البعض من يعاملون بطريقة سيئة، ويضربون لأخطائهم... وإن أكثر الملاك قسوة هم أولئك الذين يشترون الأسرى من أجل الفدية والربح؛ وخاصة المورسيكيون".[51]

أما الأسرى الرهبان أو المتدينون؛ فلا يتم استخدامهم بطرق سيئة، بسبب الهبات التي يقدمها الأب المسؤول عن المستشفى الاسباني، بدفع مبالغ مالية لاستثنائهم من الأعمال الشاقة؛ إضافة إلى المساعدة التي كان يقدمها التجار الفرنسيون. لكن الشائعات التي كانت تصل المدينة حول المعاناة التي كان يقبع فيها المسلمون في أوربا، كانت تلهب العامة. فمثلا: في ماي 1706، بعد عودة بعض الأسرى المسلمين ممن كانوا في جنوة، وإخبارهم الداي عن الوضعية السيئة التي يقبع فيها المسلمون من إجبار عن التخلي عن دينيهم، أمر الداي باستدعاء ثلاثة أسرى فرنسيسكانيين (متدينين) من كورسيكا، وحكم عليهم "بالحرق أحياء".[52]

وهناك من الأسرى من كانوا يعملون كباعة مساعدين في المحلات. وآخرون كان يسمح لهم بتسيير مشاريعهم الخاصة، بشرط أن يدفعوا نسبا معينة من أرباحهم... أما الأسرى أصحاب المواهب؛ كالنجارين، البنائين، الأطباء والجرّاحين، فكانوا ذا قيمة مرتفعة... إن البعض من ملاك الأسرى من القباطنة، كانوا يمتلكون أسرى أصحاب حرف في نجارة السفن صنّاع المدافع، وبنّاؤوا السفن، وهذا النوع من الأسرى غالبا ما كانوا يعاملون معاملة حسنة...أما "الجراح وحتى إن اشتغل يوما في الجراحة يجاز جرّاحا"، وهذه الطبقة من الأسرى

---

[50] Ellen G. Friedman, "Cristian Captives at "Hard Labor"…, op.cit, p.623.

[51] Josef Morgan, Several Voyages to Barbary…, op.cit, p.49.

[52] Ibid, p.50.

تعامل معاملة خاصة. "يتم منحهم ملابس عسكرية، وقبعة ثلاثية الزوايا، ولا يعيّننهم ملاكهم في وظائف غيرها، وهم يعيشون حياة جيّدة".[53] فديتهم مرتفعة جدا وفي أحيان أخرى يرفض تحريرهم على الاطلاق.

ج- الأسرى المسلمون بأروبا:

لا يمكن أن نفهم وضعية الأسرى جنوبا؛ ما لم نقم بمقارنتها مع الضفة الشمالية، ولهذا فإن الأعمال الشاقة التي كان يعاني منها الأسرى، لم توجد في الجزائر فقط، بل امتازت بها كل مناطق البحر المتوسط؛ "فالعمل في المناجم الاسبانية كان متعبا جدا، حيث أصبح العديد من الأسرى في حالة صحية متدهورة نتيجة الإرهاق، وأكثر من هذا فقد يصابون بأمراض معدية".[54] إن الأسرى الذين كانوا يعتبرون من أسرى النخبة في فرنسا، هم أسرى شمال إفريقيا الخاضعين للنفوذ العثماني، وأغلبهم كانوا يؤدون الأعمال الشاقة؛ وخاصة التجديف. واستمرت الجملة التالية متداولة في المجتمع الفرنسي طيلة الفترة الحديثة "قوي مثل تركي" *(Fort comme un Turk)*.[55]

وتشير سجلات المحاكم الشرعية للوضعية النفسية؛ التي كان يعيشها الأسير بعد تحرره وعودته إلى الجزائر؛ ففي كثير من الأحيان قد يجد زوجته قد طلقت منه، وحتى أملاكه تم اغتصابها، "كحالة الأسير محمود بن علي شعوة، التي تعود لسنة 1777/1192، فبعد عودته إلى الجزائر وجد أن القاضي كان قد طلّق زوجته، وأن ممتلكاته أخذت منه".[56]

---

[53] Ellen G. Friedman, "Cristian Captives at "Hard Labor"…, op.cit, p.624.

[54] Ibid, p.622.

[55] Paul Walden Banford, "Procurement of Oarsmen for French Galleys, 1660-1748" The American Historical Review, Vol.65, N.01, Oct 1959, p.32.

[56] س. م. ش، ع33، ق02، 1192هـ.

وكانت فكرة الأسر بأروبا في حد ذاتها مرعبة في المجتمع الإسلامي، ولهذا نلحظ رد الملك المغربي مولاي إسماعيل على الهدايا التي قدمها له السفير الفرنسي أمان (1682): "لو حملت لي أسيرا واحدا من رعيتي الموجودة بفرنسا؛ لفضلته على كل أموال الدنيا".[57]

وكثيرا ما كان الأسرى المسلمون يموتون؛ نتيجة للأعمال الشاقة والمعارك البحرية دون الحصول على حريتهم: "قارة حسن الجزائري؛ ابن مصطفى، 40 سنة، أسر سنة 1669... توفي في المستشفى 18 ماي 1689. *Sayet* الجزائري، أسر سنة 1685... توفي في مستشفى سانت مالو 12 نوفمبر 1696. أحمد الجزائري؛ إبن مبارك، أسر سنة 1664...توفي في المستشفى 08 أكتوبر 1709. أحمد الجزائري؛ موريسكي، أسر سنة 1672... توفي في إحدى الحملات البحرية 11 أوت 1699، عمّار من شرشال؛ ابن يوسف، أسر سنة 1672... وتوفي في المستشفى 10 أفريل 1696.[58] ومن بين 43 ناجي أكملوا أكثر من 26 سنة مجدفين على متن السفن الفرنسية، بمتوسط بقاء على متن السفن يصل إلى 15 سنة... وهناك من مات مجدفا مثل ذلك التونسي صاحب الرقم 1418 الذي استقدم كمجدف سنة 1636، وفي سنة 1682 كان قد بلغ سنّ 62 سنة؛ ما يعني أنه قضى 46 سنة؛ وبدأ التجديف وسنه لا يتجاوز 15 سنة، وتوفي في المستشفى سنة 1684.[59]

2- الأعلاج:[60]

إن أغلب الدراسات التي عالجت قضية "الأعلاج"، عالجت نشاطهم البحري في المتوسط، بحيث أصبح العلج يرمز للبحار، أكثر من معناه "كمتحول". هذا الربط السابق للعلج يجعل الكثير من الدراسات تهمل جانبه الإنساني، وتهتم أكثر "بالدور".

[57] عز المغرب معنينو، قضايا الأسر أسرى الجهاد البحري في الرحلة السفارية "الصورة المقننة للآخر"، ندوة الرحالة المعرب والمسلمين، المؤتمر الدولي الأول، الدوحة، 2010، ص12.

[58] Moulay Belhmissi, Les Captifs Algériens…, op.cit, p.44.

[59] Boyer Pierre, op.cit, p.69.

[60] إن الكثير من الدراسات المعاصرة، أصبحت تطلق مصطلح "المتحول"، بدلا من مصطلح العلج أو المرتد *Renegade*، لإضفاء نوع من الموضوعية على أبحاثهم.

أ- الدعاية الأوربية ضد الإسلام خلال الفترة الحديثة:

يرى بروديل أن الحكومات الأوربية قد شجعت على نشر روايات الأسرى ذات البعد الإديولوجي؛ وهذا لإبعاد القراء عن الاسلام والمسلمين؛ ورسم الهمجية الإسلامية في عقول المسيحيين، والتأسيس لدعاية قوية تعتمد على المذكرات الشخصية.

إن أعداد المسحيين الذين تحولوا إلى الإسلام خلال الفترة الحديثة؛ كان أكثر بكثير من أولئك المسلمين الذين دخلوا المسيحية.[61] الأمر الذي دفع الحكومات الأوربية، إلى خلق نوع جديد من الدعاية لتشويه صورة المسلمين في المجتمع الأوربي، وتصويرهم في أشكال عدائية. ففي سنة 1577، ذكر أحد الانجليز الذي كان متأثرا بالحضارة الاسلامية: "إن النساء والرجال الحكماء، هم الذين يتركون انجلترا للعيش في فرنسا، ألمانيا، وشمال إفريقيا".[62]ومع أوائل القرن 17م، كان يوجد بالجزائر عدد هائل من البريطانيين، استطاعوا أن يأسسوا للوبيّ قوي بها؛ حتى أنه قبل الهجرة الأمريكية الكبرى 1620، كان عدد الإنجليز المتواجدين بالجزائر أكثر من أولئك الإنجليز المتواجدين بأمريكا".[63]

رغم أن مثار كوتن لم يجرب العبودية في حياته؛ إلا أنه ومثل كتاب عصره، استخدم قلمه لدعم دعاية "الرفض للإسلام" *(Anti-Islam)* ورفض التعدد الاجتماعي. وبعد عودة جوشوا إلى الديار (7 سنوات أسيرا في الجزائر)، نشر مذكراته القائمة على الكره وتصوير الجزائريين كشياطين ووحوش إفريقيا وقوى الظلام.[64]

ومع أواسط القرن الثامن عشر، كبر الاقتناع في إنجلترا ودول شمال أوربا؛ أن المسلمين والوثنيين وحدهم من يجب استعبادهم قانونيا؛ وقد صدرت العديد من الأغاني الشعبية تبيح

---

[61] Nabil Matar, English Accounts of Captivity in North Africa and The Middle East: 1577-1625, Renaissance Quarterly, 54, 2001, p.553.

[62] Umar Faruq Abd-Allah, Turks, Moors, & Moriscos in Early America, Sir Francis Dreke's Liberated Galley Slaves and The lost colony of Roanoke, Nwawi Foundation 2010, p.6.

[63] Daniel. j. Vitkus, op.cit, p.4.

[64] Sally McKee, "Domestic Slavery in Renaissance Italy", Slave and Post-Slave Studies, vol.29, 2008, p.321.

استعباد المسلمين؛ كتلك الأغنية التي صدرت مطلع القرن الثامن عشر، بعد أن تمّ أسر العديد من البريطانيين في شمال إفريقيا: "الحكم بريطانيا! بريطانيا، حكم الأمواج؛ البريطانيون لن يكونوا عبيدا".[65]

لكن في المقابل كان هناك الكثير من المفكرين الذين رفضوا التمييز الديني، وأول من طرح فكرة التساوي في الحقوق، جون لوك سنة 1689، عندما كتب: "لا وثني ولا مسلم *(Mohamaten)* ولا يهودي، يجب استثناؤهم من الحقوق الحضارية الخاصة بالكومنولث بسبب دينه".[66]

ب- المتحول في كتابات الأسرى والرحالة ق16-17م:

إن أول إشارة "لمتحول انجليزي" كانت في عمل ريتشارد هوكلايت *(Richard Hakluyt)* "مجموع الرحلات"، ويسمى هذا المتحول جون نيلسون *(Jhon Nelson)*. وادعى هوكلايت أن نيلسون أجبر على الدخول في الاسلام، وفي نفس العمل أشار إلى مواطنين إنجليز، دخلوا في الاسلام برغبة منهم:

"هذا الملك له ولد، كان حاكما على جزيرة تسمى جربة، أين قدمت سفينة إنجليزية تدعى التنين الأخضر *(Green Dragon)*، كان قائدها السيد بلونكات، ولديه فوقها شاب تعيس جدا، وفهم أنه إذا تحول إلى الاسلام *(Turn Turk)*؛ فسيعامل جيدا أفضل من خادم كحارس للملكة، وفعلا أجبره ابن الملك على الدخول في الاسلام، كان اسمه جون ويلسون".[67]

---

[65] David Brion Davis, Re-examining the Problem of Slavery in Western Cumture, Yale: American Antiquarian Society, 2009, p.256.

[66] John Locke, Epistola de Tolerantia: A Letter on Toleration, ed. Raymond Klibansky, trans. J. W. Gough, Oxford, 1968, p.145.

[67] Richard Hakluyt, The principal navigations, voyages, traffiques, and discoveries of English Nation, made by sea or over-land, South and south-East parts of the World, at any time within the compasse of these 1600 years… exc., 2nd, London: George Bishop, Ralph Newbery, Robert Barker, 1599, p.231.

إن أول رحلة رسمية مرسلة من الملكة إليزابيث إلى الملك مراد الثالث، قادها الرحالة دالام ووصف الرحالة العديد من الأراضي الاسلامية؛ "لكنه لم يشر إلى أيّ "متحوّل" التقى به، وكغيره من الانجليز، فإن "المتحول كان يمثل –بالنسبة له– النذل الجديد في الصراع الانجليزي ضد المعادين للمسيح...وخاصة إذا كان من بلد كاثوليكي كإسبانيا والبرتغال".[68]

لقد حاول كتاب الروايات إظهار الندم والعقاب الذي ينتظر "المتحول"، بعد دخوله في الاسلام، وأن عودته إلى المسيحية مرّة أخرى، ستجعله يتعرض للعقاب والموت من قبل الأتراك، يذكر وليام أوكلاي الذي كان أسيرا في الجزائر: "أن أحد الاسبان بعد يأسه من الافتداء، تخلى عن مسيحيته ليصبح مسلما، لقد كان رجلا سمينا؛ لكن بعد دخوله الإسلام أصبح هزيلا جدا، ويميل إلى الاكتئاب، لكنني أتوقع أن سوء مزاجه يرجع في الأصل إلى ضميره... وعندما لم يستطع الاستمرار، ذهب إلى نائب الحاكم، واحتج على خرافة ووثنية محمد (ص)... جلب بعدها أمام الديوان للتحقيق، واستمر في المجاهرة بإيمانه المسيحي فسجن بالقيود الحديدية... وحرق حيّا".[69]

ورأى أوكلاي مرة أخرى أن الدخول في الاسلام، يجعل من الصعب على المتحول التأقلم مع عادات وتقاليد المجتمع الاسلامي، "وعندما لا يكون الدين مشدودا في القلب؛ فإن قضية صغيرة تجعله يسقط: لقد تحوّل هذا الانجليزي إلى الاسلام، وباعتباره سكيرا مسيحيا، فقد أصبح سكيرا مسلما (*Turk*)، ولم يكن قادرا على ابعاد الخمر من رأسه وخلال شهر رمضان المقدس عندهم، وُجد في أحد الأيام مخمورا... جلب أمام القاضي وجلد بعنف مئات المرّات".[70]

---

[68] Gerald M. MacLean, op.cit, p.15.

[69] Ibid, p.29-30.

[70] William Okeley, Eben-Ezer: or, a Small Monument of Great Mercy, Appearing in the Miraculous Deliverance of William Okcley, John Anthonym William Adams, John Jcphs, John Carpenter, From The Miserable Slavery of Algiers with the

إن كلام أوكلاي السابق، يظهر جليا أن الأسرى، دائما ما حاولوا إثبات مسيحيتهم وتفانيهم في خدمتها، ورفضهم الاسلام؛ رغم الاغراءات التي تعرّضوا لها من طرف المسلمين. لكن لم يؤكد أي منهم تعرضه للتحويل باستخدام العنف، وحسب الأسير هاسليتون (يعتبر أول أسير إنجليزي ينشر رواية أسره بالجزائر) 1595: "فإن أحد الشيوخ الجزائريين قام بمنحه الطعام والملجأ. ثم عمل فيما بعد كمدفعجي عن طيب خاطر (عكس ما صوره لنا واب *Webb* الذي ادعى أنه أجبر على الخدمة) مع راتب محترم؛ وعرض عليه الدخول في الاسلام، فالجزائريون كانوا يتوقون لرؤيته مسلما؛ لكنهم لم يستعملوا التعذيب عكس ما كان يفعله الكاثوليكيين في إسبانيا لجعله كاثوليكيا".[71]

وكغيره من كتاب الروايات في عصره، حاول أوكلاي التقليل من قدسية الإسلام: "وذلك عندما نسب دين "محمد (ص) إلى مجموع كتب يهودية، ورهبان مزورين".[72] لم يكن هدف أوكلاي نسب الإسلام لديانة أخرى فقط، بل حتى إبعاد نسبه عن المسيحية الكاثوليكية، وهذا عندما نسبه للدين اليهودي، إحدى أكثر الديانات كرها، من قبل المجتمع و"المؤمنين البروتستانت" في إنجلترا.

لقد اعطى بلونت نظرة مغايرة عن الأتراك، في أغلب فصول رحلته 1634 "لقد كان يبدو معجبا بالأتراك، فمدح نظافتهم الشخصية، والمؤسسات الاجتماعية...كتب: "إن العيب الوحيد الذي وجدته في الأتراك، هو شراؤهم وبيعهم أي مسيحي ظال، يأتي في طريقهم"[73]، لقد تحدث بلونت مرارا مع بعض المتحوّلين، وأكد نفس النظرة التي رآها كتاب

Wonderful Means of their Escape in A Beat Of Canvas …, London: Printed for Nat. Ponder, 1575, p.32-33.

[71] Nabil Matar, English Accounts of Captivity in North Africa and The Middle East: 1577-1625, Renaissance Quarterly, 54, 2001, p.558.

[72] William Okeley, op.cit, p.13.

[73] Gerald M. MacLean, The Rise of Oriental Travel…, op.cit, p.172. **See Also:** Blount, Henry, A Voyage into the Levant, 1636. Dutch translation, Zee-En Land

عصره: "لقد وجد أن أغلب من دخلوا الاسلام برغبة منهم؛ إنّما دخلوه فقط لتحسين ظروفهم الاجتماعية، دون أي ضغينة للمسيحيين، باستثناء أولئك الذين يسبّونهم لارتدادهم".[74]

إن نظرة بلونت للمتحول، لم تكن متعصبة؛ بل نظرة معتدلة؛ عكس كتابات عصره التي رأت في المتحول خائنا لعقيدته وبلده. لقد أثبت بلونت أن التحوّل للإسلام كان يبدو أمرا متقبلا عند العامة من المجتمع الانجليزي، وأن ما كان يروّج في كتابات الأسرى ولدى بعض المفكرين، ما هو إلا خدمة لأغراض دعائية، ذات بعد سياسي وديني.

لقد شهد حكم الملكة إليزابيث الأولى تناقصا في أعداد الإنجليز المتواجدين في العالم الإسلامي، أو على الأقل التسريع في عمليات تحريرهم سواء باستعمال الطرق التجارية أو عقد معاهدات سلم وصداقة. إن روايات الأسرى التي ظهرت بعد رواية فوكس في كتاب هكلايت "الرحلات الرئيسية"، لم تكن أبدا لأسرى هربوا، وإنما لأسرى تم افتداؤهم بتدخل الملكة أو المجلس الملكي البريطاني، ولهذا فإن الروايات التي كتبت بعدها كلها جاءت لمدح الملكة وإظهارها في مظهر الملكة المحترمة للوطن؛ أكثر من تشويه سمعة الاسلام. ولهذا فإن أغلب مقدمات أعمال الأسرى، كانت تبدأ بجملة "من أجل الرب والملكة" *(For God and Queen)*.

وعكس كتابات الأسرى الذين تم افتداؤهم، فإن المتحوّلين الهاربين أو العائدين إلى الديّار أكدوا في أعمالهم أنهم أرغموا على الاسلام، وأن انتماءهم للإسلام، لم يكن سوى

Voyagie Van den Ridder Hendrik Blunt, Na de Levant. Gedaan in het Jaar 1634, Leyden: Pieter Van Der Aa, 1707. Rpt. in Die Wijd-Beroemde Voyagien Der Engelsen In Twee Deelen, 2 vols. Leyden: Pieter Van Der Aa, 1737.

[74] Ibid, p.174.

انتماء ظاهريا، فتوماس بيلاو الذي كان أسيرا لدى السلطان المغربي مولاي إسماعيل (صيف 1716-جويلية 1738)، كتب:

"بعد وصولنا مكناس، كانت الجماهير تصرخ "كفار بالله والرسول"...حوالي الساعة الثامنة وصلنا قصر الامبراطور، وقبل دخولنا طُلب منا أن ننزع أحذيتنا، ومررنا حفاة عبر بوابة تدعى "بوابة المرتد"، وكان حارسنا مرتدا اسبانيا... بعد عملي في مستودع الأسلحة، قام الامبراطور بتسليمي لابنه... الذي كان يحثني دوما على الدخول في الاسلام *(Turn Moor)* ... وأنه إن أنا تخليت عن مسيحيتي سأعيش كأحد أفضل أصدقائه. وقد اعتدت أن أجيب، أنه المطلب الوحيد الذي لا أستطيع الموافقة عليه، وكنت آمل بشدة أن يسرّ، وأن يتخلى عن أفكاره المستقبلية بأن أصبح مسلما؛ ذلك أنني صممت بشدة بأن لا أتخلى عن مسيحيتي...قال بعدها: "جهّز نفسك للتعذيب"...ورغم أنني توسلته على ركبتي، أن لا يستخدم غضبه على فقير، بائس، ومخلوق بريء. دون أي رد، جعلني أسيرا في إحدى غرفه لعدة أشهر مكبّلا في الحديد، وكنت أجلد كل يوم ، مع صرخات باللّغة المغربية "شَهَّدْ، شَهَّدْ" برفع اصبعك إلى الأعلى...الآن لقد أصبح تعذيبي يتزايد بإفراط، بحرق جلدي حتى العظام... لقد أصبحت في الأخير مرغما على الاستسلام، ودعوت الله أن يسامحني، والذي يعلم أنني لم أبدي موافقتي من القلب. رغم أنني ظاهريا أعلنت تنازلي، برفع إصبعي إلى السماء؛ ذلك أنني أبغضهم، وأبغض مبادئهم المحمدية الملعونة (يقصد الاسلام)".[75]

ويظهر الأسير بروس (أواخر القرن السابع عشر) في روايته كيف أن الملك المغربي مولاي إسماعيل، كان يطلب مرارا من أسراه أن يتحوّلوا إلى الاسلام. وفي إحدى المرات حاول أسيرين مسيحيين الفرار؛ لكن ألقي القبض عليهما، الأول كاثوليكي فرنسي أما الثاني

[75] Pellow, Thomas, The History of the Long Captivity and Adventures of Thomas Pellow in South-Barbary Giving an Account of His Being Taken by Two Sallee Rovers and Carry'd a Slave ... for the Space of Twenty-three Years ..., London: Printed for R. Goadey and Sold by W. Owen, 1739, p.53,

فإنجليزي بروتستانتي، وجلبا أمام الملك حيث عرض عليهما الدخول في الاسلام مقابل ضمان حياتهما. أما الكاثوليكي الفرنسي فقد استسلم للعرض؛ لكن الانجليزي البروتستانتي رفض التخلي عن دينه، و"هدده الملك إن هو لم يتخلى عن دينه؛ فسيقتله". فأجابه: "إن قوة الله أعظم من الشيطان". فأمر السلطان أن يشوّه ، "حتى يمتلئ جسمه بالحفر قدر الامكان".[76]

إن بروك تعمد إظهار التقوى، الكامنة في الرجل البروتيستانتي؛ عن غيره من الشعوب الأوربية الأخرى التي تحمل المذهب الكاثوليكي، وإشارة منه إلى أن المذهب البروتستانتي هو المذهب الحق؛ والذي يتبناه الرجل الانجليزي.

ج- النظرة الأوربية للأعلاج خلال الفترة الحديثة:

إن صاحب أحد أشهر المؤلفات الإنجليزية حول الرحلات هوكلايت، يرى أن: "الجزائر هي عرش القرصنة، ومفسدة التجارة، ومركز العبودية...ومسكن شياطين البحر، وعاء المرتدين إلى الله، وخونة بلدانهم".[77] إنها النظرة الطبيعة التي كان ينظر بها الكتاب الأوربيون إلى الأعلاج؛ ففي الغالب كان ينظر إليهم كخونة، دفعتهم الرغبة إلى الثروة والجنس لتغيير ديانتهم المسيحية. في سنة 1609 كتبت إحدى الجرائد: "المسيحيون جُعِلُوا أتراكا

[76] Francis Brooks, Barbarian Cruelty, Being A True History of the Distressed Condition of the Christian Captives under the Tyranny of Mully Ishmael Emperor of Morocco, and King of Fez and Macqueness in Barbary, In which is likewise given a particular Account of his late Wars with the Algerines. The manner of his Pirates taking the Christians and Others. His breach of Faith with Christian Princes. A Description of his Castles and Guards, and the Places where he keeps his Women, his Slaves and Negroes, With a particular Relation of the dangerous Escape of the Author, and two English Men more from thence, after a miserable Slavery of ten Years, London: Printed for J. Salusbury at the Rising-Sun in Cornhil, and H. Markman at the King's Arms in the Poultry, 1693, p.37-38.

[77] Lotfi Ben Rejeb, "The general belief of the world': Barbary as genre and discourse in Mediterranean history", European Review of History: Revue européenne d'histoire, Vol.19, N.01, 2012, p.18.

(مسلمون)، والأتراك هم أبناء الشيطان".[78] وشكسبير في مسرحيته العاصفة[79] "يعتبر الجزائر موطن الساحرات والخارجين عن القانون".[80]

يعتقد البعض أن القرن السابع عشر شهد دخول المسيحيين في الاسلام بشكل غير مسبوق؛ ذلك أن العديد من المدن والقرى المسيحية كان بها الآلاف من "الفقراء"، العديد منهم رأى ضرورة الدخول في الاسلام والهجرة إلى المناطق الاسلامية؛ كحل لبدأ حياة جديدة. "ففي الفترة الممتدة بين سنتي 1579-1580 دخلت خمس مدن مارونية في الاسلام، ومجموعتين من 1400 مواطن من كويسترا (كلابريا) دخلوا الاسلام، ، حيث لم يصبحوا قادرين على تحمل الحكومة الاسبانية في هذه المناطق.[81]

بعد قراءته عن الأعداد الهائلة التي دخلت في الإسلام بتونس والجزائر، استنتج روبرت بيرتن *(Robert Burton)* أن "المسيحيين الذين دخلوا في الإسلام... رحب بهم كإخوة"، وبشيء من السخرية أكد ساموال هارتليب *(Samual Hartlib)* في "عريضته" سنة 1644 "أن الفقر دفع العديد ممن يرغبون في عيش حياه شريفة إلى الإحتيال، الكذب، السرقة، القتل، الدخول في الاسلام *(Turn Turk)* أو أي شيء". وفي مسرحية سيرفانتس 1580 "*El Trato de Argel*" هتف الأسير أورليو بأن الاسلام قد اجتاح المسيحيين كبارا وصغارا".[82] لكن العديد من المصادر تعطي لنا معلومات مغايرة، "فأحد المرتدين درس في جامعة سلامنكا العريقة؛ قبل أن يتحول إلى الاسلام".[83]

---

[78] Wilson, p.eter Lamborn, p.irate utopias: Moorish corsairs & European Renegadoes, Canada: Autonomedia, 1995, p.11.

[79] ارتكب مترجم مسرحية العاصفة إلى العربية، خطأ عند ترجمته لكلمة الجزائر *Argier*، وسماها "الجزر"، ذلك أن مصطلح Argier غير موجود في القواميس المعاصرة، حيث استخدم خلال القرن السابع عشر وما قبله، ليستبدل فيما بعد بمصطلح Algiers.

[80] William Shakespeare, The Tempest, 1611, p.20.

[81] Eric R. Durstler, op.cit, p.115-116.

[82] Daniel. j. Vitkus, p.2.

[83] T.S, op.cit, p.28.

لقد كان هاجس الخوف من الإسلام كقوة جاذبة خلال الفترة الحديثة، سببا مباشرا في دعم الدعاية ورسم الاسلام كعدو أول بالنسبة للمسيحي، وبهذا دُعمت الكتابات التي "تسيء" للإسلام والمسلمين؛ ففي الوقت الذي كانت تشهد فيه أوربا، تخلي مواطنيها عن المسيحية، لم يحدث بين المسلمين حالات تحول للمسيحية؛ إلا بعض الحالات النادرة المتعلقة بالأسرى المسلمين ممن تواجدوا في المناطق الأوربية. ففي سنة 1600، كتب المحامي كار *(Carr)*: "إن العديد من رجالنا، ارتدو عن كل مذاهبنا المسيحية، ليصبحوا مولعين بالديانة المحمدية". وفي سنة 1636 كرر هنري بلونت *(Henri Blounte)* نفس النظرة: "لا عجب أنه في كتابات القرن السابع عشر، صنف المرتد بدرجة الشيطان".[84]

وتعتبر مسرحية "المرتد أو نبيل من البندقية"[85]، آخر مسرحيات العهد الجاكوبي في إنجلترا، ذات التراجيديا الساخرة، ألفها فيليب مسنجر. جذبت المسرحية نقدا واسعا وهذا لطريقة تعاملها مع الصراع المسيحي إسلامي. "تدور القصة حول مرتد يدعى أنطونيو غريمالدي الذي أصبح قرصانا. إن البطل الحقيقي للقصة يسمى فيتلي *(Vetelli)*، نبيل بندقي؛ قدم إلى تونس كتاجر، يبحث عن أخته بولينا، التي أسرت من طرف قراصنة تونس، وهي الآن تعيش في حريم حاكم البلد. بعد أن سمع الحاكم بالعلاقة الغرامية التي جرت بين فيتلي والأميرة المسلمة دونوسا *(Donusa)*، سجنهما في برج مظلم. استطاع فيتلي إقناعها بالدخول في المسيحية. وفي الجانب الآخر فإن المرتد أنطونيو تم معاقبته من قبل الحاكم، وانهى مسيرته كقرصان. لقد ندم أنطونيو على تحوله إلى الإسلام، وقام بإنقاذ النبيل وعشيقته المسلمة وأخته، ومن ثم الفرار باتجاه إيطاليا".[86]

[84] Nabil Matar, "The renegade in English Seventeenth century Imagination", Studies in English Literature, 1500-1900, Vol.33, N°03, (Summer, 1989), p.502.

[85] Philip Massinger, The Renegado or The Gentlemen of Venice, London, 1624.

[86] Vitkus Daniel, Three Turk Plays from Early Modern England: Selimus, a Christain Turned Turk, and the Renegado, New York: Columbia University Press, 2013, p.241-340.

إن اللبس الذي خلقه كتاب الفترة الحديثة من الأوربيين، حول مصداقية الدخول في الإسلام، وربطها بالمصالح الشخصية والجنسية يفتح العديد من التساؤلات؛ "لكن بعد التدقيق في الموضوع، سيتبين لنا أن أغلب من دخلوا في الاسلام؛ إنما دخلوا فيه بعد أن تم افتداؤهم". وتفيد وثائق محاكم التفتيش أن 284 حالة اسبانية، عن ظروف الدخول في الاسلام بين سنتي 1560-1700، كانت 29.57% منها اختيارية، أي 284 حالة منها 62 حالة فرار جنود. ويضيف بن نصار أن هذه الأرقام هي أقل من الحالات اليقينية.[87]

ونلحظ أن الرحالة والأدباء الأوربيون، صوّروا لمجتمعاتهم أن المتحوّلين للإسلام، إنما دفعتهم رغبتهم الجنسية والمادية للتحول إلى الاسلام. "ففي مسرحية بعنوان "الكل ضاع بشهوة" 1619، منسوبة إلى ويليام راولي وتوماس ميدلتون:"كان يرغب أنطونيو أن يصبح مسلما، لإشباع نزواته".[88]وفي عهد تشارلز الثاني أُرسل القبطان هاملتون لافتداء بعض الأسرى الانجليز الذين كانوا لا يزالون بمنطقة المغرب الاسلامي، وأُخبر أنهم رفضوا العودة لانهم سعداء بتحولهم للإسلام: "لقد تم اغراؤهم للتخلي عن إلههم، من أجل حبّ جمال النساء التركيات".[89]إن المسيحي كان يعرف جيّدا، أن المسيحية ليست جذابة كفاية لمواجهة الاسلام عالميا. ولهذا فإن "الارتداد" لم يكن يعني الكثير؛ خاصة مع امتيازات بدأ حياة جديدة في العالم الاسلامي.

ولمجابهة تصاعد عمليات التحول للإسلام، عمل الكتاب الأوربيون على تصوير المأساة التي تنتظر "المرتد"، فحتى بعد "توبته" والعودة إلى المسيحية؛ سيحرق حيّا. كما عمل كتاب المسرحيات على تصوير نهاية مسرحياتهم، "بتوبة" المرتد إلى دينه الأصلي؛ كمسرحية الرسول والمرتد، الدون سيباستيان ملك البرتغال. "أظهر الكتاب أن المرتد لن يتخلى عن دينه فقط بل حتى عن كل شيء يربطه بأمته (الشخصية)؛ فالمرتدون تعايشوا مع تقاليد وعادات المسلمين حسبهم؛ خاصة لبس العمامة، فكل الكتاب استخدموا العمامة كعلامة مميزة

[87] المنور مروش، مرجع سابق، ص179.

[88] Nabil Matar, "The renegade in English Seventeenth century Imagination", Studies in English Literature, 1500-1900, Vol.33, N°03, Summer, 1989, p.490.

[89] Nabil Matar, The renegade…, op.cit, p.491.

للمسلمين، مثلما وصفهم جون لوك "أمة العمامة". وعندما دخل وارد في الاسلام، قال عنه دابرون: "بدّل القبعة بالعمامة"، وأشار بول ريكو سنة 1679، أن مجموعة من المرتدين الانجليز، بعد رجوعهم إلى المسيحية والاستقرار بإنجلترا، داسوا على عمائمهم التركية بأقدامهم" كدليل على العودة إلى أصلهم الانجليزي. إن ارتداء العمامة كان يعني أن تكون عدوا، دينيا وسياسيا.[90]

بعد عودة أوليفس إلى وطنه أمروم، نشر مذكراته "مغامرات قوية"، علق الناشر عليها بالكلمات التالية: "كان يبدو قويا وغريبا عني، عندما رأيته أول مرة بملابسه التركية الجميلة. يلبس خفين تركيين دون جوارب، ويستنشق التبغ من أنفه".[91]

لقد أكد الكتاب الانجليز لقرائهم أن درجة احتفال المسلمين بالمسيحيين، تختلف بين أولئك الذين دخلوا الاسلام برغبة منهم، وأولئك الذين دخلوا خوفا على أنفسهم أو من أجل تسديد دين. مع أوائل سنة 1670، قرأ المجتمع الانجليزي، أنه إذا دخل مسيحي للإسلام من أجل إنقاذ حياته أو إرجاع دين، فإنه لن يحترم من قبل المسلمين: في عمل "ذريّة منزل آل عثمان"، فإن الأب الأرثوذكسي، الذي تخلّى عن مسيحيته "لم يعطى له أي شيء"، لأنه تخلى عن ديانته؛ ليتجنب العقاب بسبب سبّه للنبي محمد (ص).[92]

لقد كان الاسلام "العثماني" عاليا وتفاعليا، وعُرف البريطانيون بكثرة دخولهم الاسلام واستقرارهم من سانتا كروز (جزر الكناري) إلى استنبول. أرسلت التقارير والرسائل التي تشير إلى "المرتدين" باستمرار، من مختلف الدول الأوربية، تضم بينها بريطانيين. لقد أشار وليام ليغاو *(William Lighaw)* في تقريره، عن تناوله الطعام مع "القرصان" الشهير وارد *Ward* في تونس، حيث يحتمل أن تقريره سبب قلقا أو إثارة بين القراء. وعندما استقبل

[90] Nabil Matar, The renegade…, op.cit, p.501.

[91] Martin Rheinheimer, op.cit, p.214.

[92] Nabil Matar, Islam in England…, op.cit, p.56.

أحد المتحولين الايطاليين القبطان تاورتون *(Captain Towerton)* بمدينة موتشا *(Mocha)* سنة 1612، لم يبد القبطان تعجبا من تخلي المتحول الايطالي عن المسيحية.[93]

عمد الكتاب الإنجليز إلى تصوير "المتحول"، كوحش جنسي باستمرار دفعته رغبته الجنسية، للدخول في الاسلام. "إن المرتدين لم يعرفوا أي إله؛ سوى رغبتهم الجنسية ومتعتهم" كتب جون راولينز *(Jhon Rawlins)*. ومن عصر جون فوكس *(Jhon Foxe)* إلى توماس برايتمان *(Thomas Brightman)* وفرانسيس بايكون *(Francis Bacon)*، استمر الهجوم على الاسلام؛ كدين شرّير سيدمر من قبل الرّب. لكن الواقع يثبت أن المتحولين عاشوا بسعادة في العالم الاسلامي فمتحوّلون مثل "القرصانين" الانجليزيين سيمون، ووارد أصبحا أسطورة في البلدان الاسلامية، أواخر القرن السادس عشر، نظرا لحياتهم الباذخة بشمال افريقيا.[94]

إن الكثير من هؤلاء المتحولين، كانوا يتبعون لعائلات راقية أو على الأقل ليست فقيرة؛ كتب توماس ساندر *(Henri Lisdam)*: "جون نيلسون، ابن أحد حراس الملكة"؛ أما جون دالام *(Jhon Dallam)* فكتب سنة 1599: "تركي، لكنه كورنيشي المولد". وذكر جون راولينز: "مراد رايس؛ لكن إسمه المسيحي، هنري شاندلر ".[95]

إن عمليات "التحول" إلى الاسلام التي كان يشهدها العالم المسيحي عامة ، دفعت كتاب المسرحيات والشعراء؛ إلى تصوير الجحيم الذي ينتظر "المرتد" عن المسيحية. ففي كلا الحالتين فإن المتحول سيعاني؛ فالتغيرات الروحية الحاصلة ستدفع المتحول إلى العودة للمسيحية، "وإذا حدث هذا فسيحمَّرُ حيا، أو يرمى إلى الأسفل من أعلى أسوار المدينة،

[93] Gerald Maclean, op.cit, p.124

[94] Ibid, p.491.

[95] Gerald Maclean, op.cit, p.501.

وعلى عقاقات حديدية تمسك بعظام الحنك والأضلاع، أو بأجزاء أخرى من الجسم" حسب ستيفن ويلسن.[96] وسيعاقبه الرب المسيحي لارتداده عنه.**[97]**

د- الاستقرار بالمدينة وبدء حياة جديدة:

مع مطلع القرن السابع عشر، شهد إنجلترا هجرة العديد من أبنائها نحو شمال إفريقيا، بحثا عن وظيفة، وكانوا أكثر من أولئك الانجليز الذين هاجروا إلى شمال أمريكا. وحسب كاثكارت فإن أمريكا كانت تعطي القليل بالنسبة للشباب، عكس ما كان يمنحه الجزائريون من فرص.[98]ولهذا نلاحظ أن أغلب المتحولين كانوا صغارا في السن، وهذا ما يؤكده كل من بناصر وبارتلومي بأن أكثر من نصف المتحولين كانوا أقل من 15 سنة، و78% أقل من 20 سنة.[99]

إذا كان عدد الحكام من الأعلاج، قد انخفض في كل من تونس وطرابلس خلال القرن الثامن عشر؛ فإنه تضاعف في الجزائر بشكل ملحوظ.[100]وأبرز هؤلاء الحكام: الحاج محمد بن تريك (يعتقد البعض أنه ابن علج هولندي)، موزمورتو (مايوركا)... وغيرهم.

إن دخول الأسير في الإسلام، كان يستقبل بنوع من الإزدراء عند الملاك والأسياد. وفي الحالات النادرة يتم ارغام الأسير على التخلي عن دينه، "مثلما حدث مع الأسير الإنجليزي توماس بيتس، الذي اشتراه تاجر جزائري سنة 1678، آملا في تحويله إلى الاسلام، حيث عامله بوحشية كبيرة. وفي سنة 1680 بيع بيتس إلى مالك آخر كان أسوأ من الأول، وأجبره على التخلي عن دينه، والدخول في المسيحية، وعومل –حسبه- بوحشية لا تطاق، وأجبره

---

[96] جيمس ويلسن ستيفن، الأسرى الأمريكان في الجزائر 1796/1795، تر.على تابليت، منشورات ثالة، الجزائر، 2007، ص216.

[97] Nabil Matar, The renegade…, op.cit, p.492.

[98] Christine E. Sears, American Slaves and African Masters: Algiers and the Western Sahara, 1776-1820, p.algrave Macmillan, p.76.

[99] Ibid.

[100] Alan G. Jamieson, Lords of Sea, a History of the Barbary Corsairs, London: reaktion books ltd, 2012, p.16.

سيده وأخوه على نطق الشهادة... بعد فترة بيع بيتس إلى مالك تقي ومسن، حيث عامله بلطف كبير، وسمح له بمرافقته لتأدية طقوس الحج سنة 1680".[101] ويعتبر باننتي أن سبب دخول المسيحيين في الإسلام، مرده إلى الجرائم التي ارتكبوها في تونس (حلق الوادي)، أو لأنهم اتبعوا مشاعر الحب التي يكنّونها لبعض النساء.[102] إن ما هو مؤكد أن الأسير عند دخوله الإسلام، كان يحترم ويعامل مثل غيره من المسلمين، وأكثر من هذا؛ فإن المتحوّلين كان لهم الحظ الأوفر في اعتلاء مناصب الدولة، باعتبار أن أمرا كهذا كان ممنوعا على السكان المحليين. "وفي المقابل ليس كل أسير مسيحي يعتنق الإسلام يصبح حرّا؛ وإنما قد يحصل على بعض الامتيازات: يقلّ الاجهاد، ويتمتع بمزيد من الحريّة...وأما إذا صادف وأراد أحد اليهود الدخول في الإسلام؛ فهو ملزم أولا بالدخول في المسيحية".[103]

لم تكن الوظيفة شكلا من أشكال الوظيفة في حدّ ذاتها، بل كانت الوظيفة تتعلق بالثروة، "فالعلج" كان يعرف جيدا أن العيش في الجزائر يعني مستقبلا، أفضل بكثير من ذلك الذي قد يعيشه في أوربا، وإن الفوارق في حياة الأعلاج بالجزائر، كانت تظهر فقط في المواهب التي يملكها الأعلاج فالاجتهاد المستمر كان يمكن أن يرقي العلج إلى حاكم للجزائر، أو حتى قائدا عاما للبحرية الهاميونية نفسها. "ولهذا فإن المتحوّل كان يستقبل أجرته مثل الموظف التركي، ويشتغل في كل المناصب الشريفة في الدولة".[104]

إن عددا كبيرا من الأعلاج كانوا يشتغلون في المتاجرة بالأسرى؛ وكان أغلبهم بحارة وقادة عسكريين، وكان هذا النوع من الأعلاج أغنياء جدا، يذكر ديدجون: "نزلنا في اليوم الموالي بشاطئ الجزائر، أين جاء ضباط الداي لإلقاء نظرة على الغنائم القادمة. كان من بينهم مرتد إيطالي، يظهر من هيأته غنيا جدا، لقد كان تاجر أسرى".[105] ولعل أشهرهم علي بتشنين "أحد أكبر أغنياء المدينة خلال القرن السابع عشر، حيث كان يملك منزلين فاخرين،

---

[101] Mohamad Ali Hachicho," Travel Books about the Arab near East in the Eighteenth Century", Die Welt des Islams,Vol.09, N.1, 1964, p.96.

[102] Pananti, op.cit, p.165.

[103] Ibid.

[104] Ibid.

[105] Mathew Dudgeon, op.cit, p.14.

يقع الأول أسفل المدينة؛ أما الثاني فيوجد بالقرب من البحر... وله سجون تضم أكثر من خمسمائة أسير".[106] ومما قاله: " أنا أشتري العبيد للحصول على بعض الفوائد".[107]وتصف لنا ماريا مارتين عملية بيعها في السوق العام بمدينة تنس: " تم اقتيادنا كقطيع من الأغنام التي يجب أن تعرض للبيع في السوق العام، أين تجمع عدد كبير من المزايدين ومن بين هؤلاء استطعت أن أميز العديد من بني جنسي (إنجليز)، من أعطوني نسمة أمل للحماية، لكن يا حسرتاه! فنغمة الأمل هذه لم تدم إلا مدة قصيرة، فحتى الآن لم يظهروا أي رحمة تجاهي فهم يبدون مبتهجين أكثر لمعاناتي! واحد من أولئك الروسيين أعلنني كملكية خاصة به واقتداني للقاضي أو حاكم المدينة، كان يبدوا قصيرا، قبيحا، وكبيرا في السن، مليئا بالأوساخ، حافي القدمين وعاري الساقين، حيث أوصى بي كعبدة للروسي".[108]

كان يوظف العلج حسب مؤهلاته، فمثلا كانت الدولة تحتاج كثيرا لأصحاب المواهب في المجال العسكري. "في سنة 1819 أعطى حاكم احدى مقاطعات وهران الصلاحية، للعلج علي منات الفرنسي لصناعة كمية ضخمة من البارود، وهذه الموهبة جعلته مقربا وأحد أهم وزراء الحاكم".[109]

إن قوة الإسلام لم تكن عسكرية فقط؛ بل تجارية أيضا، فقد منحت المقاطعات العثمانية فرصة كبيرة للطبقات الأوربية الفقيرة، للحصول على القوة والثروة. ما جعل الكثير منهم يتخلون عن دينهم عن طيب خاطر، وفعلا؛ "ففي مجموعة رسائل لأحد القادة الأتراك إلى البابا سنة 1606، تباهى فيها بأن جيشه يضم ثلاثين ألف مسيحي، منهم صناع المدافع، والتجهيزات العسكرية الأخرى. كلهم مرتدون يدافعون من أجل ديانتنا، ومعنا لاحتلال بلادكم".[110]وأشار جون راولينز 1622 إلى الاهتمام المفرط بصناع المدافع: "إثنين من جنودنا، واحد إنجليزي والآخر هولندي تم استخدامهما"، وفي السنة اللاحقة أوضح جون

---

[106] De Grammont. H. D, Histoire d'Alger…, p.178.

[107] Robert. C. Devis, Cristian slave, Muslum masters…, op.cit, p.125.

[108] Maria Martin, op.cit, p.47-48.

[109] "Dumont's Captivity in Africa", Spirit of the English Magazines, Vol.06, Boston: Munroe and Francis, December 15, 1819, p.209.

[110] Nabil Matar, The renegade…, op.cit, p.489-490.

تشامبرلين أن "سبعة أو ثمانية آلاف بحار، بينهم العديد من المدفعيين يوجدون بمدينة الجزائر".[111]

لعل أشهر الوظائف التي كان ينخرط فيها "المتحولون"، الاشتراك في البحرية الجزائرية، حيث كانوا يمثلون نسبة عالية من أفرادها، وغالبية قادتها. ليس هذا فقط فإن اجتهاد الرايس؛ كا ن يمكن أن يجعله قائدا عاما للأسطول العثماني. "فبين سنتي 1606-1620 قاد الرايس سليمان خمسة وعشرين سفينة في البحرية الجزائرية، وأصبح فيما بعد القائد الأعلى للبحرية العثمانية".[112]

هـ- نظرة حول أعداد الأعلاج في الجزائر 1671-1830:

قدمت لنا إحدى الاحصاءات أن الفترة الممتدة بين سنتي 1550-1700، شهدت دخول 300.000 مسيحي في الإسلام بشمال إفريقيا. وأن أغلب الأعلاج هم أفراد أسروا في البحر المتوسط أو على الأرض.[113] في سنة 1625 خمسة وخمسون قائدا أساسيا في البحرية الجزائرية كانوا هولنديين؛ منهم: الرايس مراد : *(Kôr Murad Reis)* انضم سنة 1618... وسفر رايس سابقا توماس. وعلي بتشنين أحد أبرز القادة البحريين في الجزائر سنة 1645 (لقب بملك الجزائر).[114]وأحصت إحدى التقارير المنشورة سنة 1769، تخلي خمسة عشرة ألف أسير عن دينهم في كل من تونس والجزائر.[115]

كما ذكر جيوفاني دي فونتيرا *(Jiovanni Di Bonaventura)* سنة 1701، أن 30% من الأسرى دخلوا في الاسلام، 6000 "مرتد"، و 20.000 أسير.[116] وقدرهم غراماي

[111] Nabil Matar, Turk, Moors, andenglishmen in the age of discovery, New-york: columbia university press, 2000, p.98.

[112] Alexander .H. de Groot, op.cit, p.232.

[113] Alan G. Jamieson, op.cit, p.60.

[114] Alexander .H. de Groot, op.cit, p.232.

[115] Moulay Belhamissi, Marine et Marins d'Alger…, T.01, op.cit, p.116.

[116] Robert Davis, "Counting European Slaves…, op.cit, p.115.

بـ: 300 شخص سنويا بمدينة الجزائر مع بداية القرن الثامن عشر[117]؛ وأكد ديغرامون أنه لم يتبقى منهم سوى ألفين أو ثلاثة آلاف سنة 1769[118]، ومع نهاية القرن الثامن عشر، أثبتت الإحصاءات أن عدد الأعلاج كانوا يمثلون بين 10-50% من الجيش الجزائري إجمالا *(Militia)*[119] وخلال فترة حكم الداي مصطفى باشا (1797-1807)، وجد مئات المتحوّلين للإسلام بالبحرية الجزائرية.[120]ويرى بنانتي الذي كان أسير في الجزائر أوائل القرن التاسع عشر، "أن عدد المتحولين للإسلام ليس كبيرا".[121]

المتحول والعودة إلى الديار والكنيسة البروتستانتية:

إن عدم توفرنا على المادة الخبرية، التي تطرقت للمتحول بعد افتدائه أو عودته إلى الديار، جعلنا نعالجها من خلال الكتابات الإنجليزية، لتوفّر بعض الأعمال التي أشارت إلى المتحول بعد العودة.

أثبت العضات كيف كان مهما بالنسبة للكنيسة، أن تضمن الطريقة الصحيحة في إعادة إدخال "المتحولين" إلى المسيحية؛ فالكنيسة أيضا كانت تحتاج إلى إخافة الأعضاء الآخرين من "المؤمنين" *Laity* من خلال الاعتراف والتكفير عن الذنب... إن ما هو معروف أن عددا كبيرا من الانجليز لم يعترفوا بدخولهم الاسلام عند عودتهم إلى الديار.[122] وقد لاحظ هذا بايام:

[117] مصطفى خياطي، الطب والأطباء في الجزائر العثمانية، منشورات ANEP، الجزائر، (د.ت)، ص31.

[118] De Grammont. H. D, Histoire d'Alger…, op.cit, p.241.

[119] Daniel Panzac, , op.cit, p.210.

[120] Moulay Belhamissi, Marine et Marins…, T.01, op.cit, p.116.

[121] Pananti, op.cit, p.165.

[122] Nabil matar, Islam in England…, op.cit, p.52.

"إن المئات (المتحوّلين) كانوا مسلمين في تركيا (الأراضي العثمانية)، ومسيحيون في الوطن (انجلترا)؛ تخلّوا عن ديانتهم، كنزعهم ملابسهم، ويبقون على ضميرهم بكل ميناء يوضعون فيه. وإن هؤلاء المتحولون المختنون يعتقدون أنهم يعفون ضمائرهم جيّدا، إذا عادوا واعترفوا بديانتهم الأولى".[123]

لقد كانت الكنيسة تحاول ضمان عودة "المرتد عن المسيحية"، من خلال اعترافه بذنبه، وإعادة تمسيحه باتباع الطرق والاجراءات الصحيحة؛ وأن أي متحول لا يقوم بهذه الاجراءات يعتبر غير مسيحي، فجوح تحقق من أن العديد من الانجليز، يأتون إلى أبرشياتهم ويقومون بطقوسهم المسيحية، في الوقت الذي لا يزالون فيه مسلمين.

عاد سنة 1627، أحد الانجليز من الأسر في الجزائر، إلى قريته مانهيد في سومرسات واعترف بـ"ارتداده" للإسلام حسبه. إن هذا الفرد المجهول يعتبر أول إنجليزي من عصر النهضة ورد ذكره في التسجيلات، واعترف بتحوله للإسلام، بعد عودته إلى الديار. لقد كان اعترافه دراماتيكيا جدا، ذلك أن عضتين ألقيتا من طرف إدوارد كيلات *(Edward Kellet)* وهنري بايام في نفس اليوم. إنهما أول عضتين في الاحتفال الانجليزي، بما يعتبر أن يكون سابقة في الاعتراف (*Confession)*.[124]

وللمساعدة على إعادة دمج المتحولين "التائبين" اجتماعيا، جاء بايام لمؤيديه وحذّر المجمّع، "ضد اللاّمسيحيين الناقدين، والموبّخين، واللائمين للمرتدين التائبين". وبنفس الطريقة، حاول جوج *Gouge* حماية "المتحولين التائبين عند عائلته وأتباعه. وبشكل واضح

---

[123] ينظر: Henrey Byam, A returne From Algiers, A sermon Preched at Minhead in the Country of Somerset the A 6 of March, 1627 (1628).

[124] Nabil Matar, Islam in Britan …, op.cit, p.63.

في بعض الأحيان، فحتى الوالدين والأزواج، لا يعلمون كيف كان يعامل قريبهم "المتحول"، وقد رفض جوج بقوة، أي شكل من اشكال النبذ والابعاد عن المجتمع[125]:

"لا توبّخو ختانه، لا توبّخوا إخضاع نفسه للإسلام *(Mohometisme)*: لا تبعدوه عن مجتمعه، لا تتجنبوا التواصل معه... المتاجرة معه، الأكل أو الشرب معه، الصلاة معه أو الدعاء له".[126]

إن الإدعاء الذي خلقته الدعاية الأوربية ضد الاسلام، يؤكد حقيقة تم إغفالها من قبل الكثير من الباحثين الأوربيين، أن التحول للإسلام لم يكن من أجل المال والجنس فقط، بل كان دخول الكثيرين اقتناعا بالدين الجديد؛ حتى انهم دافعوا عن الاسلام والراية العثمانية، بشراسة مدهشة ومفاجئة، قد تؤدي لوفاة المهتدي، أكثر من أبنائه الأصليين.

[125] Nabil Matar, Islam in Britan …, op.cit, p.69.

[126] Ibid, p.70.

الفصل السادس

مرافق الأسرى الأوربيين بالجزائر

1- سجون الأسرى

أ- البانيو

ب- إحصاء سجون الأسرى بمدينة الجزائر

1- سجون الدولة (البايلك)

2- أسرى الخواص

ج- اللباس والطعام

د- العقوبات

2- المصحات الاستشفائية:

أ- المستشفيات

ب- النفقات والمداخيل

ج- الأطباء الأسرى بالجزائر

3- الحياة الدينية للأسرى المسيحيين

أ- الممارسة الدينية للأسرى

ب- كنائس الأسرى بمدينة الجزائر

ج- الوضعية الدينية للأسرى المسلمين بأوربا

إن فهم منشآت ومرافق الأسرى، يساعد على فهم وضعية الاسير بنوع من الدقة والتنظيم. إن الفصل التالي يعالج المرافق الاساسية للأسرى؛ فالسجون كانت تمثل منازل بالنسبة لأسرى الدولة؛ وحتى لكثير من أسرى الخواص. وتساعد المستشفيات والمنشآت الدينية على استيعاب الوضعية الاجتماعية للأسير.

1- سجون الأسرى

إن ما هو معلوم أن الفترة المتأخرة من الحكم العثماني بالجزائر، شهدت تراجعا كبيرا لعدد السجون؛ سواء تلك المملوكة للدولة أو الملاك الخواص، ويمكن أن نرجع هذا للأسباب التالية:

- تراجع نشاط "القرصنة" البحرية التي كانت تعتبر المورد الأساسي للأسرى، بالنسبة للجزائر، ما دفع الدولة والعديد من الخواص إلى غلق سجونهم. "عند دخول الفرنسيين الجزائر سنة 1830، لم يجدوا سوى "120 أسير".[1]

- حدوث تقارب بين الجزائر والدول الأوربية، مع أواسط القرن السابع عشر ، بعد أن تخلت هذه الدول عن الدين تدريجيا لصالح المصالح الاستراتيجية، فظهر ما يعرف بمعاهدات الهدنة، التي تُمنح بموجبها الدولة المهادنة، حرية الملاحة في المتوسط والمحيط الأطلسي، دون أن تتعرض تجارتها ومواطنوها للأسر.

- تراجع عدد الأعلاج الذين كانوا يمثلون، النسبة الغالبة من القادة والبحارة، الأمر الذي أثر كثيرا على قوة ونشاط الأسطول الجزائري في المتوسط؛ وبالتالي تراجع العائدات المتمثلة في الأسرى.

[1] Robert Davis, Esclaves Chrétiens, Maitres Musulmans…, op.cit, p.315.

أ– البانيو: المصطلح الذي كان يطلق على السجون الخاصة بالأسرى، يعتقد الكثيرون أن كلمة (*bagne*) الفرنسية جاءت لأول مرة من اللغة الايطالية (*bagno*)، في حين يرى البعض أنها جاءت من اللغة الاسبانية (*baño*)[2]، والتي أخذت جذورها من الكلمة اللاتينية حمّام *(Balneum)*، وقد ترجع هذه التسمية، كون أوائل الأسرى من المسيحيين كان يتم حجزهم في الحمامات. ويعتبر وايس ***(Weis)*** أنه في الوقت الذي كان يعيش فيه بعض الأسرى في حجرات مريحة، حيث يمكنهم الوصول إلى أدوات الكتابة؛ كان يقضي آخرون لياليهم في سجون ذات تصميم خاص *(Bagne)*، أو يربطون مع بعض في مطمورات (عبارة عن حفر مبنية تحت الأرض، يستخدمها الفلاحون أيضا لتخزين منتوجاتهم من القمح).[3]

إن مصطلح "بانيو" استخدم أول مرة، للتعبير عن "الرهائن" الأوربيين في استنبول؛ لأن الأتراك كانوا يحجزون أسراهم في حمّامات المدينة[4]، ليطلق بعدها على كل السجون المتواجدة على الأراضي العثمانية ومنطقة شمال إفريقيا الخاصة بالأسرى... ثم أصبح بعدها يطلق على أسرى السفن في البحرية الفرنسية؛ ليشمل أي سجن يتعلق بالأعمال الشاقة.[5] إن آخر نوع من هذه السجون في فرنسا، أغلق سنة 1873 (بانيو تولون–*Bagno de Toulon*). أما في إنجلترا فكان يكنّى ببيوت القهوة، حيث تعرض هناك حمامات تركية ***(Turkish Buths)*** ؛ لكنه في سنة 1740، أصبح يطلق على المكان الذي تكترى فيه الشقق دون أسئلة (بيت الدعارة).[6]

---

[2] Audisio. G, "Recherches sur l’origine et la signification du mot « Bagne »", R.A, N°101, Alger, 1957, p.365.

[3] Gillian Weiss, Captives and Corsairs: Frances and Slavery in the Early modern Mediterranean, (Book Reviews), Stanford: Stanford University Press, 2011, p.185.

[4] "False Friends", Concie Encyclopedia of Semantics, by Kelth Allan, Oxford: Elsevier Ltd, 2009.

[5] "Bagno", Cyclopaedia, or an Universal Dictionary of Art and Sciences, Ephraim Chambers, London: 1728.

[6] "Bagno", Chamber's Cyclopeadia, 1788.

استخدم بيبس في يومياته، مصطلح باغنارد للإشارة للبانيو، من خلال الجملة التالية: "أين يتم استدعاؤهم جميعا، من قبل أسيادهم إلى الباغنارد *(Bagnard)*، حيث ينامون عراة هناك".[7]

واستخدم مصطلح بانيو في أوربا الغربية أيضا، كفرنسا، اسبانيا، وإيطاليا للإشارة إلى المستعمرات المعاقبة؛ والأنظمة التي تعتمد على الأعمال الشاقة؛ غالبا في مشاريع الأعمال العمومية... ولعل أبرز هذه البانياوات تلك الموجودة على المدن الفرنسية: طولون، بريست، وروشفورت... بعدها قامت فرنسا باستبدال البانياوات المحلية بالمستعمرات المعاقبة، كالجزائر كاليدونيا الجديدة، وغيانا.[8]

يسمى باللغة التركية *(zindun)* ، وعموماً عبارة عن بناء على الطراز التركي، يستقبل النور من الداخل وعادة ما تكون مساحته الداخلية حوالي 80 قدماً طولا و 20 قدماً عرضاً، و 85 قدماً ارتفاعا.[9]ويعتقد آخرون أنها عبارة عن صروح ضخمة وواسعة، غرفها مظلمة جدًّا يمكنها أن تضم بين الخمسين والستين أسيرا، في حين أن السجون إجمالا كانت تستوعب خمسمائة عبد، وفي حالة عدم وجود غرف ينام هؤلاء الأسرى في الممرات، أو على السطوح".[10]

ويرى آخرون أن كل غرفة كانت تضم اثنا عشرة "عبدا"، وتتشكل النوافذ من قضبان حديدية مقوسة ذات ثلاثة أو أربعة إنش لكل واحدة، بدون ألواح زجاجية، ويوجد في أدنى

[7] Samuel Pepys, The Shorter Pepys, Ed. Robert Latham, William Mattews, London: Penguin Books,1987, p.118.

[8] "Bagne", p.risons and Prison Systems: A Global Encyclopedia, by Mitchel P. roth, New york: Greenwood Publising Group, 2006.

[9] حفيظة خشمون، سجون الأسرى المسيحيين في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة الهجرة والرحلة، سلسلة مطبوعات الملتقيات السنوي (5)، جوان 2010، ص182.

[10] قرباش بلقاسم، بانياوات الأسرى المسيحيين في الجزائر 1519-1830، مجلة دراسات تاريخية، ع01، جامعة الجزائر 2014 ص113.

الجدران سلسلة ثقيلة من حلقات طويلة مثبتة في رزيرات مع دقة في النهاية، حيث يحبس المشوشون إما عن طريق الرجل أو العنق حتى الصباح؛ وهذا جزاء لجرائمهم".[11]

ويقسم السجن إلى طابقين؛ وبدورهما يقسمان إلى مجموعة من الغرف الصغيرة، وفي وسط السجن يوجد خزان ماء، وفي الأسفل توجد الكنيسة التي يقام فيها القداس.[12] أما أسرى الحاكم فشققهم تقع على امتداد دهليز، بالقرب من المخازن المخصصة للتدبير المنزلي، وهي عبارة عن غرفة كبيرة حيث يأكل العبيد وينامون، وبه يوجد مطبخ مخصص للعبيد، إلى جهة الحديقة بواسطة ممر مغطى ومرصوف تمر به أنابيب يجري فيها ماء من أعذب وأجمل ما في العالم".[13]

وفيما يخص الرقابة والتنظيم فتختلف من سجن لآخر، فسجون الدولة أو البايلك كانت أكثر رقابة وتنظيما، على عكس سجون الخواص، ويذكر ديغرامون أن هذه السجون كانت مركزا للإدمان والخلاعة، فالسرقة والتعصب يمارسان بشكل واضح، خاصة أولئك الذين فقدوا الأمل في الحرية والعودة إلى الديار، فالكثير منهم انتحر والباقون ارتدوا وانظموا لقوات العدو. وهناك تقاة ومتدينون أصبحوا اليوم خالين من كل إيمان، واتبعوا أعمالا متطرفة.[14]

ب– إحصاء سجون الأسرى بمدينة الجزائر:

مع أوائل القرن السادس لم تكن توجد هناك سجون خاصة بالأسرى، حيث كان يسمح للأسرى بالتجول بحرية وسط المدينة؛ لكن مع أواسط القرن السادس عشر كل الأسرى التابعين للدولة والخواص، أصبح يتم أسرهم في سجون خاصة بهم.

---

[11] جيمس ويلسن ستيفن، الأسرى الأمريكان في الجزائر 1795/1796، تر.على تابليت، منشورات ثالة، الجزائر، 2007، ص215.

[12] Haedo Fray Diego, Topographie…, op.cit, p.203.

[13] كاثكارت، مصدر سابق، ص93.

[14] Degramont, op.cit, p.196.

كان هناك نوعين من السجون، سجون تابعة للدولة تضم أسرى البايلك، وسجون خاصة بالخواص أو ملاك الأسرى من الأغنياء، أما السكان العاديون فكان يمكن للأسير أن يقيم معهم في البيت، "وحسب أحد الرحالة الاسبان، فإنه لا يوجد في الجزائر منزل يخلو من مثل هذا السجن المرعب"[15]:

1- سجون الدولة (البايلك): إن أغلب الأسرى هم ملك للدولة، ويقومون بالأعمال العامة، ويقيمون في سجونها؛ وحسب دوسوسا: "فإنه يتم حجزهم في سجن الباستاردا *(Baño de la Bastarda)* التابع للدولة، والسجن الملكي *(royal baño)*، الواقع بشارع السوق"، ويحتجز به الأسرى الأكثر أهمية وقيمة.[16] وتعتبر سجون الدولة أكثر أمنا من السجون المتعلقة بالخواص، كونها "تضم حراسا يقومون بالحراسة ليل نهار".[17]

يعتبر السجن الكبير أو السجن الملكي أكبر سجون الأسرى بمدينة الجزائر، خلال الفترة العثمانية، وكان يضم أسرى الدولة؛ كما أن العديد من الملاك الخواص كانوا يقومون بأسر أسراهم هناك، خاصة عند انتظار الفدية، لأنهم بذلك يبقون أسراهم في صحة وأمان لغاية قدوم الفدية". ومن أجل هذا الغرض؛ يقومون بدفع مبالغ رمزية للحراس.[18]

كان يضم السجن الكبير طابقين، حوالي 70 قدما طولا و40 عرضا، يحتوي العديد من الغرف الصغيرة، توجد في الوسط مساحة مفتوحة بها حانة... أما مجال السجن فهو مفتوح، بالنسبة للسكان المحليين، وحتى العبيد الغير مقيمين به، حيث يسمح لهم بالدخول والخروج

[15] Ellen G. Friedman, “The Exercise of Religion by Spanish Captives in North Africa", Sixteen Century Journal, Vol 1, N°1, Apr 1975, p.21.

[16] Fernando Balliano Gonzalo, Españoles en Àfrica, Madrid: Nowtilus , 2012, p.235.

[17] María Antonia Garcés, Cervantes in Algiers a Captive’s Tale, Nashville: Vanderbilt University Press, 2002, p.38.

[18] Ellen G. Friedman, Hard Labor…, op.cit, p.22.

بحرية نهارا. أما ليلا فتعطى الإشارة لغير المقيمين بالمغادرة؛ وأي شخص لا يغادر ينام في إحدى غرف السجن حتى الصباح.[19]

إن أسرى السجن الكبير غير مسموح لهم بالخروج، إلا أثناء مغادرتهم للعمل، كون الغالبية منهم ينتظر الفدية، وهم يعتبرون ذا قيمة عالية، يجب إبقاؤهم تحت المراقبة فخروجهم قد يؤدي إلى اشتباكهم مع أحد "الأتراك" أو السكان المحليين، ما يعرضهم للقتل أو الإصابة. أما أسرى الباستاردا الأقل حظا للفدية، فهم يتمتعون بحرية أكبر، ومسموح لهم الخروج من السجن والتجول في المدينة كما يشاؤون.[20]

يخبرنا المهندس المعماري الليفورني جيورجيو فاساري إل جيوفاني *(Giorgeo Varsari di Giovane)*، في رسالته المعنونة بالمدينة الفاضلة، 1596: "إن أهم الأمراء لديهم بناء ضخم لحجز عبيدهم، عندما تكون السفن على الشاطئ؛ إن هذه الأماكن في الغالب تسمى البانيو، أو مكان السلطان. من بين هذا النوع من السجون، واحد يقع في مالطة، وواحد في مدينة الجزائر ومناطق أخرى من العالم".[21]

وهناك أيضا سجن "طبرنة التماكين" (*Taverne des Boitiers*)، وهو أحد أقدم السجون في الجزائر (حسب بربروجر).[22] وفي أواسط القرن السابع عشر كان هناك أربعة سجون كالآتي: سجن الجنينة أو الباشا، وسجن *Douane*، سجن شلبي، وأخيرا سجن سانتا كاتالينا.[23] يضاف إلى هذه السجون "السجن الكبير" والذي يبدو أنه وجد قبل سنة 1551، حيث أنشأ به سيبستيان دي بوزو مستشفى لمعالجة الأسرى المسيحيين، و"سجن الملك"، الذي وجد قبل سنة 1546، وهي السنة التي أسس به الأب سيبستيان مصلى أو

---

[19]Ellen G. Friedman, Hard Labor…, op.cit, p.22.

[20] Ibid, p.23.

[21] Stephanie Nadalo, "Negociating Slavery in a Tolerant Fronter: Livorno's Turkish Bagno (1547-1747)", Mediaevalia, Vol. 32, 2011, p.287.

[22] Berbrugger A, "Charte des hôpitaux Chrétiens d'Alger, 1694", R.A, N°08, Alger 1949, p.134.

[23] Ibid, p.136.

كنسية صغيرة[24]، ولعل هذا السجن هو نفسه "سجن الباشا". والذي يبدو أنه هو نفسه السجن الكبير، "لأننا وجدنا العديد من الأبحاث التي استخدمت المصطلح التالي، لوصف السجن الكبير "سجن الملك الكبير" *(Bagno Grande Del Rey)*"[25]، وأكد دابر (1639-1689) وجود ستة سجون *(Basios d'esclaves)*[26]، ويذكر دوتاسي، الذي أقام في الجزائر، أنها كانت تضم خمسة سجون هي ملك للدولة.[27] وهناك أيضا سجن الكراغلة الذي كان مخصصا للجنود الأتراك ممن يرتكبون المخالفات، حيث لا يمكن أن يدخل الأتراك ومن كان من نسلهم إلى سجن آخر غيره.[28]

ويحصي فونتير دي براديس أواخر القرن الثامن عشر "وجود ثلاثة سجون بالجزائر... سجن البايلك الأكثر شساعة، وسجن سيدي حمودة، نسبة إلى أحد المسلمين، الذي توفي بالقرب من السجن، وسجن جاليرا أوالغاليارات، نسبة إلى غاليارتين نابوليتين فرّت باتجاه الجزائر".[29] ونفس العدد يقدمه لنا كاثكارت الذي أسر بالجزائر خلال نفس الفترة.

ركّزت أغلب المصادر والمراجع على أربعة سجون رئيسية، وهي التي كانت مشغولة، أما الأخرى؛ فهي صغيرة الحجم تستعمل عندما تكون الغنائم كثيرة بها عدد كبير من الأسرى أمّا في الحالات العادية فغالبًا ما تبقى مغلقة.[30]

كل سجن من سجون الدولة كان يتواجد به "كاتب يقوم بجرد عدد الأسرى كل مساء؛ وزيادة على هذا كان يوجد به أيضا الكاتب الكبير للعبيد".[31] وهناك الحارس باشي

---

[24] Tournier Jules, Jean le Vachier, p.rêtre consule de France et Martyre (1647- 1683), Les éditions la porte, Rabat, 1947, p.171.

[25] Fernando Balliano Gonzalo, op.cit, p.235.

[26] Dapper d'Olfert, D. M., Description de l'Afrique, les Noms, la Situation et les Consins de toutes ses partes…, Amsterdam: Wolfgang, 1686, p.170.

[27] De Tassy Laugier, Histoire de Royaume d'Alger, Henri du Sauzet , Amsterdam, 1837, p.164.

[28] حمدان بن عثمان بن خوجة، المرآة، تر. محمد العربي الزبيري، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007 ، ص122.

[29] Venture De Paradis, op.cit, p.51.

[30] حفيظة خشمون، سجون الأسرى المسيحيين...، مرجع سابق، ص183.

[31] Venture De Paradis, op.cit, p.50.

وهو المسؤول عن تنظيم السجون، والباشي حارس- باشي أو الحاكم العام، وهو المسؤول عن تحضير الأسرى للخروج إلى العمل... ويقدم أيضا تقريرا مفصلا للداي عن ما يحدث في هذه السجون.[32] وهناك أيضا المدير العام للسجن، ونائب المدير.[33]

وكانت تستخدم الغرف الواقعة في أسفل سجني البايلك وسجن جاليرا، كحانات يقوم بتسييرها عبيد، يدفعون للداي سناهية سنوية مقابل حق الامتياز ، وذلك حسب مبيعاتهم من الخمور. يقوم القائمون على هذه الحانات بتحضير خمورها بأنفسهم في هذين السجنين، من العنب الذي يشترونه من الأهالي. وغالبا ما يلجأ إلى هاتين الحانتين الأتراك عندما يكون العبيد في الأشغال.[34]

2- أسرى الخواص: على عكس سجون الدولة؛ فإن السجون الخاصة بالملاك كانت أقل تنظيما ورقابة؛ حيث كان "البانيو بالنسبة للأسرى مرقدا، وفي النهار يتدبر الأسير أمره، مقابل أن يمنح سيده نسبة معينة من هذا الدخل، "فقد كان هؤلاء الأسرى يمارسون السرقة وكل أنواع السفالة. فالمواد التي يسرقونها في اليوم السابق تعرض للبيع في اليوم الموالي صباحا في المزاد العلني".[35]وأشار العديد من الأسرى في مذكراتهم، لمثل هذه الأعمال؛ يذكر غاليان: "صديق مثل الغجري لص مشهور، كان مساعدا عظيما لي على الشاطئ، بسبب سرقاته التي جعلتنا نأكل كل شيء".[36]وحتى دارندا أشار

[32] De Tassy Laugier, op.cit, p.240.

[33] كاثكارت، مصدر سابق، ص114.

[34] جيمس ويلسن ستيفن، مصدر سابق، ص216.

[35] المصدر نفسه، ص216.

[36] Galán, Diego, Cautiverio y trabajos de Diego Galán, natural de Co nsuegra y vecino de Toledo 1589 a 1600, Manuel Serrano y Sanz, Madrid: Imprenta Ibérica, 1913.

لهذا، حينما قال: "عندما لا يقوم أسيادنا بتزويد عبيدهم بالطعام؛ فإن أغلبهم يعيش على ما يسرق، وكل مساء يبيعون غنائم اليوم المسروقة".[37]

ولعل أشهر سجون الخواص خلال الفترة العثمانية، سجن علي بتشنين، الذي كان عبارة عن بناية واسعة يوجد فيها مدخل ضيق، يؤدي إلى قبو كبير ومنه يدخل جزء بسيط من الضوء من شباك علوي، والذي لم يكن كافيا مما يستلزم إبقاء الفوانيس مضيئة كامل اليوم. ويوجد في الأقسام العلوية من البناية فضاء واسع يضم مجموعة شرفات لطابقين علويين، ويوجد بينهما عدة غرف، ومعبد واسع للأسرى يكفي استقبال 300 شخص.[38]

ج- اللباس والطعام: إن الطعام واللباس كان يختلف على حسب الوظيفة والعمل المؤدى من قبل الأسير، فطعام الأسرى المشتغلين بالأعمال الشاقة يختلف عن طعام المجدّفين، والمشتغلين لدى الحاكم أو أثرياء المدينة هم من كانوا يحصلون على وجبات ولباس أفضل بكثير من زملائهم في السجون.

في سنة 1812 وبعد أسر عشرة طواقم؛ تابعة للقبطان إدوين *(Edwin)* -أصبحوا فيما بعد ملكا للداي- حيث وجهوا مباشرة للعمل في نقل الصخور من المدينة إلى الميناء لبناء أرصفته، وتعزيز جدرانه، وإصلاح التحصينات المحيطة بالمدينة. كان غذاؤهم عبارة عن خبز أسود قاس مع بعض من الزيت أو الحساء. أما أسرى البايلك فكانوا يزودون بثلاثة وجبات في اليوم تتكون من خبز أسود، ويسمح لهم بشراء الغذاء من أموالهم الخاصة، إضافة إلى ما كان يمنح لهم من تبرع المسيحيين الأحرار.[39]

وتتوزع هذه الوجبات على الشكل التالي: على الساعة الثامنة صباحا يتناول هؤلاء الأسرى فطورهم المتكون من رغيف خبز، وصحن صغير من الخل وكأس من الماء، حيث

---

[37] Aranda, Emanuel d'., The History of Algiers and Its Slavery: With Many Remarkable Particularities of Africk, Written by the Sieur Emanuel D'Aranda, Sometime a Slave There, Trans. John Davies. London: John Starkey, 1666, p.152.

[38] جيمس ويلسن ستيفن، مصدر سابق، ص216.

[39] Playfair, E. L, op.cit, p.11.

يجلس الأسير مدة عشرة دقائق لتناول الفطور، ونفس الوجبة تقدم لهم على الغداء والعشاء. أما بيبس فيطلعنا أن الكابتن موثام *(Mootham)* وداوس *(Dawes)*، "أخبراه أن الأسرى لا يأكلون سوى الخبز والماء".[40]

وتذكر لنا إحدى المصادر الانجليزية أن طعام الأسرى كان يتكون من رغيفين من الخبز تزن نصف باوند (رطل)، ولا يسمح لهم تناول اللحم أو الخضروات، باستثناء من يعمل في البحرية، وهؤلاء يحصلون على عشر حبات زيتون في اليوم، وأفضلهم أولئك الذين يستقرون عند الداي أو في المستشفى.[41]

ويرى آخرون أن الغذاء المقدم لهؤلاء العبيد هو أربعة أرغفة من الخبز، وهو نفس ما يقدم لليولداش ، ولا يقدم لهم أي حساء من أي نوع من الغذاء. حيث يذكر أحدهم : "كان غذائهم في الغالب يتكون من الخبز والماء لا أكثر ولا أقل"[42]، أما الأسرى المملوكين لكبار رجال الدولة فقد كانوا يأكلون من المطبخ الخاص بصاحب المنزل، ويقول بفايفر: "أما طعامنا فإنه لم يكن من النوع الذي كان يفرض علينا أن نشكو من الجوع. فقد كانت فضلات المطبخ كلها لنا، وكذلك كل ما يتبقى فوق مائدة الوزير أو السادة الآخرين من أهل البيت".[43]

ويحدثنا كاثكارت عن الجوع الذي كان يتعرض له هؤلاء الأسرى في سجون الدولة (البايلك)، بقوله: "وفضلات هذه الحيوانات (يشير إلى الحيوانات المفترسة التي كانت توضع في أقفاص بالسجون) توفر غذاء شهيا لحشود الفئران، وهي أكبر الفئران التي رأيتها في حياتي، وهذه الفئران بدورها، كثيرا ما يستعملها بعض العبيد المساكين لدفع غائلة الجوع

---

[40] Samuel Pepys, op.cit, p.118.

[41] Walter Crocker, The Cruelties of The Algerine Pirates shewing The present dreadful State of The English Slaves, and other Europeans, at Algiers and Tunis; with the horrid Barbarities inflicted on Christian Mariners shipwrecked on the North Western coast of Africa and carried into perpetual slavery, London: Printed by W.Hone,, 1816, p.6.

[42] A short History of Algiers, with a concise view of the origin of the rupture between Algiers and the united states, 3rd Ed, New- York, p.ublished by Evert Duyckinck, 1805, p.93.

[43] سيمون بفايفر ، مصدر سابق، ص18.

الذي ينهش أحشاءهم. وكذلك يأكل بعض العبيد القطط بحكم الضرورة. وقد سألت أسيرا فرنسيا ذات يوم ماذا سيفعل بالقط الذي سلخه، فأجابني قائلا: "يتحتم على المرء سد الرمق".[44]

أما الذين يشتغلون في قصر الداي، فلهم مطبخ خاص بهم، حيث يتلقى الأسير طعامه وشرابه وموضع نومه في القصر، وأما لباسه والأمور الخاصة بالنظافة فيتلقاها مرة واحدة لدى نزوله في القصر، وبعد ذلك يتحتم على هذا الأسير تدبر شؤونه بنفسه. ولباس هؤلاء المساجين هو عبارة عن قميص فضفاض (*corsd*) من القماش، وسروال داخلي وقفطان صغير من نفس النوع، والذي ينحدر إلى غاية الركبة، وقبعة بيضاء وزوجين من الأحذية، حيث يحتفظ بها الأسير مدة سنة واحدة، ويقول آخر: "كان يمنح كل عبد يصل الجزائر حزمة من الأمتعة، تحتوي حزاما و سترة، وصدرية (*Waistcoast*)، وقميص وبنطالين، ولباس نوم."[45]

وأما أسرى كبار مسؤولي الدولة، فيذكر بفايفر أن لباسهم كان يتكون من قلنسوة حمراء وقميص وصدار من الصوف وسروالين ينتهيان فوق الركبة ونعلين من النوع الرخيص.[46] ويمنح عبيد الحاكم لباسا تركيا فاخرا، يتمثل في قميص فضفاض مفتوح الأكمام وسراويل تركية واسعة وأحذية وطرابيش حمراء.[47]وحسب دي براديس؛ "فإن الأسرى بمجرد وصولهم الجزائر، يمنحون قميصا فضفاضا، وحزام من الجوخ الغليظ، وقفطان من نفس القماش، الذي ينحدر حتى الركبة، قبعة حمراء، حذائين، وبطاينة من الصوف. تستبدل هذه الألبسة كل سنة".[48]

[44] كاثكارت، مصدر سابق، ص60.

[45] Gregory Fremont-Barnes, The Wars of the Barbary Pirates, To the shores of Tripoli: The rise of the US Navy and Marines, Osprey Publishing, New-York, 2006, p.72.

[46] سيمون بفايفر ، مصدر سابق، ص19.

[47] كاثكارت، مصدر سابق، ص22.

[48] Venture De Paradis, op.cit, p.51.

وكتب جون فوس أواخر القرن الثامن عشر، "أن الجزائريون يمنحون أسراهم حزمة صغيرة، تحتوي: بطانية، معطفا، وصدرية والتي تلبس عبر الرأس، وقميص دون أكمام ولا زند، وبنطالا يشبه إلى حد ما تنورة المرأة".[49]

د- العقوبات: لم تكن العقوبات تتماشى بالضرورة والضوابط الاسلامية، فالكثير من هذه العقوبات كانت غريبة في تنفيذها. ونفس الطرح السابق يفتح أمامنا العديد من التساؤلات؛ هل كانت للعثمانيين قوانين خارج الشريعة الاسلامية؟ أم أن الشهادات التي قدمها لنا الأسرى كانت مضخمة لخدمة أغراض دعائية ومادية؟ خاصة إذا علمنا أن هذه الروايات كانت أكثر الأعمال مبيعا في المجتمعات الأوربية، ما كان يدفع الرواة إلى إضفاء مزيد من التشويق عليها؛ لاستقطاب مزيد من القراء.

نشرت جريدة لاغازيت، بتاريخ 18 سبتمبر 1786: "أن ملاك العبيد السود بأمريكا يرتعدون من فكرة العبودية بين الجزائريين، ويمقتونهم ككرههم للطغاة البرابرة...والذين يعتبرون أقل بربرية من أتباع محمد"[50] وكتب وليام إيتون أول قنصل بتونس في يومياته، بتاريخ 24 فيفري 1799: "منطقة المغرب الإسلامي هي جهنم".[51]وحسب دو سوسا: "فإن عالم المغرب الاسلامي مثل سفر الرؤيا مليء بالعذاب، الاعدام، وإراقة الدماء".[52]

لعل أكثر العقوبات رواجا بين الأسرى، ما يعرف "بالفلقة". ويذكر هابنسترايت: "وعند القبض عليهم في حال الهروب يتعرضون إلى الضرب بالعصا، والذي يتم بطريقة لا تؤدي إلى موت الأسير إلا نادرا ".[53]

---

[49] Robert Davis, Esclaves Chrétiens…, op.cit, p.181.

[50] Benilde Montgomery, "White Captives, African Slaves: A Drama of Abolition" Eighteenth-century Stadies, p.615.

[51] Ibid, p.616.

[52] María Antonia Garcés, op.cit, p.44.

[53] هابنسترايت، رحلة العالم الألماني: ج. أو. هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس (1145هـ – 1732م)، تر. ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الاسلامي، تونس، 2008، ص43.

وإذا حدث ودخل أحد هؤلاء الأسرى الإسلام وارتد، فسيحمَّرُ حيا، أو يرمى إلى الأسفل من أعلى أسوار المدينة، وعلى عقافات حديدية، تمسك بعظام الحنك والأضلاع، أو بأجزاء أخرى من الجسم. ويعرف المذنب أثناء إسقاطه أنه سيعاني معاناة شديدة عدة أيام من حياته الباقية. وقد حدث هذا للمغامر الإسباني جون غاسكون (*Gascon John*) وغالبا ما يمارس هذا النوع من العقاب ضد الأسرى، غير أنه في الوقت الراهن (أواخر عهد الدايات) بدأ إلغاؤه بصفة عامة.[54]

ويعتقد البعض أن السجن في الجزائر، لم يكن بذلك السوء، الذي توجد عليه السجون الأوربية؛ ففرانسيس نايت يرى:" أن آلاف البحارة المسيحيين يفضلون الإقامة في سجون الجزائر على التعفن في السجون اللّيفورنية، أو الموت من "الجوع والبرد"، في السجون الإنجليزية".[55] أما الأسير الفلامنكي إيمانويل دارندا *(Emanuel d'Aranda)* 1640-1642، فقد ادعى أنه سمع أكثر من 42 لغة في سجن الجزائر: "أفضل جامعة...لتعليم البشر الحياة".[56]

ويرى آخر أن حرق الرأس كان يتم إما بداعي العقاب أو التسلية... ويصطف العبيد مساءا ليسمعوا أسماءهم في السجل، ثم يقادون إلى بوابات المدينة، حيث يطالبون بالذهاب بأنفسهم إلى السجن، وكل عبد لا يصل بعد ربع ساعة إلى هناك، أو أي واحد منهم نسي ذكر اسمه للمنادي داخل السجن، يقيد بأحد الأعمدة من رجليه ويديه. وفي الصباح تنزع عنه القيود ويتعرض لعقاب جديد يتمثل في الضرب بالعصا "الفلقة"، غالبا بين مائة والمائتي ضربة.[57] ويحكم على الأسير الذي يمسك برفقة امرأة جزائرية بقطع رأسه؛ أما المرأة فيتم ربطها ووضعها في قفص يرمى على بعد ميل بالبحر.[58]

---

[54] جيمس ويلسن ستيفن، مصدر سابق، ص216.

[55] Fisher (Sir Godfrey), Légende Barbaresque : Guerre, Commerce et Piraterie en Afrique du Nord de 1445 à 1830, Trad. et Annoté par Farrida HALLAL, Office des Publications Universitaires, Alger, 2002, p.157.

[56] Aranda, Emanuel d'., op.cit, p.152.

[57] Gregory Fremont-Barnes, op.cit, p.74.

[58] Foss John, A Journal of the Captivity and Sufferings of John Foss, Newburyport, 1798, P32.

2- المصحات الاستشفائية:

سيطرت منظمات الثالوث المقدس والرحمة، على عمليات الفدية ، في كل من إسبانيا والعالم الاسلامي منذ الفترات الوسطى؛ لكن مع أواسط القرن السادس عشر، تم انشاء مستشفيات للعناية بهؤلاء الأسرى؛ كون العديد منهم لا يتم فديته. واستمرت متواجدة حتى نهاية القرن الثامن عشر، رغم حقائق تؤكد تراجعها؛ بسبب تراجع عدد الأسرى.[59]

إن تأسيس هذه المستشفيات، كان برعاية مباشرة من طرف السلطة الإسبانية، وإشراف جزائري؛ فحكام الجزائر حاولوا وضع مخطط أكثر تنظيما، للتعامل مع أسرى الحرب في كلا الضفتين. هذا الأمر كان يلقى دعما جماهيريا في المجتمعين الجزائري والاسباني، كون الأسرى المتواجدين في المنطقتين؛ إما هم أفراد من العائلة أو الأقارب.

أ- المستشفيات:

في سنة 1546 قام الأب سيبستيان بزيارة للجزائر، في مهمة لافتداء الأسرى، واعتبر أن صحة الأسرى مهمة جدا، فقام بإنشاء مستشفى بها سنة 1551، وسمي باسم صاحبه وألحق بالسجن الكبير، وقبل هذا كان حسن باشا قد أنشأ مستشفى، مخصص لعلاج "الأتراك"، يضمّ خمسة غرف، اثنتين في الطابق السفلي، وثلاثة في الطابق العلوي[60]؛ أما رانج ودونيس

---

[59] لعل أفضل روايتين تم تأليفهما عن المستشفيات، تلك التي كتبها فراي فرانسيسكو سيلفاستري (Fray Fransisco Silvestre) في عمله: "fundación de histórica de los hospitales…1679"، والعمل الذي ألفه فرانسيسكو خيمينيز دي سانتا كتالينا (Francisco Jiménez de Santa Catalina) المعنون ب" Viage de Argel"، وعن سيلفاستري فقد كان مديرا للمستشفى الاسباني في الجزائر أواخر القرن السابع عشر، أما خيمينيز فعين بالمستشفى بالجزائر 1717-1720، وعمله كان عبارة عن يوميات؛ وهناك ايضا عمل آخر لا يخلو أهمية عن العملين سابقين: " Los Hospitales Cristianos de Argel y Túnez…" لصاحبه ب. بوريس (B. Porres).
ينظر: Ellen G. Friedman, “Trinitarian Hospitals…, op.cit, p.552-53.

[60] ينظر: Haedo Fray Diego, Topographie et Histoire générale d'Alger, Tr. Mounreaut et Berbrugger, Alger, 1870.

فقد أكدا وجود 34 مشفى في الجزائر، أواخر القرن السادس عشر.[61] وأعلن الراهب برنارد دومنروي *(Bernard Monroy)*، في رسالة مسجلة بتاريخ 16- 05- 1612 عن بناء مستشفى الثالوث المقدس، في غرفة استمرت حتى الاحتلال الفرنسي موجودة دون استخدام، بالقرب من المصلى، في حانة سجن البايلك، على موقع من طريق باب عزون.[62] ويذكر الأب مونري *(Manroy)*، سنة 1612 قائلا: "إن الأتراك والجزائريين كانوا غالبا ما يأتون إلى هنا (أي المستشفى)... لقد كان أمرا عجيبا بالنسبة إليهم أن يروا الأرقاء المسيحيين لهم مثل هذه المؤسسة في مدينة الجزائر... فلم يوجد لديهم مؤسسة مماثلة لمرضاهم"، وفي القرن الثامن عشر، أصبحت هذه المستشفيات أوسع بكثير مما كانت عليه.[63]

شهدت سنة 1646، إرسال سانت فينسن *Saint Vincent* لبعثة محملة ب 12 ألف ليرة *(livre)*، تبرع بها لويس الثالث عشر أنشأت مستشفى *(Lazaret)*، حيث ظل المستشفى الوحيد المتواجد بالجزائر حتى بعد سنة 1825، ورغم أنه أغلق سنة 1793 بعد طرد منظمة اللاّزريت من الجزائر، لكن تم إعادة فتحه بعد أن تدخل نابليون، بإصدار مرسوم مؤرخ في 31-07-1806، قدم فيها إعانة مالية سنوية لهذا المستشفى قدرت ب 3000 فرنك، كل هذا سمح بإعادة فتحه سنة 1825م إلى غاية إغلاقه نهائيا سنة 1827م، بعد الحصار البحري الفرنسي على مدينة الجزائر.[64]وفي سنة 1665 كانت الجزائر تضم خمس مستشفيات على الشكل التالي: "الأول والثاني تابع لسجن الباشا، الثالث في سجن *(Douan)*، أما الرابع فهو موجود في سجن شلبي، والأخير يسمى سانتا كتالينا".[65]ويبدو أن هذه

[61] Rang. S, Denis.F, Fondation de la régence d'Alger, Histoire de Barberousse, Chronique arabe du XVIe siècle sur un manuscrit de la Bibliothèque Royale , avec un appendice et des notes Tome2, p.aris: ,J. Ange éditeur, 1837.

[62] Berbrugger A, "Charte des hôpitaux …, op.cit, p.135.

[63] De Tassy Laugier, op.cit, p.203.

[64] Mostapha Kiati, Histoire de la Médecine en Alger, de l'antiquité à nos jours, Édition ANEP, Alger, 2000, p.87.

[65] Berbrugger A, "Charte des hôpitaux…, op.cit, p.136.

المستشفيات كان قد أسسها بيدرو دي لاكونثيبثيوني *(Pedro de la Concepción)* ولم يتبقى منها إلا مستشفى واحد، هو المستشفى الاسباني، حيث كتب ألونسو كانو *(Alonso Cano)* سنة 1777، أنه السجن الوحيد المتبقي في الجزائر.[66]

كان يقع المستشفى الاسباني في شارع باب عزون[67]، وضمّ خلال القرن الثامن عشر 50 سريرا، وحسب كاثكارت؛ فإن كل الأسرى كان مرحبا بهم في هذا المستشفى، بغض النظر عن انتماءاتهم الدينية... وكان المستشفى تحت الإدارة المباشرة "للجزائريين". تأتيه كل صباح زيارة رسمية، تختار من هو المناسب للعمل به (الأسرى).[68]كما أكد القبطان الانجليزي كروكر، الذي زار الجزائر سنة 1815، أنه المستشفى الوحيد الموجود في المدينة.[69] ودخل المستشفى، "حيث رأى مخلوقات بائسة من مختلف الأعمار ومن كلا الجنسين، رجال يبلغون من العمر ستين سنة، وأطفال لا يتجاوز سنّهم الثامنة... كان هناك العديد من النساء الصقليات، من بينهم امرأة، أخبرته أنها أم لثمانية أبناء، وطلبت منه النظر إلى ستة منهم كانت قد قضت معهم ثلاثين سنة، تركنا هذه المشاهد المتوحشة" كتب القبطان كروكر.[70]

كانت تقع الادارة العامة لهاته المستشفيات الخمسة في السجن الكبير، وهنا كان يقيم المدير العام للمستشفيات ومساعديه، وكانت توجد أيضا بالسجن الكبير صيدلية، مهمتها تزويد المستشفيات الأخرى بالأدوية والأعشاب الطبية.[71]إلى جانب هذه المستشفيات، أولى

[66] Ellen G. Friedman, "Trinitarian Hospitals in Algiers: An Early Example of Health Care for Prisoners of War, Catholic historical review, Vol.66, N°.04, 1980, p.555.

[67] Plyfair, op.cit, p.307.

[68] Norman Robert Bennett, op.cit, p.79.

[69] Walter Crocker, op.cit, p.04.

[70] Ibid, p.06.

[71] Ellen G. Friedman, "Trinitarian Hospitals…, op.cit, p.554.

حكام الجزائر رعايتهم لبعض الملاجئ، منها مصحة خاصة لأصحاب الأمراض العقلية توجد بزنقة الهواء.[72]

كل مستشفى من المستشفيات الخمسة السابقة، كان يضم ممرضة وطبّاخا، إضافة إلى قسيس لإقامة المراسيم المقدسة للأسرى الأكثر مرضا، وكل هؤلاء (الممرضين والطباخ) هم أسرى، يدفع المدير العام للمستشفيات 02 بيسوس لملاكهم. وكان يمكن ربط طبيب أو طبيب جراح بالمستشفى، فمثلا: في سنة 1723، بعد قدوم أفراد منظمة الرحمة إلى الجزائر جلبوا معهم طبيبا جراحا؛ وحتى صيدليا أيضا. وفي سنة 1724، جلبوا طبيبا جراحاً آخر لأن الأول توفي.[73]وكان يتم اختيار هؤلاء الأطباء بعناية في اسبانيا، قبل إرسالهم نحو الجزائر فبعد نهاية عقد الجراح أليكساندرو سان ميلان *(Alexandro San Millán)*، في الجزائر سنة 1763، طُلِبَ منه البقاء لسنتين اضافيتين. وعكس هذا فإن العديد من الجراحين، كان يتم انهاء مهامهم أو استبدالهم، مثلما حدث مع الطبيب فليكس أنتونيو موراليس *(Felix Antonio Morales)* الذي أرسل سنة 1776 إلى الجزائر، حيث طالب المدير العام للمستشفى في الجزائر باستبداله، سنة 1778، وفعلا تم استبداله بالطبيب ثيبريانو كنيادا *(Ciriapano Cañada)*، والذي اشتغل مدة عشر سنوات بالمستشفى العام بمدريد.[74] ولم يكن علاج الأسرى منحصرا في المستشفيات، ففي بعض الأحيان كان يجلب طبيب المستشفى، إلى بيوت الملاك لمعالجة أسراهم.[75]

يبدو أن المستشفى الاسباني أصبح يدار من قبل طائفة الرحمة لفترة من الزمن، وتحت حماية القنصل الفرنسي، لكن بعد المنافسة التي نشبت بين أحد الرهبان ومنافس من القنصلية

---

[72] هبنسترايت ج. أو، مصدر سابق، ص34.

[73] Ellen G. Friedman, “Trinitarian Hospitals…, op.cit, p.554.

[74] Ibid, p.554-55.

[75] David C. Moberly, p.iracy, Slavery, and Assimilation: Women in Early Modern Captivity Literature, A Thesis For the Degree of Master of Arts, Under the Supervision of Professor Stephen Buhler, Nebraska: University of Nebraska, April 2011, p.27.

النمساوية، نقل المستشفى ليصبح تحت الحماية الإنجليزية. ويخبرنا مورغان: "أن المستشفى الإسباني أسس في الأصل من طرف أحد الرهبان الكابوتشيين المدعو دون جون النمساوي *(Don Jhon of Austria)*، بعد أن أسر من طرف بحارة الجزائر، حيث استخدم المبلغ الضخم الذي أرسله له الملك النمساوي لفديته، لبناء المستشفى الاسباني وكذا شراء قطعة أرض لدفن الأسرى المسيحيين".[76]إن الشهادة السابقة تفتح لنا العديد من التساؤلات، حول من أنشأ المستشفى والمنظمة الدينية التي يتبع لها.

ب- النفقات والمداخيل:

شهدت نفقات المستشفى الاسباني تصاعد كبيرا، باعتباره أهم مستشفى متعلق بالأسرى، كان موجودا بالجزائر خلال القرن الثامن عشر. ففي الفترة الممتدة بين ماي وديسمبر 1710، ارتفعت نفقات المستشفى إلى 21,881 ريال، ضعف النفقات التي صرفت طيلة سنة 1707، والتي بلغت 10,042 ريال، وارتفعت المصاريف سنة 1711 لتبلغ 34,712 ريال، وقد واصلت المصاريف في الارتفاع، مع دعم من اسبانيا، خاصة بعد سقوط مدينة وهران.[77]

وحتى بعد تراجع عدد الأسرى بالجزائر، أواخر القرن الثامن عشر، استمر وجود المستشفى بالمدينة؛ حيث تطلعنا إحدى الوثائق عن وجود مرضى بالمستشفى في الفترة الممتدة بين 1770-1780؛ وعلى الرغم من هذا التراجع، استمرت منظمة الثالوث المقدس في امتلاك المستشفى، مزودة بثلاثة رهبان، طبيب، طبيب جرّاح، صيدلي، واثنا عشر مساعدا. كما أن الوثيقة تطلعنا خلال الثمانية والعشرين سنة، معالجة 35,833 أسيرا بالمستشفى، توفي منهم 2,090 أسيرا فقط، بينما عولج 33,743 أسيرا...أي بمعدل علاج يقارب 94%.[78]

---

[76] Josef Morgan, History of Piratical…, op.cit, p.235.

[77] Ellen G. Friedman, "Trinitarian Hospitals…, op.cit, p.556.

[78] Ibid, p.557.

ويضاف إلى هذه المداخيل الأموال المجموعة، من خلال التبرعات، "فمثلا: في سنة 1678 منحت السلطة الاسبانية رخصة، لمنظمة الثالوث المقدس، بجمع التبرعات في مناطق الهنود الحمر *(Indies)*، لصالح المستشفى الجزائري مدة أربع سنوات".[79]

ولم تكن مداخيل المستشفى تقتصر على الأموال المتبرع بها، حيث أصدر الداي قرارا يفرض على المالك، منح 01 بياستر عن كل ستة أسرى للمستشفى، لتحمل تكاليف دفنهم. لكن في حال خروج الأسير من المستشفى، يسترجع المالك البياستر الذي دفعه للمستشفى. كما أن أي سفينة ترسوا على شاطئ مدينة الجزائر، تدفع 03 بياستر إلى المستشفى الإسباني.[80]

يضاف إلى المداخيل السابقة، نفقات ثابتة حاولت السلطة الاسبانية الرسمية تقديمها لمنظمة الثالوث المقدس للاعتناء بالحالة الصحية للأسرى؛ فمثلا: "إن أول التسجيلات المتعلقات بالأموال القادمة من اسبانيا، ظهرت ابتداء من سنة 1759. خلال الفترة بين 1759-1769، قدرت الأموال المرسلة من المسؤول العام في مدريد بـ 66,000 ريال سنويا... كما أن الحكومة الجزائرية، كانت تفرض ضريبة تقدر ب6,5 بيسوس، عن كل ستة بوتاس *Botas* خمر تصنع، حيث تمنح للمستشفى الاسباني.[81]

ج- الأطباء الأسرى بالجزائر:

إن الملاحظ عند دراسة قضية الأسرى الأطباء، سيجد انحصارهم في التطبيب لكبار الشخصيات وأهل المدينة، وتعويضهم للنقص الذي خلفه التطبيب بالطب الشعبي أو المحلي خاصة في مدينة الجزائر.

---

[79] Ellen G. Friedman, "Trinitarian Hospitals…, op.cit, p.556.

[80] Josef Morgan, History of Piratical…, op.cit, p.234.

[81] Ellen G. Friedman, "Trinitarian Hospitals…, op.cit, p.560.

ولفهم الوضعية أكثر لا بد من إلقاء نظرة، حول الطب الشعبي في الجزائر، الذي كان يعتمد على الأعشاب، وحتى خلال الفترة الاستعمارية، استمر الأطباء المحليون في استخدام كتب الأطباء السابقين، فمثلا: "ارتكز الطب الشعبي في الأوراس خلال الفترة الاستعمارية، على خمسة أعمال لأطباء سابقين، لعل أبرزهم عبد الرزاق (إبن حمادوش) المعروف ب"الجزائري"، ولد بمدينة الجزائر خلال النصف الأول من القرن الثامن عشر، والذي ارتحل عدة مرات نحو مكة، وجمع ملاحظاته، في كتاب سمّاه "كاشف الرموز".[82]

إن أغلب المصادر التي تناولت الحياة الصحية للجزائر العثمانية، أشارت إلى تعرض الجزائر إلى أوبئة مختلفة وفي كل القرون الحديثة، ولعل أبرز الأمراض الفتاكة التي مست المدينة هو الطاعون، "وقد عرفت الجزائر مثلا: انتشار الطاعون سنوات 1799، 1800، 1801، 1802، 1803، 1804".[83]ولم تسلم الجهة الغربية من الطاعون، حيث يذكر الرحالة أبو القاسم الزياني، أواخر القرن الثامن عشر أنهم "خرجوا من تلمسان إلى مدينة الجزائر فرارا من الوباء الذي حلّ بها، وكان عامّا في العمائر التي بينها وبين الجزائر، فما نزلنا منزلا إلا وجدنا أهله يدفنون موتاهم".[84]وضربت المجاعة المناطق الشرقية أيضا (قسنطينة) 1804-1805 ويصفها العنتري بقوله: "أنزل اللّه القحط على الخاص والعام، حتى صاروا العباد يأكلون لحم بعضهم من شدّة الجوع وانقطاع الطعام، واستمر ذلك مدّة سنة كاملة".[85]وقد أدت إلى هلاك العديد

[82] Hilton-Simpson W., Arab Medicine Surgery, Study of the Healing Art in Algeria London: Oxford University Press, 1922.

[83] فلة القشاعي، "وباء الطاعون في الجزائر العثمانية وسلم حدته وطرق انتشاره"، مجلة دراسات انسانية، ع01، كلية العلوم الانسانية، جامعة الجزائر ، 2001، ص134.

[84] أبو القاسم الزياني، الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برّا وبحرا، تح. عبد الكريم الجيلالي، دار نشر المعرفة، الرباط، 1991، ص148.

[85] محمد صالح بن العنتري، فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلاءهم على أوطانها، أو تاريخ قسنطينة، تح. يحيى بوعزيز، دار هومة، الجزائر، 2007، ص87.

من الناس، من بينهم العلماء كالفقيه عبد القادر السنوسي ابن زرفة، وأخيه الفقيه الهاشمي، وابن عمهما الأديب صاحب تأليف "فتح وهران"، مصطفى ابن عبد الله.[86]

لقد أظهر أغلب الكتاب الأوربيين ممن زاروا الجزائر العثمانية، احتقارا للطب المحلي فقد أكد لوجيي دوتاسي "عدم وجود أي طبيب في مدينة الجزائر، ولا في أي مكان بالمملكة".[87]وأما توماس سميث فيعتبر أن الطب في الجزائر، كان منحصرا لدى فئة السحرة والعرافين، الذين كانوا يحتلون مكانة راقية في المجتمع: "لقد رأيت رجلا أعمى، عولج بعشب، يسمى حقن *(Hegn)* من طرف الجزائريين".[88]وبنوع من الاستهزاء يذكر هابنسترايت: "ما دمت لا أستطيع اقناع هؤلاء الناس، بأن كل مرض من الأمراض، يتطلب دواء خاصا، فهم يعتقدون أن دواء واحدا، كفيل أن يشفي كل الحالات المرضية. فضلا عن كونهم يحملون نظرة جيدة عن كفاءة الأطباء النصارى".[89]ويؤكد الرحالة كامبل الأسكتلندي الذي زار الجزائر سنة 1834: "أن السكان المحليين لا يملكون طبيبا واحدا لخياطة جراحهم".[90]

إن الوضعية السابقة جعلت من الحكام، أكثر حذرا في التعامل مع الأطباء المحليين وجعلت من الطب الشعبي، طب العامة من الفقراء، وفي المناطق التي تقع خارج مدينة الجزائر، كون السكان المحليين أصبحوا ينظرون إلى الطاعون "كعقاب إلهي"، وفي المقابل جعل الحكام من الأطباء الأسرى معالجيهم الخواص، وقد برز في هذا المجال العديد من الأطباء الأسرى سنحاول تعريفهم، كالآتي:

---

[86] محمد الزين، "نظرة على الأحوال الصحية بالجزائر العثمانية في أواخر عهد الدايات"، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع07، جامعة غرداية، الجزائر، ديسمبر 2012.

[87] Laugier de Tassy, , p.o.cit, p.82.

[88] T.S, op.cit, p.56.

[89] هبنسترايت، مصدر سابق، ص77.

[90] Thomas Compell, Jornal of a Residence in Algiers, Vol.01, London: Henrey Colbern, 1842, p.10.

1- مانويل موررللو: قدم لإنقاذ المستعمرة الاسبانية بوهران سنة 1678، وقد استغل ثروته الخاصة لشراء الأدوية وتوزيعها على المرضى... اعتقل من قبل الجزائريين، وتم نقله إلى الجزائر، حيث بقي ثلاثة عشر عاما. وساهم في علاج الوباء، وقد وهبت له السلطات الجزائرية حريته، اعترافا باسهاماته.[91]

2- سانسون: طبيب هولندي، كان أسيرا لدى باي قسنطينة سنة 1125هـ/1713م، كان على اتصال مع العالم توماس شاو عندما زار قسنطينة، حيث زوده بمعلومات حول الطب.[92]

3- سيمون بفايفر: لعله أشهر الأطباء الأسرى المشهورين في المدينة، كون عمله ترجم إلى العربية، أسر بفايفر سنة 1825، وأطلق سراحه بعد الاجتياح الفرنسي للجزائر. وبعد علاجه الداي جعل منه طبيبه الشخصي، وانحصر نشاط بفايفر في معالجه كبار مسؤولي الدولة، لكن أثناء الدخول الفرنسي، عمل في معالجة المصابين.[93]

4- ماثيو ديدجون: ولد بمنطقة بورستموث (إنجلترا)، تم أسره من قبل بحارة الجزائر أواخر العهد العثماني، يعتبر طبيبا جراحا، "إن أحد الأتراك اعتقد أنه سيجني الكثير، من موهبتي كطبيب جرّاح".[94] كان المالك يرسله لمعالجة العامة، مقابل أموال معتبرة، ونادرا ما كان يكلف بمهام غير طبية، وحسب ماثيو ديدجيون: "لقد كان يرسلني سيدي إلى الأرياف لمعالجة المرضى... لكن هذا لم يكن يرضي جشع مالكي الذي جعلني أعمل في حديقته أيضا".[95]

---

[91] مصطفى خياطي، الطب والأطباء في الجزائر العثمانية، منشورات ANEP، الجزائر، 2013، ص107-108.

[92] المرجع نفسه، ص108.

[93] ينظر: سيمون بفايفر، مصدر سابق.

[94] Mathew Dudgeon, A True Relation of the Travels and Perilous Adventures of Mathew Dudgeon, Gentleman: Wherein is truly set down the Manner of his Taking, the Long Time of his Slavery in Algiers, and Means of his Delivery, London: Longmans, Green, and Co., 1894, p.15.

[95] Mathew Dudgeon, op.cit, p.15.

5- أبدايك أندرهيل: طبيب أمريكي، أسر من طرف بحارة الجزائر في "ديسمبر 1788...حيث بيع لأحد أغنياء المدينة والمسمى عبد الملك، أحد قادة الجيش الجزائري سابقا.[96] ولكن ما حدث مع الدكتور أندرهيل أنه بدأ حياته في الأسر، مشتغلا في سحب الحجارة لبناء حائط حديقة مالكه، حيث عوقب بالجلد بعد أن اعتدى على سيده.[97]

وقام أحد الأئمة المسلمين *Priest* بالتدخل من أجله؛ ليقوم المدير العام للمستشفى الاسباني بشرائه من مالكه السابق عبد الملك، ويعيّن في غرفة الأدوية، مع السماح له بالخروج إلى المدينة لتقديم العلاج.[98]

6- باسكال غاميزو: *Pascual Gamizo*، طبيب إيطالي، أسره الرايس محمد الاسلامي، اشتراه الباي صالح حاكم قسنطينة، سنة 1195هـ/1781م، مقابل 1000 محبوب أي ما يعادل 4000 فرنك فرنسي.[99]

ورد ذكر أسماء العديد من الأطباء الأسرى، في سجل التشريفات، سنحاول تلخيصها في الجدول التالي:[100]

الأطباء الأوربيين المذكورين في سجل التشريفات»

الطبيب	البلد	سنة الأسر	الآسر
خواكينو كارديرو	البرتغال	1173هـ/1750م	الريس أحمد الدباغ
جوزيف ألبيرت	البرتغال	1180هـ/1756م	الريس محمد الشيباني
سيمون بيدرو	البرتغال	1183هـ/1760م	الريس علي

[96] Updike Underhill, op.cit, p.106.

[97] Ibid, p.125-127.

[98] Ibid, p.152.

[99] Albert De Voulx, Tachrifat…, op.cit, p.90.

[100] Ibid, p.86, 87, 93, 101, 102.

لويس جوزيف	البرتغال	1190هـ/1776م	الريس ألغاندجي ومحمد عز
جوزيف أليدا	البرتغال	1190هـ/1776م	الريس ألغاندجي ومحمد عز
خوان كارديرو	البرتغال	1190هـ/1776م	الريس ألغاندجي ومحمد عز
دوناستيا جيوكومو ميسيافالي	جنوة	1200هـ/1786م	صالح رايس الجيجلي
فرانسيسكو فينارد	البرتغال	1214هـ/1799م	--
خواكينو أنتونيو داكييتو	اسبانيا	1217هـ/1801م	الريس حميدو

3- الحياة الدينية للأسرى المسيحيين:

تعتبر الحياة الدينية للأسرى في العالم الاسلامي، أكثر قضايا الفترة الحديثة جدلا باعتبار أن من كتب في الموضوع، أغلبهم ذات انتماء مسيحيّ متعصب، وظلت الكتابات التي نشرت قبل سنة 1689، تحمل توجهات الكنيسة، لكن مع بداية تحرر العقل الأوربي خلال القرن الثامن عشر، وفيما يعرف بعصر الأنوار، برز مجموعة من الكتاب حاولوا إبداء نوع من الموضوعية، لنظرتهم حول الإسلام والعالم الإسلامي.

أ- الممارسة الدينية للأسرى:

راسل بايف محمد راكس كما يلقب في المصادر الاسبانية، في أفريل 1692، الذي كان أسيرا في مايوركا، أقاربه في الجزائر يتذمر من المعاملة السيّئة التي يتلقاها من سيدته، زوجة أحد الصيادين؛ "التي لم تسمح له بممارسة طقوسه الدينية، ولم تمنح له الطعام، والتي تطوّقه بالأغلال في عنقه خلال اللّيل، والتي تعامل بنفس السوء العبيد الآخرين". بعد هذه الرسالة اتصل أقاربه بالداي وطالبوه بالتدخل. وكرد فعل؛ "قام الجزائريون بغلق الكنائس وتطويق كل

الأسرى المايوركيين في الأغلال".[101]وطالبوا منظمة الثالوث المقدس مراسلة إسبانيا والتأكد من أن محمد يعامل جيدا. في رسالة المنظمة، يصفون فيها المعاملة الحسنة التي يتلقاها المسيحيون ومنظمة الثالوث المقدس، من طرف الجزائريين، وكيف أن رسالة محمد غيّرت وضعيتهم: "لقد وصلنا [منظمة الثالوث المقدس] مؤخرا إلى مدينة الجزائر، وخلال الأيام القليلة التي قضيناها بالمدينة، تمتعنا بتسهيلات من طرف حاكم الجزائر النبيل، وكل هؤلاء الجزائريين اللطفاء...لقد سمحوا [الجزائريون] للعبيد بالقدوم إلى الكنائس، لحضور القداس وفي الأيام المقدسة فإن الملاك مجبرون أن يرسلوا عبيدهم لتأدية طقوسهم الدينية، وهم لا يفرضون على أي منهم التخلّي عن دينه، إنهم يعاملونهم جيّدا في العادة، وإذا صادف واحتج أي عبد للحاكم من معاملة سيّده السيّئة، فإنهم سيعاقبون المالك ويجبرونه على بيعه لآخر". ونتيجة لتدخل الداي والمنظمة؛ فإن نائب حاكم مايوركا تدخل شخصيا، وقام بنقل محمد من ملكية مالكه السابق إلى سجن نائب الملك، وأرغم مالكه السابق على دفع ريال له كلّ يوم. [102]

في رسالة من الداي علي إلى أمين الدولة للبحرية الفرنسية، 23 فيفري 1767، يقول: "صديقي صاحب السمو سمعت أنه حدثت إهانة بقطع أذن الشخص الذي كان يتولى مهام الإمام في مسجد العبيد، وجعله بهذا محلا للازدراء العام... علما أنه يوجد هنا كهنة في الكنائس النصرانية، يجتمعون فيها من أجل حضور طقوسهم الدينية دون أن يتجرأ أحد على إزعاجهم".[103]ورد عليه الوزير 30 مارس 1761: "إن العبيد لم يكن لهم أبدا مسجد مقام في فرنسا".[104]

---

[101] Juan Vernét Gines, El rescate del arraez argeli Bibi, p.risionero en Mallorca, Tetuán: Instituto Muley el Hasan, 1952, p.207.

[102] Juan, Vernét Gines, op.cit, p.207.

[103] أوجان بلانتيت، مراسلات دايات الجزائر إلى ملوك ووزراء فرنسا 1700-1833، ج2، مصدر سابق، ص116.

[104] المصدر نفسه، ص119.

إن المراسلة السابقة تؤكد أن الداي؛ كان يعتبر ممارسة الطقوس الدينية للأسرى شيء بديهي، حتى أنه توقع وجود مسجد للمسلمين في فرنسا؛ لكن أمين البحرية أكد أنه لم يوجد أبدا مسجد للمسلمين في فرنسا. إن الموقف السابق يثبت أن الطقوس الدينية للأسرى كانت محدودة في فرنسا، وتمارس بشكل غير رسمي؛ رغم أن فرنسا تعتبر البلد الأوربي الوحيد، الذي تأسست علاقاته مع الباب العالي على أسس غير أيدولوجية، والمراسلة السابقة تفتح المجال للعديد من التساؤلات حول الحرية الدينية في مناطق كإيطاليا وإسبانيا.

يذكر محمد القيسي التونسي، الذي كان أسيرا في كاتالونيا حول مجادلاته للرهبان الإسبان: "وحقا لمن أسرته الروم، وكابد المشقة والهموم، أن يكلّم لسانه، ويكون خير يومه أمسه... وغصبني ثوب الإحسان واستبدلني به لباس الحرمان، ورماني بين حزب الشيطان في دار الكفر والطغيان، أخدم النصارى العصيان".[105]

راسل الداي "أحمد حاجي بن الحاج" سنة 1696، مجلس الدولة الإسباني *(Consejo el Estato)*، يخبره فيها عن بلوغه أخبار تؤكد معاناة مواطنيه: "إن الآباء الاسبان يقومون بإزعاج أسرانا الموجودين تحت حمايتكم، وعندما يمرض الأسرى، فإن الآباء السابقين يخدعونهم للتخلي عن دينهم، ويفرضون على فرساننا المسلمين التحوّل إلى المسيحية... وسمعنا أن الآباء الاسبان، يأخذون أسرانا باللّيل عند احتضارهم، ويرمونهم من فوق جدران القصور، وآخرون يطوّقون بالحجارة في انتظار رميهم في البحر، وأما البعض الآخر فيترك في أكثر الشوارع قذارة، ونحن نراسلكم ونسألكم لما تفعلون هذا".[106]

قارن الداي بين المعاملة التي يتلقاها الأسرى المسلمون، مع تلك التي يتلقاها الأسرى المسيحيون بالجزائر: "نحن نعامل أسراكم في هذا البلد مثل التابعين (المواطنين)، دون منعهم

---

[105] محمد القيسي، مفتاح الدين في المجادلة بين النصارى والمسلمين من قول الأنبياء والمرسلين والعلماء الراشدين، المكتبة الوطنية الجزائرية، مخطوط رقم 1557.

[106] Daniel Bernardo Hershenzon, op.cit, p.100.

من الذهاب لكنائسهم، وانظر لكهنتكم، عندما يمرض الأسرى، يقومون بجلبهم إلى المستشفى". وأكد للمجلس أنه في حال عدم التدخل، فإنه سيقوم بنفس المعاملة: "ومن أجل ذلك راسلناكم كصديق، لكي لا تقولوا فيما بعد أننا لم نتلقى أي تحذير... لأننا سنفرض نفس المعاملة والأعمال على الآباء وكل الأسرى الموجودين في مملكتنا... وسنحطم المستشفيات... ونجبر كل الأسرى المسيحيين على الدخول في الاسلام".[107]

واعتبر بلايك *(Blake)* في بحثه حول العبودية، "أن أعظم تسامح هو ذلك الذي يمتد لتأدية الطقوس الدينية للأسرى في الجزائر؛ فأعظم أربعة احتفالات للكنيسة الرومانية: عيد الميلاد، عيد الفصح، مولد القديس جون والعذراء، تعتبر أعيادا مقدسة بالنسبة للأسرى. لقد قرأنا أن مالكي الأسرى النافذين يقومون باستئجار كاهن خصيصا لراحة الأسرى الروحية وبالنسبة للملاك الآخرين، فإنهم يأخذون أسراهم بانتظام، مرة في الأسبوع للاعتراف في الكنيسة".[108] ويعتبر بلايك أن الجزائريين أظهروا اهتماما بالعبد المتدين، عن غيره من العبيد الأقل تديّنا. "فالمسيحية" كما تعودوا القول، "أفضل من رجل لا يملك دينا أصلا". كما أنهم ليسوا متحمسين لتحويل عبيدهم، "مسيحيّ سيء... لا يمكن أن يكون مسلما جيّدا". إن العبيد ذات السيرة الحسنة وحدهم، من يستقبلون في المجتمع الاسلامي. والكهنة المأسورين يعاملون باحترام، لا يرسلون إلى الأعمال الشاقة، بل يسمح لهم بالانضمام إلى المنازل الدينية المنشأة في الجزائر. أما الأطفال فيتم تحويلهم إلى الاسلام، ويمنحون إلى العائلات، ويصبح هذا الطفل أحد الورثة الشرعيين للمالك.[109]

وعكس الجزائريين؛ فإن الإسبان كانوا يقومون ببيع الأطفال المأسورين كعبيد في الأسواق، "ففي سنة 1660 اعترف كريستوفال دي كروز أمام عضو المجلس المقدس لمحكمة

[107] Daniel Bernardo Hershenzon, op.cit, p.100.

[108] Blake William.O, The History of Slavery and the Slave Trade, Ohio: H. Miller, 1860, p.79.

[109] Ibid.

التفتيش، فيراكروز بالمكسيك، أن الشك يرواده حول الديانة الكاثوليكية. ولد كريستوفال بالجزائر، وتم أسره عند بلوغه سن التاسعة أو العاشرة من طرف سفينة اسبانية، وأخذ لإسبانيا حيث تم بيعه بسرعة في السوق وعمّد.[110]وأكد كريستوفال أنه التقى على جزيرة سانتا دومنغو (بالقرب من هايتي) مسلما يدعى عبد الرحمن، والذي أكد شكوكه حول الكاثوليكية. وادعى كريستوفال أنه تحدث مع عبد الرحمن، الذي لم يعمّد، ويشتغل كطباخ في سفينة موجوده على الساحل، تدعى ماريا المسيح، وقال له عبد الرحمن: "إن كانت تعتريك كل هذه الشكوك؛ فلماذا أصبحت مسيحيّا إذا".[111]

وتؤكد بعض الوثائق أن المسلم، في حال دخوله المسيحية، يطلق سراحه مباشرة، حيث يعيش "كفرد مسيحي"؛ فمثلا: "في سنة 1685، منح الملك الفرنسي الحرية لأحد العبيد المسمى نسان الجزائري *(Nassan)* لأنه تخلى عن ديانته ليصبح مسيحيا، ولقب باللازاري *(Lazare)*.[112]

استخدم الاسلام في أوربا خلال الفترة الحديثة، من طرف البروتستانت كمذهب جدلي ضد الكاثوليكية، الكويكرز، المارمونز[113]، والطوائف الأخرى. فمثلا: هاجم العَالِمُ الكاثوليكي روجر ويليام (1603-1684)، أحد قادة المذهب الكويكرزي جورج فوكس (1624-1691) ناعتا إياه ب"هذا محمد الجديد".[114] إن الصورة الهمجية التي حاول الكتاب

[110] Karoline P. Cook, "Navigating Identities: The Case of a Morisco Slave in Seventeenth-Century New Spain", The Americas, Vol. 65, No.01, (Jul., 2008), p. 63.

[111] Ibid, p.68.

[112] Zuzana Wilcox, Charity and Social Reform: Civic Virtue, Spiritual Orthodoxy, and Local Identity in Seventeenth-Century Marseilles, A Thesis for the Degree Doctor of Philosophy, McMaster University, July 2012, p.220.

[113] المرمونز Mormons : طائفة أمريكية أنشأها جوزيف سميث 1805-1844، ادعى فيها أنه كُلّم من قبل المسيح عيسى عليه السلام، وملك يسمى موروني. ينظر: "Mormons", The History of Science and Religion in the Western Tradition: an Encyclopedia, New York: Garland Publishing, Inc., 2000.

[114] Thomas S. Kidd, "Is It Worse to Follow Mahomet than the Devil?", Early American Uses of Islam, Church History, Vol.72, N°.04, 2003, p.767-768.

الأوربيين تصويرها للإسلام، امتدت إلى الأسرى؛ فالأسير جون فوس كتب في روايته: "إن لباسهم ولحاهم الطويلة، تجعل منهم وحوشا أكثر منهم مخلوقات إنسانية". أما الأسيرة إليزابيث برادلي *(Eliza Bradley)*؛ فقالت أن الرجل الغريب الذي أرسله زوجها لتحريرها من الجزائر: "على الرغم من سمرة بشرته؛ لا يختلف عن مظهر عربي همجي".[115]

يخبرنا بلايفر أنه في سنة 1667، دخل قسيس إسباني إلى أحد المساجد البارزة بمدينة الجزائر، وهاجم الديانة الاسلامية بعنف، ما جعله يحرق حيّا؛ وأكثر من هذا "يشوى" يومين بعد هذا الحادث.[116]وتطلعنا إحدى الرسائل التي كتبها الأب الفرانسيسكاني ألونسو المسيح *(Alonso de Jesus)*، في جانفي 1663، إلى المجلس الأراغوني، أكد فيها "أن الديوان الجزائري أمر بحرق كل الكهنة والصور (المتعلقة بالمسيح المعلقة بالسجون)، وهدم كل الكنائس الموجودة بالمدينة".[117] لكن الأمر الذي أصدره الديوان، جاء بعد وصول رسالة إلى الداي من قبل مجموعة من الأسرى المسلمين بالأندلس، يطلعونه فيها "أنه تمّ إيقاف ستة أسرى مسلمين من ميناء سانتا ماريا بالقرب من قادس، وواحد من الأندلس، بعد أن تم دفع فديتهم". كما أضافوا "أن المسيحيين يقومون بتدنيس أجساد الموتى المسلمين في منطقة سانلوكار دي بارميدا *(Sanlúcar de Barrameda)*.[118]

هاجم العديد من الكتاب الأوربيين، الرهبان وطريقتهم في تضخيم صورة "المسلمين" في المجتمعات الأوربية، "وقد كان دارفيوكس واضحا جدا في هذه المسألة، عندما أشار إلى أن العامة يعتقدون أن العبيد المسيحيين يعانون الظلم والتعذيب اللاإنساني؛ بعدها لقّب الرهبان ب"الأكاذيب التقية" *(Pious lies)*، التي كانت تستهدف تشجيع المساعدات، وأكد أنه هو نفسه كان مخطئا في نظرته، إلى غاية زيارته تونس، أين رأى العبيد يعاملون بلطف".

[115] M. El-Moctar El-Shinqiti, Early American Perceptions of Muslims, p.17-18.

[116] Plyfair, op.cit, p.90.

[117] Daniel Bernardo Hershenzon, op.cit, p.107.

[118] Ibid.

وبنفس الطريقة هاجم الالماني ريهباندر *(Rehbinder)* الآباء، بعدما قرأ عن الاعمال السابقة حول مدينة الجزائر، حيث كان قاسيا على الآباء الكاثوليك وكتاباتهم المتعصبة. وعلق لاكوندمين *(La Condamine)* "لا يعاني العبيد من سوء معاملة"، وحتى ديسفونتان *(Desfontain)* وبايسونيل *(Payssonnel)* أشارا إلى "الحرية الدينية التي يتلقاها العبيد في الجزائر".[119]

إن أغلب الأسرى، حاولوا رسم صورة مثالية لأنفسهم، كونهم استطاعوا الحفاظ على ديانتهم؛ رغم الابتزازات التي كانوا يتعرضون لها من طرف الجزائريين: "لقد رأيت ضعاف القلوب، يتخلون عن مسيحيتهم... إن البعض منهم [الجزائريون] كانوا يترجونني لأتخلى عن دياني، وأصبح واحدا منهم"[120] كتب ديدجون.

إجمالا فإن الجزائريين أظهروا احتراما كبيرا للكهنة والديانة المسيحية، علّق غراسيان "أنه دائما ما كان يتفاجأ من الاحترام الذي كان يبديه الأتراك لرجال الدين الاسبان... وفي كل مرة يدخل فيها الاتراك كنيسته يقدمون بعض الفكة".[121]

ب- كنائس الأسرى بمدينة الجزائر:

إن كل سجن، كان يضم كنيسة أو مصلى صغير، مخصص للأسرى من أجل إقامة قداسهم، وتمتلئ هذه السجون في الأعياد عن آخرها لدرجة أن المصلين كانوا يصطفون خارجا، ويصف هايدو الوضع قائلا: "تصبح الأماكن مكتظة أيام الاحتفالات الدينية، ففي بعض الأحيان كان يتوجب إلقاء القداس في الخارج، وفي هذا اليوم لا يدع الحراس (الأتراك) أي شخص يمر دون أن يدفع صائمة واحدة للدخول إلى المصلى، وهذا ما يجلب لهم مداخيل كبيرة".[122] وكانت الكنيسة تضم كل المذاهب الدينية المسيحية، حيث يسمح

---

[119] Ann Thomson, Barbary and Enlightenment: European Attitudes towardes the Maghreb in the 18th Century, Netherlands: Brill, 1987, p.27-28.

[120] Mathew Dudgeon, op.cit, p.09, 83.

[121] Ellen G. Friedman, “The Exercise of Religion by Spanish Captives in North Africa", op.cit, p.24.

[122] Haedo Fray Diego, Topographie…, op.cit, p.203.

للأسرى بممارسة شعائرهم الدينية كل على حسب مذهبه... وفي أيام الأعياد، خاصة عيد الفصح ورأس السنة تقام احتفالات ضخمة؛ وبهذه المناسبة يقدم القنصل الفرنسي العشاء يوم الأحد، والإنجليزي يوم الاثنين، والسويدي يوم الثلاثاء، أما الهولندي ففي بقية الأيام الأخرى.[123]وخلال هذه المناسبات يقوم الأسرى بالاستماع إلى موسيقاهم المعزوفة بآلة القانون والماندولين...ولم تنحصر هذه الاحتفالات في البانيو فقط، بل تمتد إلى المدينة، حيث لاحظ الأب غراسيان أن عيد مولد المسيح في تونس، يحتفل به أكثر من مولد "محمد".[124]

ولم تكن الكنائس الموجودة في السجون، مقتصرة على المذهب الكاثوليكي، "فالأسرى الذين كانوا يتّبعون المذهب الأرثوذكسي اليوناني، كانت لهم كنيسة في أحد سجون الجزائر"[125] وألحق منزل الأب المسؤول عن المذهب الأرثودوكسي بكنيسة السجن، حيث يسمح للأسرى وتجار هذه الطائفة، بتأدية طقوسهم بحرّية تامة.[126] وحتى طائفة الكويكرز وعلى قلة أسراها كانت لهم الحرية في إجراء طقوسهم الدينية، كتب أحد أعضائها سنة 1683: "نحن ندرك أن الأصدقاء (الكويكرز) حافظوا على لقاءاتهم في الجزائر".[127]وجاء في تقرير مؤرخ بـ10 جانفي 1675: "إن البروتستانت لديهم أيضا مكان للصلاة، حيث تؤدى في منزل قنصلكم الإنجليزي، من طرف عدة جنسيات: إنجليزية هولندية وألمانية".[128]وهذا ما أكدته المعاهدة الإنجليزية الجزائرية 1682: "أن يكون (القنصل) له مكان للصلاة، دون أن يعترضه أي إنسان بكلام أو فعل".[129]وفي نفس الفترة فإن الأسرى المسلمين المجدفين، على السفن الفرنسية، كانوا ممنوعين من ممارسة طقوسهم الدينية.[130]

---

[123] Playfair, E. L, op.cit, p.10.

[124] William E. Wilson, op.cit, p.494-495.

[125] Payssonel , Jean - André, Voyage dans les Régences de Tunis & d'Alger, Vol.01 Paris: Libraire de Gide, 1838, p.458.

[126] Josef Morgan, History of Piratical…, op.cit, p.235.

[127] Account of Slavery of Friends…, op.cit, p.09.

[128] Nabil Matar, Britain and the Islamic World…, op.cit, p.95.

[129] Articles of Peace…, op.cit, p.15.

[130] Norman Robert Bennett, "Christian and Negro Slavery in Eighteenth-Century North Africa", The Journal of African History, Vol.01, N°.01, 1960, p.77.

إن أول كنيسة تمّ تأسيسها بمدينة الجزائر، كنيسة سانتا كروز بالسجن الكبير 1551 من طرف الأب سباستيان دل بويرتو *(Sebastián del Puerto)*، التابع لمنظمة الثالوث المقدس، وخلال نفس الفترة أنشأت كنائس أخرى أيضا في سجون المدينة؛ خاصة مع وجود حاكم معتدل كحسن باشا.[131]

كانت تعتمد هذه الكنائس في عائداتها، أوليا على الأموال المجموعة في الجزائر. وأهم مصدر من هذه الأموال تلك الضريبة المفروضة على أصحاب الحانات، حيث يجب عليهم تسديد نسبة عن كل كيس يُصنع من الخمر ؛ أما المصدر الآخر الأكثر أهمية، هي الأموال المجموعة من الأسرى؛ حيث يسمح لكل راهب في كنيسة السجن، أن يجمع الأموال من أسرى السجن الذي تتبع له الكنيسة. إن العديد من الجزائريين والأتراك يمنحون هدايا للكنائس، على شكل شموع وزيوت لإضاءة الفوانيس، "لاحظ أحد الفرانسيسكانيين خلال القرن السابع عشر، أن زينة الكنائس الموجودة في السجون الجزائرية، بالشموع وزيوت الإنارة باهضة الثّمن، بحيث لا توجد كنيسة في إسبانيا بهذه العظمة".[132]

وخلال الثلث الأخير من القرن السابع عشر، كان يوجد بالسجون الجزائرية ما لا يقل عن ستة كنائس. وكل كنيسة من هاته الكنائس كنت تضم على الأقل راهبا واحدا.[133] يضاف إلى هذا أن كل المناطق الاسلامية، كانت تضم مقابر لدفن الموتى المسيحيين.[134]وكانت توجد المقبرة المسيحية بالجزائر، قرب "باب الواد؛ حيث أنها استمرت موجودة حتى بعد القصف الإنجليزي للجزائر سنة 1816".[135]

---

[131] Ellen G. Friedman, “The Exercise…", op.cit, p.24.

[132] Ibid, p.27.

[133] Ibid, p.28.

[134] Nabil Matar, Britain and the Islamic World…, op.cit, p.94.

[135] Plyfair, op.cit, p.308.

أحصى أحد الملاحظين الإسبان أوائل القرن الثامن، "وجود ثلاثة كنائس بكلّ من الجزائر، وكنيستين في طرابلس الغرب، وواحدة في المغرب". لقد شهد عدد الكنائس انخفاضا في الجزائر؛ نتيجة لانخفاض عدد السجون، كون كل السجون كانت تضم على الأقل كنيسة واحدة.

ج- الوضعية الدينية للأسرى المسلمين بأوربا:

أسس البابا بول الثالث *"Casa dei Cataimen"* سنة 1543، مهمتها تعليم وتحضير المسلمين واليهود، الراغبين في اعتناق المسيحية عن طيب خاطر.[136]

وأجازت الكنيسة البابوية عملية المتاجرة بالأسرى المسلمين؛ وتحويلهم إلى عبيد وبيعهم في الأسواق الإيطالية، "وذلك بموجب براءة بابوية وقعها البابا بول الثالث (باولو فريزي)، بتاريخ 08 نوفمبر 1548، ونشرت في سجل القرارات البابوية بتاريخ 12 جانفي 1549، تحت عنوان *(Banda Sopra at tenere Schiavi e Schiave in Roma)* تجيز شراء واحتجاز العبيد نساء ورجالا، دون أي إعاقة من أي شخص.[137]

واستكمالا لقرار البابا بول الثالث، أصدر البابا بيوس الرابع، براءة بابوية جديدة نصت على إنشاء بيت جديد لتنصير الأسرى المسلمين إلى جوار البيت الأول، وسمي بيت الدير*"Casa Monastro"*، وقد تم تخصيصه لإيواء النسوة الأسيرات اللاّئي نصرن وأسندت مهمة الإشراف على الدير إلى مجموعة من الراهبات هن أخوات القديس دومينيك.[138]

[136] Le baptême des musulmans esclaves à Rome aux XVIIe et XVIIIe siècles. Le XVIIIe siècle", Mélanges de l'Ecole française de Rome. Italie et Méditerranée, T.101, N.01. 1989, p.12.

[137] De Collenberg Wipertus Rudt, op.cit, p.09.

[138] إبراهيم سعيود، "من تراث الأسرى الجزائريين في إيطاليا خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر"، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع01، ديسمبر 2006، ص73.

وتولى إدارة بيت التعميد مدير برتبة كاردينال، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على مدى أهمية هذه المؤسسة من الناحية الدينية، وكذلك من الناحية السياسية لأن البابا هو نفسه من يتولى تعيين مدراء هذا البيت، وذلك منذ تأسيسها في نوفمبر 1543، بمقتضى قرار البابا بول الثالث وإلى غاية 1771.[139]

ويبيّن الجدول التالي عدد الأسرى المسلمين الذين عمّدوا خلال حكم بعض الباباوات 1605-1700:[140]

«الأسرى المسلمين المعمدين بايطاليا 1605-1700»

الباباوات	المعمدين	الباباوات	المعمدين
بول الخامس (1605-21)	72	كليمانت التاسع (1667-69)	19
غريغوار الخامس عشر (1621-23)	43	كليمانت العاشر (1670-76)	55
إيربان الثامن (1623-44)	201	أنوسنت الحادي عشر (1676-89)	138
أنوسنت العاشر (1644-55)	87	أليكساندر الثامن (1689-1691)	10
أليكساندر السابع (1655-67)	88	أنوسنت الثالث عشر (1691-1700)	56

ونجحت الكنيسة في تعميد 308 "تركي" بفلورنسا بين سنتي 1599-1724، منهم 183 رجل و 125 امرأة.[141] ولكن ما يلاحظ أن التعميد لم يكن مفروضا في فرنسا، باعتبارها حليفة للدولة العثمانية، وحتى نظرتها إلى الأسرى كانت تقوم على مبدأ استراتيجي، هو توسيع أطماعها في العالم الجديد، ودعم بحريتها بمجدفين مسلمين.

[139] إبراهيم سعيود، الأسرى المغاربة في إيطاليا خلال العهد العثماني، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث، تحت إشراف عائشة غطاس، جامعة الجزائر 02، 2009-2010.

[140] De Collenberg Wipertus Rudt, op.cit, p.25.

[141] Samuela Marconcini, "Battesmi di "Turchi" a Firenze in Età Moderna", Annali di Storia di Firenzi, Vol.07, 2012, p.99.

ونفس الشي كان يحدث في إسبانيا مع الموريسكيين والمغاربة؛ ويقول أحد الباحثين الإسبان: "إن أغلب المغاربة كان لهم إيمان ديني قوي، حيث أنهم حتى وبعد إجبارهم على التعميد والتحول إلى الكاثوليكية، يبقى العديد منهم على أفكاره الإسلامية؛ مثل حالة آرزيو سانشو سنة 1548، الذي صرخ قائلا: "أنا ضد الرّب ولا أؤمن به، وأنا من بلاد المغرب الإسلامي *(Berberia)*، وإذا كان قريبا (الرّب) سأصبح مغربيا وأرفض تعميدي".[142]

ونشر أحد البرتغاليين الدومينيكانيين "داميان فونسيكا"، رسالة (النصيحة) باللغة الإيطالية تبيح طرد الموريسكيين؛ وترجمت إلى الكاستيليّة سنة 1612، "حيث اقترح أن الله يتوقع من السلطة الكاثوليكية، أن تقوم بمحرقة ترضي عقابه الإلاهي، ومصطلحه كان *"El Agredable Holocausto"*، المحرقة المقبولة.[143]

وكان الهدف الأساسي للكنيسة الإسبانية، هو تعميد الأطفال الموريسكيين والمسلمين وذلك ما أقره مجلس الدولة في 01 سبتمبر 1609، حيث أن كل الأطفال الذين لم يتجاوزوا العشر سنوات، سيبقون في اسبانيا ويتلقون تعليما من طرف الرهبان، أو المواطنون الذين هم محلّ ثقة الكنيسة، ويوجدون في الكنيسة منذ 20 إلى 30 سنة[144] وقد أصبح هذا القانون محل التنفيذ، فمن بين المغاربة الذين تمّ تهجيرهم من أليكانت والأندلس (6 أكتوبر–7 نوفمبر) 1609، فقدت العائلات 14.000 طفل. وفي وثيقة مؤرخة بتاريخ 17 أفريل 1610، كان هناك 1832 طفل مغاربي أرسلوا غصبا لخدمة الكهنة ونبلاء مملكة الكاستيل... وفي جويلية 1610، أعلنت الكنيسة أن كلّ الأطفال الذين هم فوق 7 سنوات بمدينة فالنسيا، يجب أن يباعوا كعبيد إلى كبار المسيحيين.[145]

---

[142] Andrés Acosta González, "Moriscos e Inquisición en Canarias Durente el Siglo 16", Revista de la Facultad de Geografia e Historia, N.04, 1989, p.47-48.

[143] Damián Fonseca, Justa Expulsión de los Moriscos España, Lacoma Mascarado, 1612, p.154.

[144] Pascual Boronat, Borrachina, Los Moriscos Españoles y su Expulsión, Vol.02, Valencia: Real Colegio de Corpus Christi, 1901, p.521-552.

[145] Pascual Boronat, Borrachina, op.cit, p.575.

إن عملية التعميد كانت عملية روتنية، تمارسها الكنيسة الكاثوليكية ضد المذاهب غير كاثوليكية؛ فحتى إن كان الأسير بروتستانتيا، يفرض عليه التعميد مثلما حدث مع الأسير هاسليتون الذي عمّد إجباريا. فالحمية الدينية في الجزيرة الإيبيرية، كانت تضاهي نظيرتها في إيطاليا؛ باعتبار أن الاسبان كانوا يعتبرون أنفسهم، الرعاة الحقيقيين للمذهب الكاثوليكي.

ويوضح الجدول التالي أن الأسرى المعمدين في إيطاليا، لم يكونوا مسلمين فقط؛ بل منهم من كان يتبع لمذاهب مسيحية غير كاثوليكية (1769-1798):[146]

«جنسيات الأسرى المعمدين في ايطاليا 1769-1798»

المنطقة	1769-1798	المنطقة	1769-1798
القسطنطينية	06	الجزائر	08
الأناظول	01	تونس	19
مصر، سوريا	02	طرابلس	09
تركيا الأوربية	--	المغرب	02
اليونان	03	رومانيا	03
كرواتيا	04	أمريكا	03
إفريقيا السوداء	04		

[146] De Collenberg Wipertus Rudt, op.cit, p.527.

ويعطي لنا الجدول التالي جنس وعمر المسلمين الذين تم تعميدهم في إيطاليا خلال القرن الثامن عشر:[147]

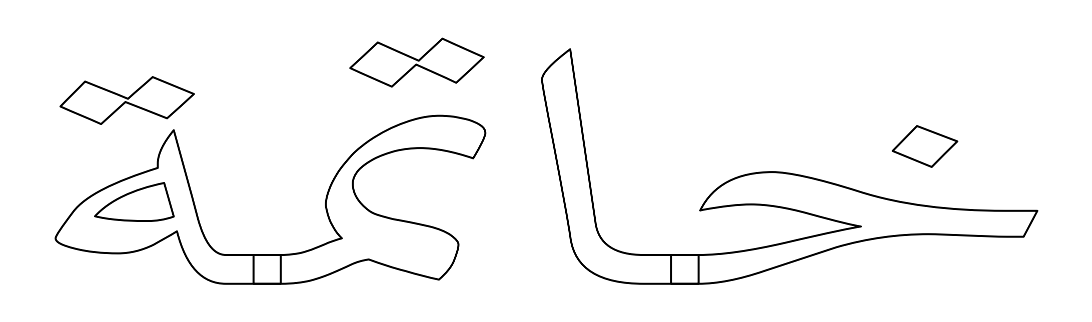
«عمر وجنس الأسرى المعمدين في ايطاليا خلال القرن 18م»

الأعمار	الرجال	النساء
حتى العشر سنوات	06	06
10 - 19	54	03
20- 30	116	09
30- 39	71	03
40- 49	24	01
50- 59	11	--
60- 69	06	--
70- 79	01	--
المجموع	289	22

يوضّح الجدول السابق أن عملية التنصير كانت موجهة للفئات الصغرى والشبّانية، كونها فئة يسهل التأثير عليها؛ أو استمالتها للتخلي عن دينها؛ والمساهمة فيما بعد في حمل مشعل التنصير للأسرى المسلمين الجدد؛ عكس الفئات الكبرى التي أصبح من الصعب إغراؤها بحمل دين جديد. كما أن الجدول يؤكد أن عدد الرجال المعمدين كان أكثر من النساء؛ بنسبة وصلت إلى 92.92% مقابل 7.08% للنّساء؛ ويمكن أن نرجع سبب قلة عدد النساء الأسيرات، لقلة تنقل النساء في البحر عكس الرجال.

[147] De Collenberg Wipertus Rudt, op.cit, N.02, p.523.

إن وضعية الأسرى في الجزائر، كانت مقبولة إلى حد بعيد، فالأسرى لم يجبروا أبدا على التخلي عن دينهم نظرا للعامل الاقتصادي والمادي، الذي كان يعود سلبا على المالك والدولة؛ فالمالك دائما ما كان يرى أن دخول الأسير في الإسلام، هو عبارة عن خسارة مادية ، باعتبار أن تحول الأسير لن يعود عليه بالفائدة، أكثر من وجوده أسيرا. واستمر الأسرى في الحصول على العلاج مجانا؛ حيث أن وضعيتهم الصحية، كانت تعتبر أفضل مقارنة بوضعية السكان المحليين.


خاتمة

يعتبر القرن الثامن عشر، أكثر العصور ميكيافلية، وتجليا واضحا للتنوير الذي تأثرت به النخب الأوربية بشكل عام، وبدأ ينتقل هذا التأثر بشكل تدريجي لعامة المواطنين؛ كل هذا أثر على نشاط الكنيسة والدعاية التي كانت تنتهجها الكنيسة ضد الديانات والمذاهب غير مسيحية. وأنتج الوضع عصر جديدا للكتابة حول الاسلام، أكثر تسامحا وأقل تعصبا مثل أعمال: جون لوك، ريهبايندر، لوتاسي وشاو...وغيرهم.

إن المتأمل في تراجع قوة البحرية الجزائرية أواخر القرن الثامن عشر، سيرجع تأخرها إلى عدم مواكبة الدايات للتطور العلمي السائد في أوربا؛ حيث أن البحرية الجزائرية استمرت في استخدام سفن الغليارة، الشباك والغراب...إلخ كسفن رئيسية في البحرية الجزائرية، في حين أن هذه السفن كانت تستخدم في أوربا للصيد البحري؛ لكن نظرة سريعة حول أوضاع البحرية الجزائرية، يؤكد أن القوى الأوربية الكبرى طورت نوعا جديدا من السفن يدعى السفن العالية *(Ship of line)*، التي كان يكلف بناء واحدة منها مبالغ مالية ضخمة استنزفت طاقات الدول الكبرى، فما بالنا بدولة صغيرة مثل الجزائر، والتي لم تكن ميزانيتها السنوية لتبني حتى سفينة واحدة من هذا النوع.

إن الجزائر كقوة بحرية أواخر القرن الثامن عشر وحتى سقوطها سنة 1830، كان يمكن إسقاطها من قبل فرنسا وبريطانيا، لكنها جُعلت كسوط ضد الدول الأوربية النامية مثل السويد التي كان يحتل اقتصادها المركز الخامس أوربيا، ويشهد تطورا مستمرا كان يهدد اقتصاد الدولتين، وكذا الولايات المتحدة الأمريكية التي دخلت المحيط الأطلسي والبحر المتوسط كقوة نامية مؤثرة؛ وأصبحت تزود أروبا بما نسبته 4/1 من استهلاكها من القمح. إن الظروف السابقة قللت من التنافس البريطاني الفرنسي على الجزائر؛ فقد كان يمكن إسقاط الجزائر بسهولة خلال هذه الفترة 1800-1830، نظرا للظروف السائدة داخليا، وكذا الفساد

السياسي الذي نخر الأطر السياسية الجزائرية، ودليل الضعف الجزائري هو أن البريطانيين استطاعوا غلق الساحل الجزائري مدة 6 أشهر، بواسطة سفينتين عاليتين.

إن قضية الأسر، ظاهرة طغت على البحر المتوسط خلال الفترة الحديثة، ولا يمكن فصلها من منظومة تميّز بها العصر، فالأسرى الذين وقعوا في يد الطرفين يمكن إدخالهم في إطار أسرى الحرب.

وتميّز العصر الحديث بظاهرة فريدة، فالأسرى البيض الذين وقعوا في يد المسلمين، كانوا "أسرى تبادل" –أي أن الأسير كان يقوم بنفس الأعمال التي يقوم بها العبد؛ لكنه في المقابل كان لدية الأمل في الحصول على الحرية غالبا، عكس العبد الأسود في أمريكا أو أوربا الذي لم يكن يأمل الحصول على حريته، باعتباره "ذا قيمة للاستعمال"؛ ولهذا يمكن أن نلحظ أن الاسير كان يمثل جزءا من ثروة سيده، ما كان يدفعه للمحافظة عليه، أملا في بيعه؛ عكس العبد الذي كان يموت في العبودية.

إن الحرية الدينية للأسرى، منحت لكل الطوائف المسيحية دون تمييز (أرثوذكس، كاثوليك، بروتستانت، والكويكرز...إلخ). ويمكن أن ندخلها في إطار المنظومة التكاملية التي كانت تعيش فيها الدولة العثمانية إجمالا؛ فالتسامح الديني يمثل جزءا من التطور المنظوماتي للدولة نفسها، حيث لا يمكن فصله عن التطور الاقتصادي، الاجتماعي، الثقافي والفكري. والدليل أن العديد من كتاب العصر، أشاروا إلى أن الكنيسة الرئيسة بالسجن الكبير بالجزائر كانت مجهزة تجهيزا أفضل مما كان عليه حال الكنائس الكبرى في إسبانيا؛ إضافة إلى الحرية الدينية التي كانت ممنوحة للطوائف الأخرى، للممارسة طقوسهم بكل حرية.

ساهمت "القرصنة" بشكل مباشر في تطوير الأسر، حيث كانت السبب المباشر في وقوع أسرى. وشجعت الحمية الدينية عمليات الأسر؛ فكانت مرغوبة عندما تمارس ضد أعداء الدين، وتدخل في إطار الحرب المقدسة.

إن عملية إحصاء الأسرى التي قدمت سابقا، تعبّر عن شهادات حملت الكثير من اللاّمصادقية، كونها لا تتعلق بتقارير أو إحصاءات رسمية، وإنما مثّلت ملاحظات لرحالة وأسرى عاشوا في الجزائر؛ وبهذا فإن كثيرا منها حملت التضخيم في طيّاتها، خدمة للكنيسة والسلطة الرسمية، من أجل الاسراع في عمليات التحرير، وكسب تعاطف الجماهير.

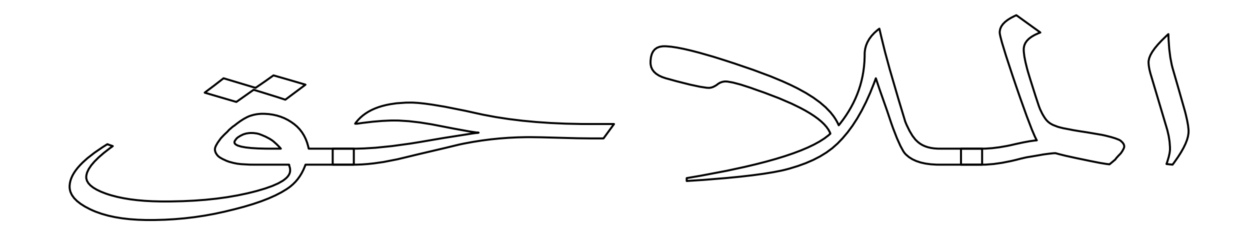
شهدت الحياة الصحية الخاصة بالأسرى، تطورا ملحوظا، مقارنة بوضعية السكان المحليين فالمستشفى الاسباني العام الخاص بالأسرى، لم ينقطع عن استقبال أطباء من أوربا على طول العهد العثماني؛ ففي الوقت الذي كان التطبيب بالشعوذة ينخر تفكير العامة من السكان الجزائريين، فإن الأسرى المسيحيين حصلوا على أفضل رعاية صحية توفرت في الجزائر خلال هذه المرحلة، ووضعيتهم الصحية قورنت بما تحصل عليه الدايات ومسؤولوا الدولة أنفسهم؛ فنفس الأطباء المسيحيين الذين عالجوا الحكام، كانوا يقومون بعلاج الأسرى.

إن الملاَحَظَ عند دراسة قضية الأعلاج، يرى أن أغلب المصادر الأوربية، أرجعت سبب دخولهم في الإسلام والعمل كبحارة، للدافع الجنسي والمادي، الذي طغى على رغبات المتحول؛ لكن عند التدقيق في الأمر، سنفاجئ بالشراسة التي دافع بها متحولون للإسلام عن الاسلام، حتى أن الكثير منهم ماتوا وهم يدافعون عن الراية العثمانية. وفي المقابل فقد شهد العصر الحديث هجرات كبيرة لسكان أوربا الشمالية باتجاه شمال إفريقيا، كملجأ من الاضطهاد الديني والسلطة؛ وحتى حياة الفقر التي كان يقبع فيها المئات من الأوربيين، حيث رأوا في الهجرة حلا لبدأ حياة جديدة بالجزائر.

إن "القرصنة" من الناحية القانونية لم يتم تمييزها؛ إلا في الفترة المعاصرة من قبل الباحثين المختصين؛ وقسموها إلى نوعين: قرصنة مشروعة *La Course*، وقرصنة غير شرعية *La piraterie*، وبهذا فالقرصنة التي كانت تصدر عن أطر رسمية، هي في العادة قرصنة مشروعة، كانت توجه ضد أعداء الدولة، وتدخل جميع الغنائم التي يتم حجزها في

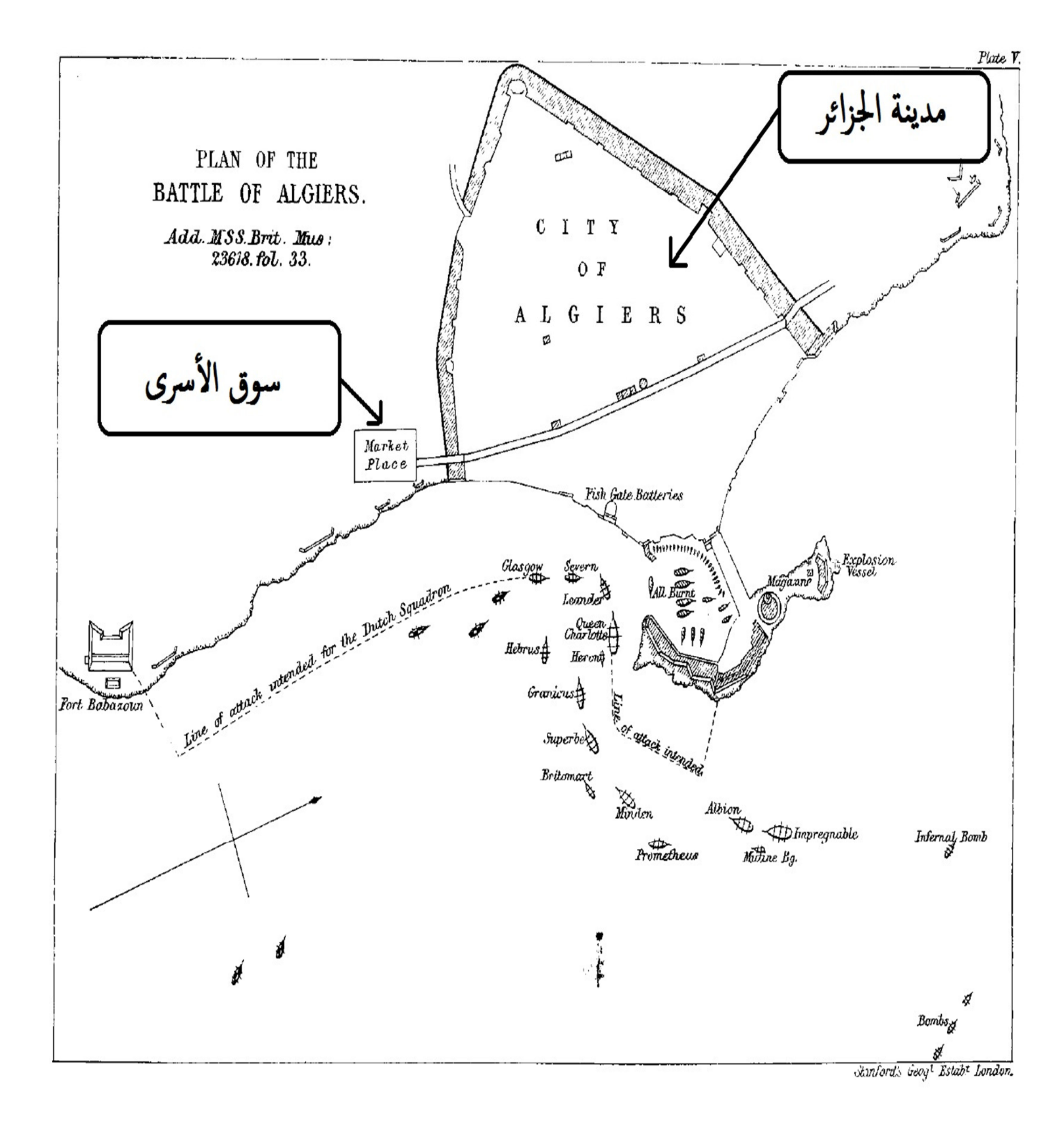
إطار الغنائم الشرعية؛ أما القرصنة التي كان يمارسها "قراصنة" مستقلون عن الدولة، فكانت تعتبر اعتداءات على التجارة الدولية، وفي حال إمساك واحد من هؤلاء القراصنة يعدم مباشرة.

وفي الأخير فإن الحديث عن العلاقات الخارجية للجزائر، يدفعنا بالضرورة للحديث عن الأسرى، كونهم شكلوا محورا مهما في العلاقات الدولية بين الضفة الشمالية والجنوبية. إن أغلب المعاهدات التي وقعت بين الجزائر والدول الأوربية حملت إشارات للأسرى؛ إما بالعمل على تسريع عمليات تحريرهم، أو بتحسين ظروفهم؛ كما أن الكثير من الأزمات الديبلوماسية والسياسية مع هاته الدول الكبرى، كان مردّها وقوع مواطنيها في يد بحارة الجزائر، وفشل المفاوضات لتحريرهم.


الملاحق

الملحق رقم 01:

رسم تقريبي للحملة الإنجليزية على الجزائر 1816



"Plan of the Battle of Algiers", Add MSS.Brit.Mus: 23618.Fol.33. (Playfair, p161)

ملحق رقم 02:

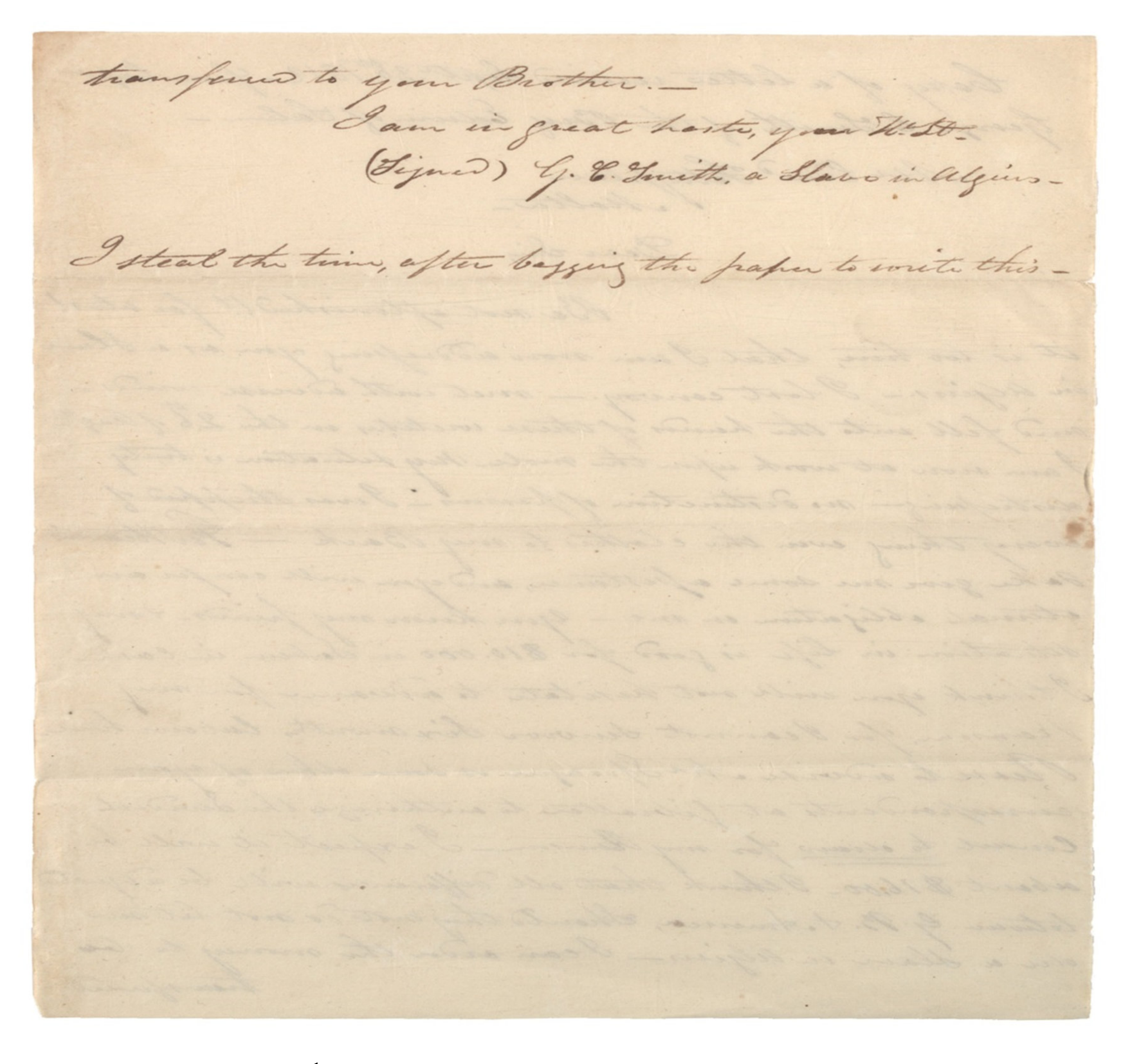
صورة لرسالة أرسلها جورج سميث –أحد أسرى السفينة الأمريكية سالم لإيدوارد فيتبلاين 1812/09/30

Copy of a letter received Sept. 30th 1812 - from Capt.
George C. Smith of the Brig Edwin of Salem -

Mr Edwd Fettyplace
Malta -

Dear Sir,

Be not astonished!! for alas!
it is too true, that I am now addressing you as a Slave
in Algiers. - I lost convoy. - met with adverse winds -
and fell into the hands of these wretches on the 26th of Augt. -
I am now at work upon the mole - My situation is truly
distressing - no distinction of persons - I was stripped of
every thing even the clothes to my Back. - For Heaven's
Sake give me some assistance, and you will confer an
eternal obligation on me - You know my friends - & my
situation in life is good for $10.000 in Salem in Cash -
I think you will not hesitate to advance for my
Ransom, for I cannot survive Six months labour here -
Please to advise Mr Sprague or some other of your
correspondents at Gibraltar to authorize the Swedish
Consul to draw for my Ransom - I expect it will be
about $16.00 - I think that all differences will be adjusted
between G. B. & America, Should they not do not let me
die a Slave in Algiers - I can order the money to be
transferred


transferred to your Brother.—
I am in great haste, your W. St.—
(Signed) G. C. Smith, a Slave in Algiers—

I steal the time, after bagging the paper to write this—

Smith, George C.[1], Copy of letter to Edward Fettyplan [?] re: Smith's status as slave in Algiers 1812/09/30, Manuscript document, Gilder Lehrman Collection: GLC02794

[1] www.slavery.amdigital.co.uk

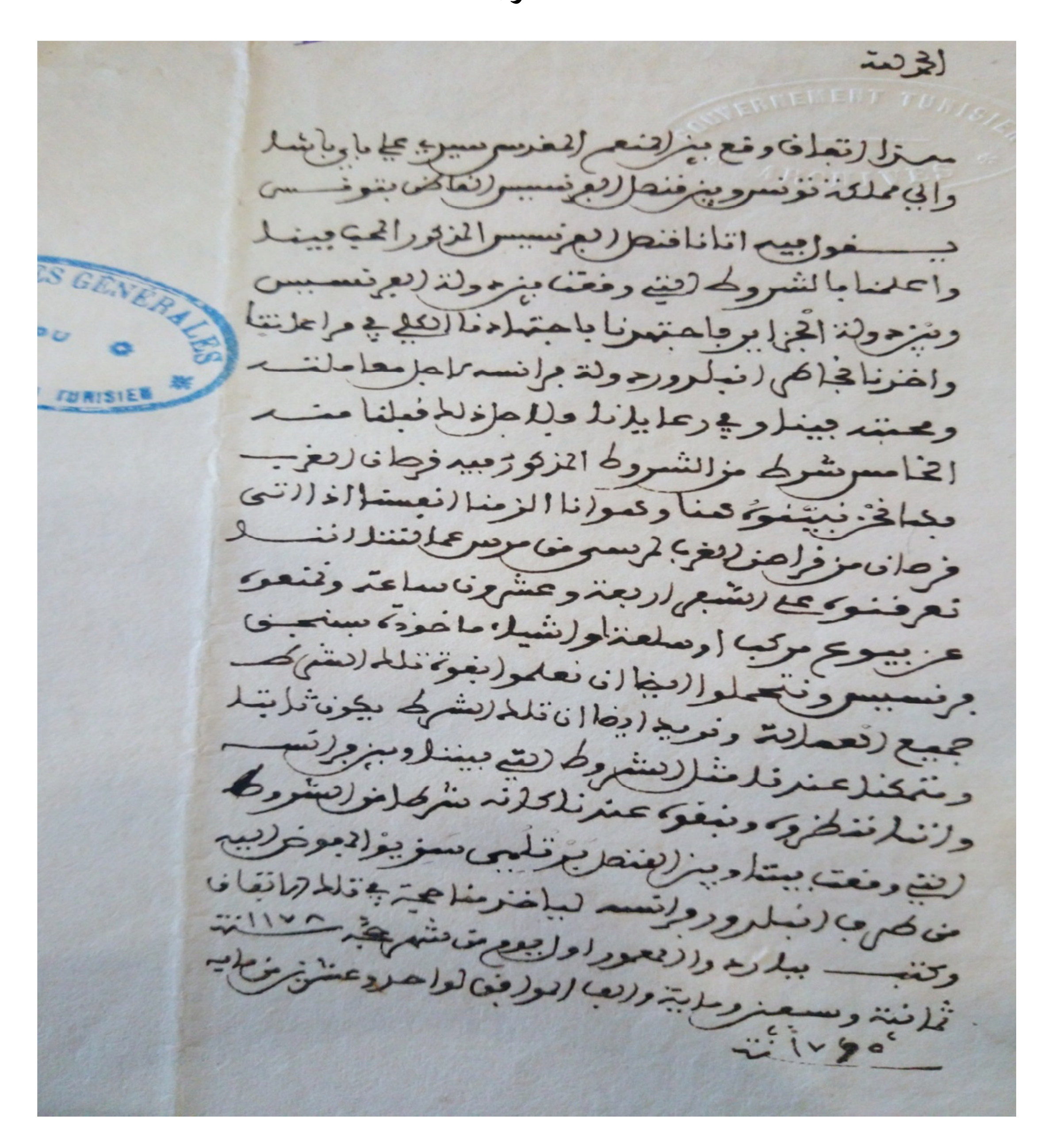
رسالة جورج سميث كاملة:

"Dear Sir, , , Be not astonished !! for alas it is to here, that I am now addressing you as a Slave in Algeria. -- I lost convoy.-- met with adverse winds-- and fell into the hands of these witches in the 26th of Augt I am now at work upon the mole--my situation distressing- no distinction of persons- I was shipped of everything even the clothes to my back. -- For Heavens take give me some assistance, and you will conser an external obligation on me-- you know my kinds -- & my situation in life is good for $ 810 in Salem in cash I think you will not hesitate ro advance for my Ransom for I cannot Survivor [sic] Six months labor here. , Please to advise Mr. Sprajer or done other of you correspondents at Gibraltar to authorize the Swedish Consul to clear for my Ransom.-- I expect it will be about $1600-- I think that all differences will be adjusted between G. B. & American, Should they not [illegible] not let me [illegible] a Slave in Algiers -- I can order the money to be transferred to your Brother. -- , I am in great haste, you W>D-- , (signed) G.B. Smith. a Slave in Algiers".

يخبر فيها جورج سميث أن ريحا عاتية، اعترضت سفينتهم، ما جعلهم يسقطون في يد الجزائريين بتاريخ 26 أوت 1812، وأنه يعمل حاليا على الرصيف، حيث أخذت منه ملابسه وأن وضعيته سيئة كأسير في الجزائر، حيث يرى أن تحريره سيكون حوالي 1600 دولار أمريكي، ويطلب من إيدوارد الاتصال بالقنصل السويدي بالجزائر سبارجر أو أي من معارفه في جبل طارق أملا في تحريره.

الملحق رقم 03:

تصريح بالعمل بالفصل الخامس من الاتفاقية المبرمة بين فرنسا والجزائر بشأن قرصان المغرب



الحمد لله

هذا اتفاق وقع بين الشيخ الفريس سيدي علي باي باشا
والي مملكة تونس وبين قنصل الفرنسيس القاطن بتونس
يقول فيه انا قنصل الفرنسيس المذكور المحب بيننا
واعلمنا بالشروط التي وقعت بين دولة الفرنسيس
وبين دولة الجزائر واجتهدنا باجتهادنا الكلي في مراعاتها
واخبرنا الخاص الانبلرور دولة فرانسه لاجل معاملته
ومحبته بيننا وفي رعايانا ولاجل ذلك فعلنا معه
الخامس شرط من الشروط المذكورة فيه قرصان المغرب
بجانب نبينوه هنا وكموانا الزمنا انفسنا اذا اتى
قرصان من قراصين المغرب لمرسى من مراسي عمالتنا انه لا
نعرفنوه على الشبعي اربعة وعشرون ساعة ونمنعوه
عن بيوع مركب او سلعة او اشياء ماخوذة من سفن
فرنسيس ونتحملوا ايضا ان نعلموا نبغوه تلك الشرط
جميع العمالة ونريد ايضا ان تلك الشرط يكون ثابتا بل
ونتمسكوا عند قدر مثل الشروط التي بيننا وبين فرانسه
وانه اذا نظروه ونبغوه عند ذلك انه شرط من الشروط
التي وقعت بيننا وبين القنصل من تلمي سنزيو الموضح اليه
من طرف الانبلرور وفرانسه ليا خذ منا حجة في تلك الاتفاق
وكتب ببلدة الجزائر اول جمعة من شهر حجة سنة ١١٧٨
ثمانية وسبعين ومائة والف الموافق لواحد وعشرين من مايه
سنة ١٧٦٥

تصريح بالعمل بالفصل الخامس من الاتفاقية المبرمة بين فرنسا والجزائر بشأن قرصان المغرب، الحافظة 205، الملف 60، الأرشيف الوطني التونسي.

الملحق رقم 04:

إحصاء عدد الأسرى الأوربيين في الجزائر من خلال مصادر مختلفة 1578-1830[2]

المصدر	العدد	السنة
Diego de Haedo	حوالي 25000	1581-1578
Magini (éd)	حوالي 15000	1598
Gramaye	أكثر من 35000	1619
G.B. Salvago	25000	1625
De Aranda	40000/30	1640
Davity éd. De Rocoles	35000	1660
Père Auvry (Miroir)	12000	1662
Du Val	أكثر من 35000	1665
De Fercourt	30000/20	1678
A. Manesson Mallet	40000/35	1683
Pétis de la Croix	35000	1684
Lorance (Arch. «De Propaganda Fide)	4000	1693
Lorance (Ibid)	1600	1696
Lorance (Ibid)	2600	1698
Comelin et De la Motte	10000/8	1700
Lorance (Arch. «De Propaganda Fide)	3000	1701
Gueudeville (Atlas)	4000	1719
Fau	10000/9	1729
Vander Aa	أكثر من 5000	1729
Shaw	حوالي 2000	1738

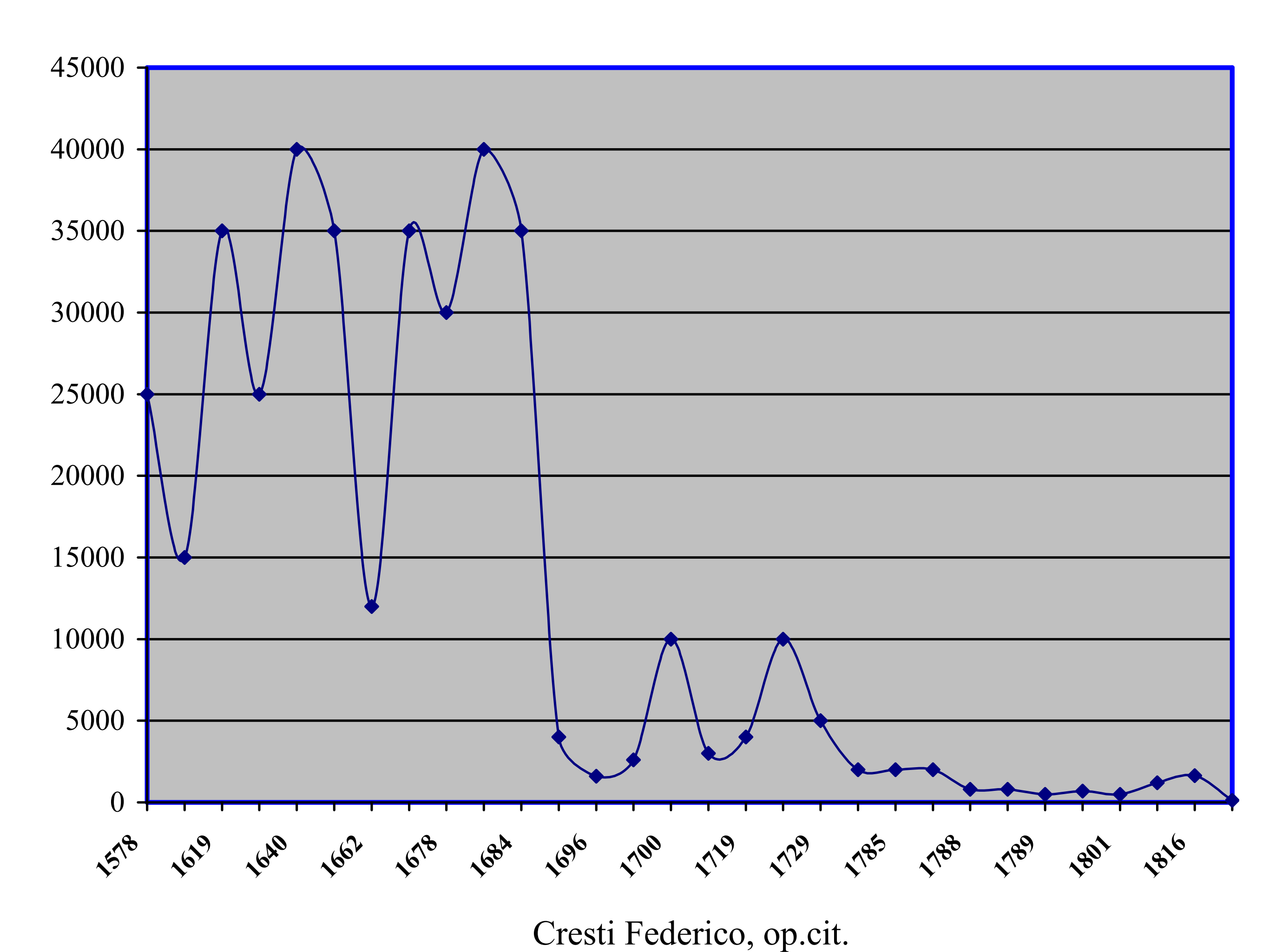
[2]

Von Rehbinder	**2000**	**1785**
Venture de Paradis	**2000**	**1787**
Von Rehbinder	**800**	**1788**
G.T. Raynal	**800**	**1788**
Venture de Paradis	**500**	**1789**
Alasia (Arch. «De Propaganda Fide)	**700**	**1796**
Vicherat	**500**	**1801**
Joussouy	**1200**	**1805**
Playfair	**حملة إكسموث: 1642**	**1816**
De Grammont	**122**	**1830**

Cresti Federico, Alger à la Période Turque, Observations et Hypothèses sur sa Population et sa Structure Sociale, Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, N°44, 1987.

الملحق رقم 05:

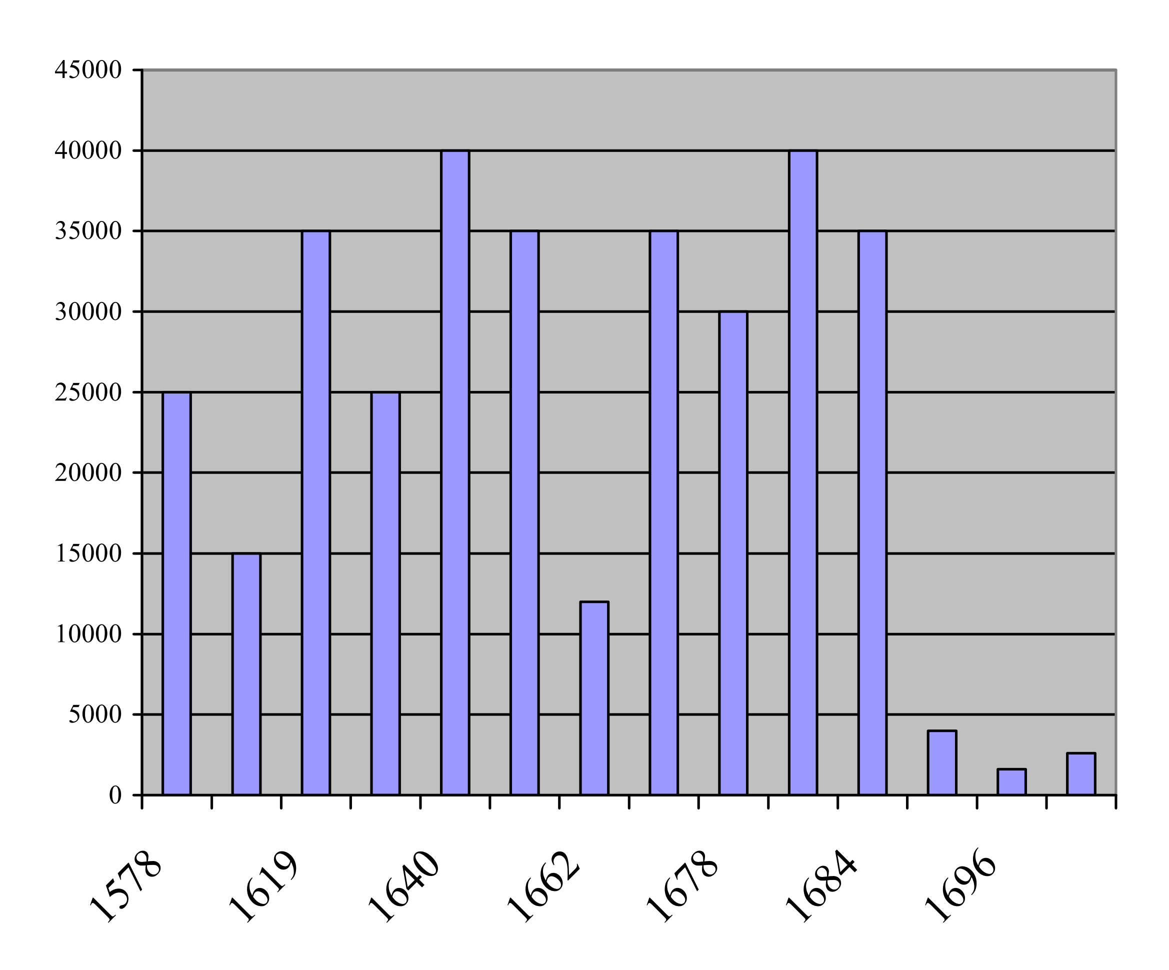
منحنى بياني إجمالي يوضّح تطور عدد الأسرى بالجزائر خلال العهد العثماني من خلال مصادر مختلفة 1578-1830:



Cresti Federico, op.cit.

الملحق رقم 05:

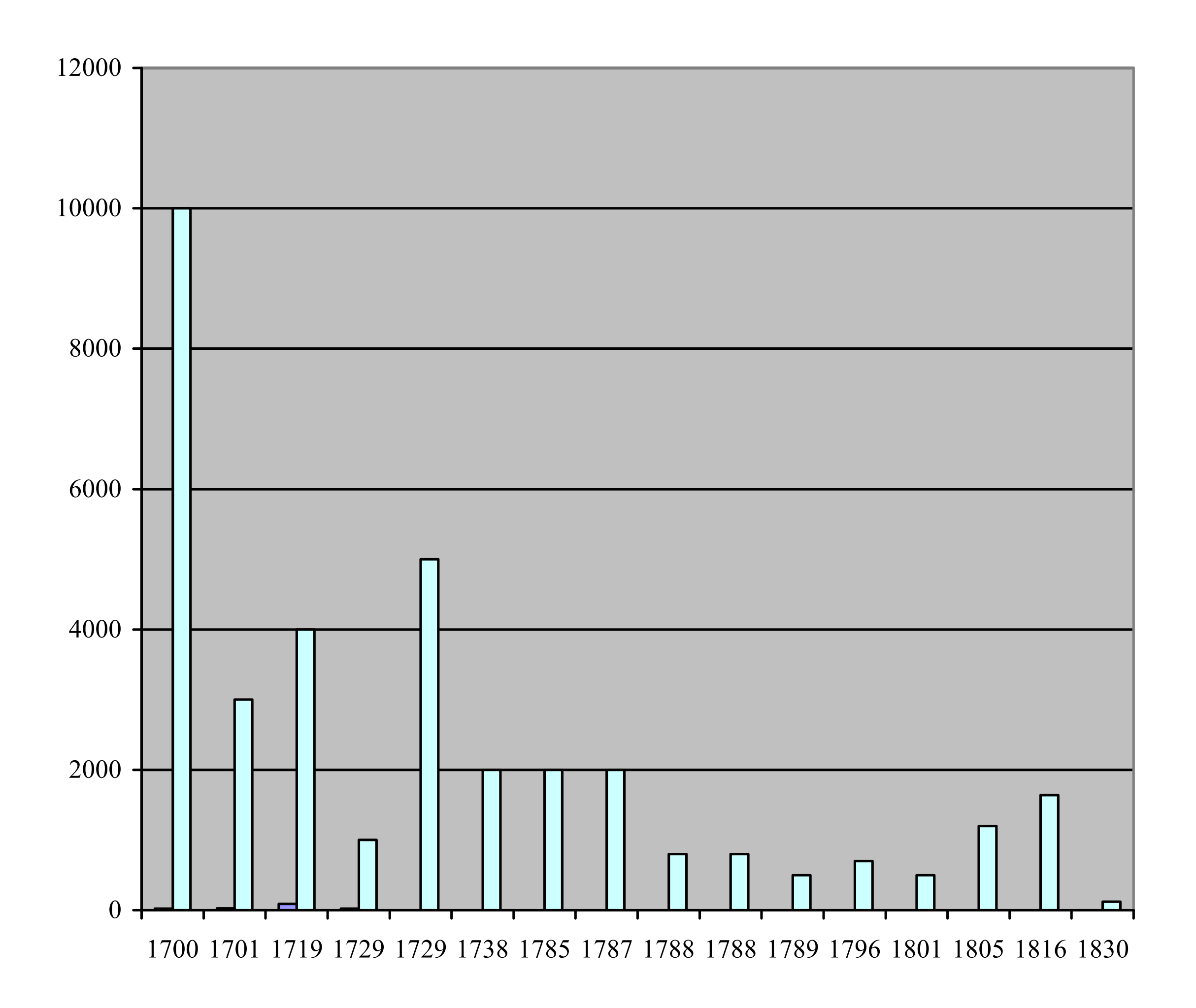
منحنى بياني تفصيلي يوضّح تطور عدد الأسرى بالجزائر خلال القرنين 16م و17م:



Cresti Federico, op.cit.

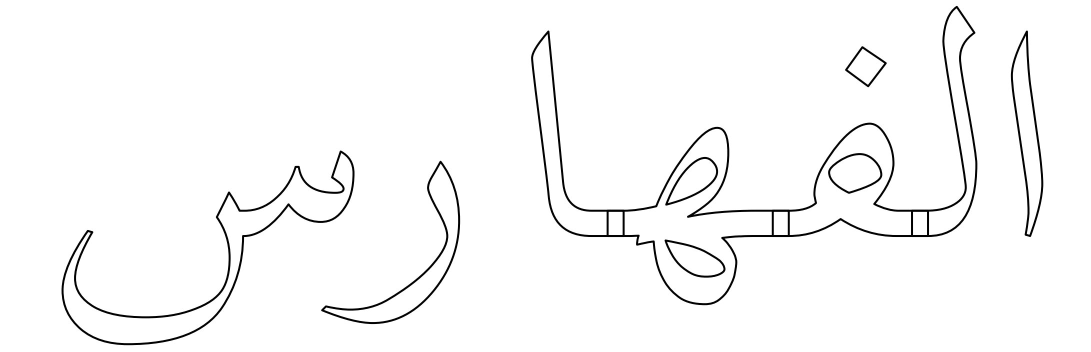
الملحق رقم 05:

منحنى بياني تفصيلي يوضّح تطور عدد الأسرى بالجزائر خلال القرنين 18م و19م:



Cresti Federico, op.cit.

[1]



1- فهرس الأعلام

2- فهرس الأماكن

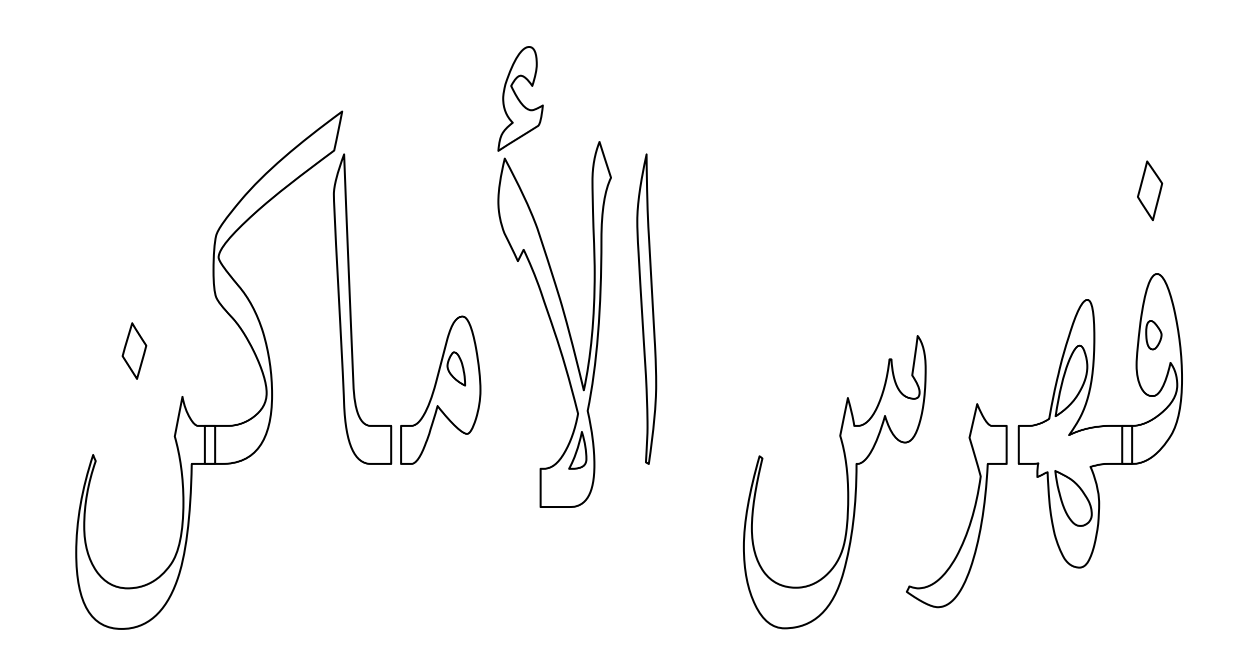
---

[1] فيما يخص الترتيب الأبجدي، فإن "ال" التعريف لم أدخلها في الترتيب الأبجدي؛ وأي اسم يبدأ ب"ابن" يدخل في إطار الترتيب الأبجدي حرف "أ".

فهرس الأعلام

-أ-

-ب-


فهرس الأماكن

-أ-

-ب-

–س–

–ش–

–ص–

–ط–

–ع–

–غ–

قائمة المصادر والمراجع

أ- المصادر والمراجع العربية:

1- المخطوطات العربية:

- ابن رقية التلمساني، الزهرة النائرة فيما جرى بالجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية، رقم 2063.

- الرصيد العثماني، خط هاميون، رقم 22550، سنة 1240هـ.

- الرصيد العثماني، خط هاميون، رقم 22486، سنة 1231هـ.

- القيسي محمد، مفتاح الدين في المجادلة بين النصارى والمسلمين من قول الأنبياء والمرسلين والعلماء الراشدين، المكتبة الوطنية الجزائرية، مخطوط رقم 1557.

- تصريح بالعمل بالفصل الخامس من الاتفاقية المبرمة بين فرنسا والجزائر بشأن قرصان المغرب، الحافظة 205، الملف 60، الأرشيف الوطني التونسي.

- رحلة الشيخ سيدي عبد الرحمن التنلاني (ت1233هـ)، مخطوط أ (1244هـ)، خزانة قصر با عبد الله أدرار.

- سجل المحاكم الشرعية، العلبة 33، الوثيقة 02، 1192هـ.

- مجهول، "المحكمة"، مخطوط، المكتبة الوطنية، رقم 1624.

2- الوثائق الرسمية المطبوعة (المجموعات):

- قنان جمال ، معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619-1830، المؤسسة الوطنبة للكتاب، الجزائر، 1987.

- بوعزيز يحيى، المراسلات الجزائرية الاسبانية في أرشيف التاريخ الوطني لمدريد 1780-1798، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص66.

3- المصادر:

- (ابن) خلدون عبد الرحمن ، تاريخ ابن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر، ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح. خليل شحادة، ج6، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2004.

- (ابن) زرفة أبو عبد الله بن عبد الرحمن، الرحلة القمرية في السيرة المحمدية، ج2، تح. مختار الحساني

- (بن) السراج الأندلسي أبي القاسم (ت 848هـ)، فتاوى أبي القاسم بن السراج الأندلسي، تحقيق أبو الأجفان محمد، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 2000.

- (بن) العنتري محمد صالح، فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلاءهم على أوطانها، أو تاريخ قسنطينة، تح. يحي بوعزيز، دار هومة، الجزائر، 2007.

- (بن) عثمان بن خوجة حمدان ، المرآة، تر. محمد العربي الزبيري، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007.

- (بن) وزان الفاسي حسن بن محمد ، وصف إفريقيا، (جزأين)، ط2، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1983.

- (بن) عبد القادر مسلم ، أنيس الغريب والمسافر، تح. رابح بونار، ش. و. ن.ت، الجزائر، 1974.

- أفوقاي أحمد بن قاسم الحجري ، رحلة أفوقاي الأندلسي، مختصر رحلة الشهاب إلى لقاء الأحباب 1611-1613، تحقيق محمد رزوق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2004.

- الراشدي أحمد بن محمد بن علي بن سحنون ، الثغر الجُماني في ابتسام الثغر الوهراني، تح. المهدي البوعبدلي، منشورات التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، 1973.

- الزهار الحاج أحمد الشريف ، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهّار، تح. أحمد توفيق المدني، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1974.

- الزياني أبو القاسم ، الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برّا وبحرا، تح. عبد الكريم الجيلالي، دار نشر المعرفة، الرباط، 1991.

- الغساني الأندلسي محمد ، رحلة الوزير في افتكاك الأسير 1690-1691، تح. نوري الجرّاح، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ضبي، 2002.

- الناصري أبو رأس ، الحلل السندسية في شأن وهران والجزيرة الأندلسية، بييفونطانا، الجزائر، 1903.

- أورين راي، العلاقات الديبلوماسية بين دول المغرب والولايات المتحدة 1776-1816، الجزائر، ش.و.ن.ت، 1978.

- بربروسة خير الدين ، مذكرات خير الدين بربروس، تر. محمد دراج، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر العاصمة، 2010.

- بفايفر سيمون ، مذكرات جزائرية عشية الاحتلال، تر. أبو العيد دودو، دار هومة، الجزائر، 1998.

- بلانتيت أوجان ، مراسلات دايات الجزائر إلى ملوك ووزارء فرنسا 1700-1833، تر. جحيك إلياس سلامنية بن داوود، 03 أجزاء، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، 2014.

- تيدنا، الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني (مذكرات تيدنا أنموذجا)، تر. عميراوي أحميدة، دار الهدى، الجزائر، 2009.

- شالر وليام ، مذكرات شالر، قنصل أمريكا في الجزائر (1816-1824)، تر. إسماعيل العربي، ش. و. ن. ت، الجزائر.

- كاثكارت، مذكرات أسير الداي كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب، تر. إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، 1982.

- كاراي ماثيو ، مختصر في تاريخ الجزائر، تر. علي تابليت، ثالة، الجزائر، 2013.

- ميتزون جيريت ، يوميات أسر في الجزائر 1814-1816، تر. محمد زروال، دار هومة، 2011.

- هابنسترايت، رحلة العالم الألماني: ج. أو. هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس (1145هـ-1732م)، تر. ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الاسلامي، تونس، 2008.

- ويلسن ستيفن جيمس ، الأسرى الأمريكان في الجزائر 1795/1796، تر.على تابليت، منشورات ثالة، الجزائر، 2007.

4- المراجع:

- أوزوتونا يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، المجلد الأول ، تر. عدنان محمود سلمان منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، استانبول، 1988.

- بوعزيز يحيى ، علاقات الجزائر مع دول وممالك ودول أوربا 1500-1830، دار البصائر للنشر والتوزيع الجزائر 2009.

- خياطي مصطفى، الطب والأطباء في الجزائر العثمانية، منشورات ANEP، الجزائر، 2013.

- عباد صالح، الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830، ط3، دار هومة، الجزائر، 2011.

- المدني أحمد توفيق ، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا (1492-1792)، ط3، دار البصائر، الجزائر، 2009.

- المدني أحمد توفيق ، محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791، سيرته، حروبه، أعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده، دار البصائر، الجزائر، 2009.

- مروش المنور، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني " القرصنة، الواقع الأساطير"، ج2، دار القصبة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

- مولاي بلحميسي ، الجزائريون من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

- هابار ميشال ، قصة خيانة، تر. عبد الرزاق عبيد، منشورات ANEP، رويبة، 2007.

- الهاشمي إياد علي ، تاريخ أوربا الحديث، دار الفكر، المملكة الأردنية الهاشمية، 2010.

- وولف. جون.ب، الجزائر وأوربا، تر. أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1986.

- ياتسيك ماخوفسكي ، تاريخ القرصنة في العالم، تر. أنور محمد إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة، 2008.

5- المجلات:

- (بن) عتو بلبروات ، "استراتيجية محمد الكبير في فتح وهران والمرسى الكبير"، مجلة الثقافة، ع06، وزارة الشؤون الدينية، 2010.

- الزين محمد، "نظرة على الأحوال الصحية بالجزائر العثمانية في أواخر عهد الدايات"، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع07، جامعة غرداية، الجزائر، ديسمبر 2012.

- خشمون حفيظة ، سجون الأسرى المسيحيين في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة الهجرة والرحلة، سلسلة مطبوعات الملتقيات السنوي (5)، جوان 2010.

- سعيود إبراهيم ، "من تراث الأسرى الجزائريين في إيطاليا خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر"، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع01، ديسمبر 2006.

- القشاعي فلة ، "وباء الطاعون في الجزائر العثمانية وسلم حدته وطرق انتشاره"، مجلة دراسات انسانية، كلية العلوم الانسانية، جامعة الجزائر، ع01، 2001.

- قرباش بلقاسم، بانياوات الأسرى المسيحيين في الجزائر 1519-1830، مجلة دراسات تاريخية، مركز البصيرة، ع01، مارس 2014.

- قرباش بلقاسم، مسألة الاسلام في انجلترا 1571-1700، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، جامعة معسكر، ع10، ديسمبر 2015، ص202.

- (بن) عتو بلبروات ، "الداي محمد بن عثمان باشا وسياسته: 1766-1791"، مجلة عصور، ع 10 جوان 2005.

6- الأطروحات الجامعية:

- حماش خليفة ، الأسرة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث، جامعة مونتوري، قسنطينة، 2006.

- دباب بومدين ، الأسرى والسجون في مدينة الجزائر العثمانية 1519-1830، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، تحت إشراف حنيفي هلايلي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة سيدي بلعباس، 2007-2008.

- خشمون حفيظة ، مهام مفتديي الأسرى و التزاماتهم الاجتماعية في مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الاجتماعي لدول المغرب العربي، تحت إشراف كمال فيلالي، جامعة منتوري 2007/2006.

– سعيود إبراهيم ، الأسرى المغاربة في إيطاليا خلال العهد العثماني، أطروحة دكتوراه دكتوراه في التاريخ الحديث، تحت إشراف عائشة غطاس، جامعة الجزائر 02، 2009-2010.

– شاطو محمد، نظرة المصادر الجزائرية إلى السلطة العثمانية في الجزائر، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 2006-2009.

7- الملتقيات:

– معنينو عز المغرب ، قضايا الأسر: أسرى الجهاد البحري في الرحلة السفارية "الصورة المقننة للآخر"، ندوة الرحالة العرب والمسلمين، المؤتمر الدولي الأول، الدوحة، 2010.

ب- المصادر والمراجع الأجنبية:

1- المخطوطات:[1]

- "A Message of Elezabeth 1 to her Army at Tilebury on the Eve of Spanish Armada, 1588", (Manuscript).

- Feb 27, 1690, Calender of Treasury Books, Vol. 09, 1039.

- George Smith C., Copy of letter to Edward Fettyplan [?] re: Smith's status as slave in Algiers, Manuscript Document, Gilder Lehrmen Collection, GLC02794.

- Neapolitan Captives: Interesting Narrative of the Captivity and Sufferings of Miss Viletta Laranda, a Native of Naples, who, with a Brother, was passenger on Board a Neapolitan Vessel Wrecked Near Oran, on The Barbary Coast…, New York: Charles C.Henderson, 1830. Rare Book:C-6 S631A V.3 NO.25.

[1] **ملاحظة**: إن المخطوطات المقدمة أعلاه، قمت بتحميلها من موقع آدم ديجيتال للوثائق الأرشيفية، بعد أن تحصلت على دخول مجاني Free Acces، حيث منحت لي التبويبات التالية:

www.slavery.amdigital.co.uk
www.travelwriting.amdigital.co.uk
www.africanamericancommunities.amdigital.co.uk
www.americanhistory.amdigital.co.uk

- Outbreak of 4000 Christian slaves at Algiers, Annual Register, 1765.

- Robinson Richard, Letter to his Friends, A Single Sheets, The British Museum, N°03.

2- الوثائق الرسمية المطبوعة (المجموعات):

- A Collection of All The Marine Treaties Subsisting between Great-Britain, Commencing in The Year 1546, and including the Definitive Treaty of 1763, London: Printed for J.Millan, Charing-Cross, 1779.

- American State Papers: Documents of the Congress Of The United States, From The First Session Of The First To The Third Session of the Thirteenth Congress, Inclusive: Commencing March 3, 1789, and Ending March 3, 1815. , Class I, Foreign Relations, Vol. 01, Washington: Gales-Seaton, 1832.

- American State Papers, Class 1, Foreign Relations, Vol.01, Washington: Published by Gales and Seaton, 1832.

- Bevans Charles I., Treaties and other International Agreements of the United States of America, 1776-1949, Vol.05, Washington: U.S Government Printing Office, 1970.

- Devoulx Albert, Le registre des prises maritimes, Traduction d'un document authentique et inédit concernant le partage des captures amenées par les corsaires algériens, Alger, 1872.

- Devoulx Albert, Tachrifat Recueil de Notes Historiques sur L'administration de L'ancienne Régence D'alger, Alger: Imprimerie du Gouvernement, 1852.

- Jefferson Papers, (Lamb to Jeferson), Vol. 20, May 20, 1786.

- Montagu Mary Wortley, The Complete Letters of Lady Mary Wortley Montagu: 1752-1762, Vol. 03, London: Claredon Press, 1967.

- State Papers and Publick Documents of the United States, 2nd Ed, Vol 10, Boston: 1817.

- The diplomatic correspondence of the American Revolution : being the letters of Benjamin Franklin, Silas Deane, John Adams, John Jay, Arthur Lee, William Lee, Ralph Izard, Francis Dana... concerning the foreign relations of the United States during the whole Revolution : together with the letters in. 1829-1830, Edited by Jared Spark, Vol 04, Boston: Nathan Hale, Gray, Brown, 1829.

.- Sariny Yusuf, Osmanli belgeleride Cezayir, Ankara, Osmanlı Arşivi Daire Başkanlığı, 2010.

3- المصادر:

- A short History of Algiers, with a concise view of the origin of the rupture between Algiers and the united states, 3rd Ed, New- York, Published by Evert Duyckinck, 1805.

- Acba. B, Remarkable shipwrecks or a collection of interesting accounts of naval disasters, with many particulars of the extraordinary adventures and sufferings of the crews of vessels wrecked at Sea, and of their treatment on distant shores, together with an account of the deliverance of subibors, Hartford, published by Andrus and Starr, 1823.

- Account of Slavery of Friends in the Barbary States, towards the Close of the Seventeen Century, London: Edward Marsh, 1848.

- Antonio de Sosa, Topoghraphy and History of algiers in an Early Modern Dialogue with Islam: Antonio de Sosa's Topoghraphy of Algiers (1612),Edited by Maria Antonia Gracès, Tr. Diama de Armas Wilson, Indiana: University of Notre Dame Press, 2011.

- Antony Benzet, Some Historical Account of Guinea, its Situation Produce, and the General Discription of it's Inhabitans: with some Inquiry into the Rise and Progress of Slaves Trade ,its Nature, and Lamentable Effects, London: W. Dwen, 1772.

- Bargès Abbe J-J, complètement de l'Histoire des Beni Zeiyan, Paris: Ernest Loroux, libraire-éditeur, 1737.

- Blount Henry, A Voyage into the Levant, 1636.

- Bradley Eliza, An Authentic Narrative of the Shipwreck and Sufferings of Mrs. Eliza Bradley, the Wife of Capt. James Bradley of Liverpool, Commander of the Ship Sally, which was Wrecked on the Coast of Barbary, in Jun 1818, Boston: Printed by James Walden, 1820.

- Brooks Francis, Barbarian Cruelty, Being A True History of the Distressed Condition of the Christian Captives under the Tyranny of Mully Ishmael Emperor of Morocco, and King of Fez and Macqueness in Barbary, In which is likewise given a particular Account of his late Wars with the Algerines. The manner of his Pirates taking the Christians and Others. His breach of Faith with Christian Princes. A Description of his Castles and Guards, and the Places where he keeps his Women, his

Slaves and Negroes, With a particular Relation of the dangerous Escape of the Author, and two English Men more from thence, after a miserable Slavery of ten Years, London: Printed for J. Salusbury at the Rising-Sun in Cornhil, and H. Markman at the King's Arms in the Poultry, 1693.

- Dapper D'Olfert, D. M., Description de l'Afrique, les Noms, la Situation et les Consins de toutes ses partes…, Amsterdam: Wolfgang, 1686.

- Davis Paris M., An Authentic History of the Late War between the United States and Great Britain, With a Full Account of every Battle, by Sea and Land…, New-York: Ebenezeer F. Baker, 1836.

- De Tassy Laugier, Histoire de Royaume d'Alger, Amesterdam: Henri du Sauzet, 1837.

- Diego Haedo Fray, Topographie et Histoire générale d'Alger, Tr. Mounreaut et Berbrugger, 1870.

- Dudgeon Mathew, A True Relation of the Travels and Perilous Adventures of Mathew Dudgeon, Gentleman: Wherein is truly set down the Manner of his Taking, the Long Time of his Slavery in Algiers, and Means of his Delivery, London: Longmans, Green, and Co., 1894, Mathew Dudgeon.

- Emanuel Aranda, d., The History of Algiers and Its Slavery: With Many Remarkable Particularities of Africk, Written by the Sieur Emanuel D'Aranda, Sometime a Slave There, Trans. John Davies. London: John Starkey, 1666.

- Fonseca Damián, Justa Expulsión de los Moriscos España, Lacoma Mascarado, 1612.

- Foss John, A Journal of the Captivity and Sufferings of John Foss, Newburyport, 1798.

-Francis Knight, A Relation of Seaven Yeares Slaverie Under the Turkes of Argeire, Suffered by an English Captive Merchant, Wherein is also Conteined all Memorable Passages, Fights, and Accidents, which Happoned in that Citie…, London: Printed by T. Coles, 1640.

- Hakluyt Richard, The principal navigations, voyages, traffiques, and discoveries of English Nation, made by sea or over-land, South and south-East parts of the World, at any time within the compasse of these 1600 years… exc., 2nd, London: George Bishop, Ralph Newbery, Robert Barker, 1599.

- Jackson. G. A, Algiers: Being a Complete Picture of the Barbary States; their Government, Laws, Religion, and Natural Productions; and Containing a Short of their Various Revolutions, a Description of the Domestic Manners and Customs of the Moors, Arabs and Turks, London: Printed by R. Edwards, 1817.

- Jakson. G. A, Algiers: Being a Complete Picture of the Barbary States; their Government, Laws, Religion, and Natural Productions, and Containig of their Various Revolutions…, London: R. Edwards, 1817.

- Josef Morgan, A Compleat History of the Piratical States of Barbary, Algiers, Tunis, Tripoli and Marocco, Containing: The Origin Revolution and Present States of these Kingdooms, their Forces, Revenus, Policy and Commerce, London: R. Griffiths, 1750, P4-5.

- Martin Maria, A History of the Captivity and Sufferings of Mrs. Maria Martin Who was Six Years a Slave in Algiers, Philadelphia: Rakestraw, 1809.

- Massinger Philip, The Renegado or The Gentlemen of Venice, London, 1624.

- Missionary Register, Church Missionay Society 1826, London: Printed by R.Watts 1826, Vol.14.

- Morgan Josef, Several voyage to Barbary Containing an Historical and Geographical Account of the Country, With the Hardships, Sufferings, and Manner of Redeeming Christian Slaves…, London: Printed for Oliver Payne, 1736.

- North African States, 1767, Manuscript, A comparative View the Military and Naval Power of the Four Piratical States of Barbary, with an Account of their Produce and Description of the Present State of their Government where Necessary, Introduced by Ali Tablit, Alger: Thala, 2008.

- Okeley William, Eben-Ezer: or, a Small Monument of Great Mercy, Appearing in the Miraculous Deliverance of William Okcley, John Anthonym William Adams, John Jcphs, John Carpenter, From The Miserable Slavery of Algiers with the Wonderful Means of their Escape in A Beat Of Canvas …, London: Printed for Nat. Ponder, 1575, p32-33.

- Pananti Signor, Narrative of a Residence in Algiers; Containing a Geographical and Historical Account of the Regency; Biographical Sketchs of the Dey and his Ministers…, Noted by Edward Blaquiere, London: Printed for Henry Colbur, 1818.

- Paradis Jean-Michel Venture de, Alger et Tunis au xviii e siècle, Paris, Éditions Sindbad, 1983, p161.

- Patrick trans., The History of the Champagnes, 1548 and 1549, 1707.

- Payssonel Jean - André, Voyage dans les Régences de Tunis & d'Alger, Vol.01, Paris: Libraire de Gide, 1838.

- Pellow Thomas, The History of the Long Captivity and Adventures of Thomas Pellow in South-Barbary Giving an Account of His Being Taken by Two Sallee Rovers and Carry'd a Slave ... for the Space of Twenty-three Years ..., London: Printed for R. Goadey and Sold by W. Owen, 1739.

- Pepys Samuel, The Shorter Pepys, Ed. Robert Latham, William Mattews, London: Penguin Books,1987.

- Phelps Thomas, A True Acount of Captivity of Thomas Phelps, at Mechnasin Barbary, London, Printed by H.Hills, 1685.

- Pierre Dan .R.p, Histoire de Barbarie et de ses corsaires des royaume, et des villes d'Alger, de Tunis, de salé, et de tripoli, 2nd, Paris: chez pierre Rocolet, Imprimeur & Libraire ordinaire du Roi, 1646.

- Pitts Joseph, A True and Faithful Account of the Relegion and the Manner of the Mohamatans in which is a Particular Relation of their Pilgrimage to mecca, 1704.

- Salamé Abraham, Narrative of The Expedition To Algiers In The Year 1810, Under the Command of the Right Box Admiral Lord Viscount Exmouth, London: John Murhay, Albemarle-Street, 1819.

- Shakespeare William, The Tempest, 1611.

- Shaw Thomas, Fellow of Queen's College, Oxford, Travels and Observations relating to several parts of Barbary and the Levant, 2nd Ed, London: Oxford, 1723.

- T. S, The Adventures of Mr. T.S an English Merchant, Taken prisoner by the Turks of Argiers, and Carried into the inland countries of Africa with a Description of the Kingdom of Argiers, of All the Towns and places of note thereabouts, whereunto is Added a Relation of the Chief Commodities of the countrey, and of the Actions and Manners of the People, London: Printed, and are to be Sold by Moses Pitt at the White Hart in Little Britain, 1670.

- The Case of Many Hundreds Poor English-Captives, Algier, Together with Some remedies to Present their Increase, Humbly Represented to both Houses of Parliament, London: 1680.

- Underbill Updike, The Algerine Captive; or, the life and adventures of Doctor Updike Underbill, six years a prisoner among the Algerines, Hartford: printed by Peter B. Gleason, Co, 1816.

- Velnet Mary, An Affecting History of the Captivity and Sufferings of Mrs. Mary Velnet, An Italian Lady, who was Seven Years a Slave in Tripoli, NY: Alden Spooner, 1806.

- Voltaire, Candide or The optimist and Prince Samuel Johnson, London: George Routledge and Sons 1888.

- Walter Crocker, The Cruelties of The Algerine Pirates shewing The present dreadful State of The English Slaves, and other Europeans, at Algiers and Tunis; with the horrid Barbarities inflicted on Christian Mariners shipwrecked on the North Western coast of Africa and carried into perpetual slavery, London: Printed by W.Hone,, 1816.

4- المراجع:

- About Algeria, Algiers, Tlemcen, Constantine, Biskra, Timgad, By Charles Thomas-Stanford F.S.A., With A Map And Thirty. Two Illustrations From Dra Wings By F. Dorrien Thoroton And From Photographs, New York: John Lane Company, 1912.

- Ágoston Gábor, Bruce Masters, Encyclopedia of the Ottoman Empire, New-York: Facts On File, Inc, 2009.

- Allen Friedmen, Spanish Captives in North Africa in the Early Modern Age, Madison: The University of Wisconsin Press, 1983.

- Ambrus Attila, "Pirates of the Mediterranean: An Empirical Investigation of Bargaining with Transaction Costs", Harvard University Press, 2011.

- Barrera- Osorio Antonio, Experiencing Nature: The Spanish American empire and the early scientific revolution, Austin: University of Texas Press, 2006.

- Bekkaoui Khalid, White Women Captives in North Africa, Narratives of Enslavement, 1735-1830, UK: Palgrave Macmillan, 2010.

- Belhamissi Moulay, Marine et Marins d'Alger (1518-1830), Face à l'Europe, (3 vol), Alger: Bibliothèque nationale D'Algérie, 1996.

- Black Jeremy, European Warfare, 1494-1660, New-York: Routledge, 2002.

- Blake W. O, Slavery and The Slave Trade, Ancient and Modern, The Forms of Slavery That Prevailed in Ancient Nations, Particularly in Greece and Rome, The African Slave Trade and The Political History of Slavery in The United States, London: Columbus Ohio, 1857.

- Braudel Fernand, the Mediterranean and the Mediterranean World in the Age of Philip II, (2 Vol), Translated From The French by Sian Reynolds, 1988.

- Buttigieg Emanuel, Clash of Civilization; Crusades, Knights, and Ottomans, An Analysis of Christian-Muslim Interaction in The Mediterranean, Roma: Piza University Press, 2007.

- Christensen Thomas, 1616: The World in Motion, Berkeley: Counterpoint press, 2012.

- Compaigne Christian De La., Une Histoire de l'esclavage de l'antiquité à nos jours, Paris: Libraire Générale Francise, 2002.

- Corbett Jullian S., England in The Mediterranean 1603-1713, (2 Vol), 2nd Ed, London: Longmans, Greend and Co, 1916.

- Cussler Clive, Jack du Brul, Corsair, A Novel of Oregon Files, New-York: Brillm 1998.

- Davis David Brion, Re-examining the Problem of Slavery in Western Cumture, Yale: American Antiquarian Society, 2009.

- Davis Robert, Esclaves Chrétiens, Maitres Musulmans, L'esclave Blanc en Méditerranée 1600-1800, Tr. Manuel Tricoteau, Pris: Ed. Jacqueline Chambon, 2006.

- Davis Robert. C., Cristian slave, Muslum masters, White slavery in the Mediterranean, the Barbary coast and Italy, Palgrave Macmillan, 2003.

- Davis Thomas, The Poems of Thomas Davis with Notes, Historical Illustrations, Etc., New York: D. & J. Sadlier & Co., 1866, p132, 134.

- Dewald Jonathan, Europe 1450 TO 1789, Encyclopedia of the early Modern World, Vol. 01, New York: Thomason Gale, 2004.

- Diego Galán, Cautiverio y trabajos de Diego Galán, natural de Co nsuegra y vecino de Toledo 1589 a 1600, Manuel Serrano y Sanz, Madrid: Imprenta Ibérica, 1913.

- Diego Haedo Fray, Topographie et Histoire générale d'Alger, Tr. Mounreaut et Berbrugger, Alger, 1870.

- Dreadnought H.M.S., The Royal Navy, London: Adam And Charles Black, 1907.

- Dull Jonathan R., The Age of the Ship of the Line, The British & French Navies 1650–1815, London: University of Nebraska Press, 2009.

- Eric Durstler R., Venetians in Constantinople Nation, Identity, and Coexistence in the Early Modern Mediterranean, Baltimore: The Johns Hopkins University Press, 2006.

- Ernest Mercier, Histoire de l’Afrique Septentrionale (Berberie) depuis les Temps les plus reculés, Jusqu’à la Conquête française (1830), T2, Paris: Ernest Lourex Ed, 1868.

- Espinosa Aurelio, The Empire of the Cities, Emperor Charles V, the Comunero Revolt, and the Transformation of the Spanish System, Vol 137, Leiden: Brill, 2009.

- Faroqui Sariya, Mluk Halil, The Ottoman Empire and its Hiritage, Politics, Society and Economy, Ransom Slavery along The Ottoman Borders (Early Fifteenth- Early Eighteenth Centuries), Vol. 37, Boston: Brill, 2007.

- Faruq Abd-Allah Omar, Turks, Moors, & Moriscos in Early America, Sir Francis Dreke’s Liberated Galley Slaves and The lost colony of Roanoke Nwawi Foundation, 2010.

- Finnemore Jhon, The Barbary Rovers, London: Adam and Charles Black, 1912.

- Fragaszy, and al, The complete Capuchin: The Biology of the Genus Cebus, London: Cambridge University Press, 2004.

- Frazee Charlesa, Catholics and Sultan, The church and the Ottoman Empire, 1453-1923, London : Cambridge University Press, 1983.

- Fremont-Barnes Gregory, The wars of the Barbary pirates, to the Shores of Tripoli: The Rise of the U.S Navy and Marines, Oxford: Osprey Publishing, 2006.

- Garcés María Antonia, Cervantes in Algiers A Captive's Tale, Nashville: Vanderbilt University Press, 2002.

- García Arturo Morgado, " El mercado de esclavos en el Cádiz de la Edad Moderna (1650-1750)", Tiempos Modernos, Vol.18, 2009.

- García Arturo Morgado, "Los Libertos en el Cádiz de la Edad Moderna", Revista Studia Historiam Historia Moderna, Vol.32, 2010.

- Gardner Allen W., Our Navy and the Barbary Corsairs, New York: Houghton Mifflin Co., 1905.

- Gerald Maclean, Nabil Matar, Britain and The Islamic World, 1558–1713, New York: Oxford University Press, 2011.

- Godfrey Fisher Sir., Légende Barbaresque : Guerre, Commerce et Piraterie en Afrique du Nord de 1445 à 1830, Trad. et Annoté par Farrida HALLAL, Office des Publications Universitaires, Alger, 2002.

- Goffman Daniel, The Ottoman Empire and Early Modern Europe, New York: Cambridge University Press, 2004.

- Goldberg Isaac, Major Noah, American-Jewish Pioneer, Jewish Publication Society of America: 1936.

- Gonzalo Fernando Balliano, Españoles en Àfrica, Madrid: Nowtilus S.l., 2012.

- Grammont De. H. D, Histoire d'Alger sous la domination Turque (1515-1830), Paris, Ernestl Eroux editeur 1887.

- Groody, J, "A Slavery in The Time and Space", Asian and African System of Slavery, Los Angeles: University of California Press, 1980.

- Hanna Milly, The Islamic Mediterranean: Mony, Land and Trade, An Economic History of The Muslim Mediterranean, London: I. B.Tauris Publishers, 2002.

- Hattendorf John B., Naval Policy and Strategy in The Mediterranean, Past, Present and Future, London: Frank Cass, 2000.

- Hiffman Micheal, They are White and they were Slaves, the Untold - History, of the Enslavement of Whites in Early America, Wish Well Ruffin Home, 1992.

- Hilton-Simpson W., Arab Medicine Surgery, Study of the Healing Art in Algeria, London: Oxford University Press, 1922.

- Hoevler Diane Long, Jerry Cass, interrogating Orientalism: Contextual approaches and Pedagogicals PR, Ohio University Press, 2006.

- Holt Mack P., The French Wars of Religion, 1562–1629, Cambridge: Cambridge University Press, 2005.

- Holt P.M, and Al, The central Islamic Lands from Pre-Islamic Times to The First World War,V1A, Cambridge: Cambridge university Press, 2008.

- Jamieson Alan G., Lords of Sea, a History of the Barbary Corsairs, London: reaktion books ltd, 2012.

- Jew Jacksonian, The Two Worlds of Mordechai Noah, by Jonathan D. Sarna, Holmes & Meier Publishers, Inc., New York, 1981

- Juan Vernét Gines, El rescate del arraez argeli Bibi, prisionero en Mallorca, Tetuán: Instituto Muley el Hasan, 1952, p207.

- Kiati Mostapha, Histoire de la Médecine en Alger, de l'antiquité à nos jours, Édition ANEP, Alger, 2000.

- Konstam Angus, Brayn Tony, British Napoleonic War, Ship of Line, U.K: Osprey Publisshing, 2001.

- Lathbury Rev Thomas, The Spanish Armada, A.D 1588 ; or The Attempt of Philip 2 and Sixtus 5 to Re-establish popery in England, London: Jhon W. Parker, West Strand, 1840.

- Locke John, Epistola de Tolerantia: A Letter on Toleration, ed. Raymond Klibansky, trans. J. W. Gough, Oxford, 1968.

- MacLean Gerald M., The Rise of Oriental Travel, English Visitors to the Ottoman Empire, 1580–1720, Great Britain: Ed. Palgrave Macmillanp, 2004.

- Mansour Abd el Hadi, Alger 16e-17e Siècle, Journal de Jean Baptiste Gramaye <évêque d'Afrique>, Cerf, Paris, 1998.

- Margaret Bacon, Mothers of Feminism: The Story of Quakers Women

- Matar Nabil, Euroupe Through Eyes Arabs 1578-1727, New York: Columbia Press University 2009.

- Matar Nabil, Turk, Moors, and englishmen in the age of discovery, New-york: columbia university press, 2000.

- Mattei A., Protestation Contre Détracteur du Système Administratif Suivi Actuellement en Algérie, Paris: E. Denni libraire éditeur, 1869.

- Miriam López Rodríguez, Maria Dolores Carrion, Women's Contribution to Nineteenth-century American Theatre, Valencia: Biblioteca Javier Coy d'estudis Nord Americans, 2004.

- Nexon Daniel H., The Struggle for Power in Early Modern Europe: Religious Conflict, Dynastic Empires, and International Change, London: Prinception University Press, 2009.

- Nickllas Jhon L., The Journal of George Fox, Cambridge University Press, 1952.

- Nickllas Jhon L., The Journal of George Fox, Cambridge University Press, 1952.

- Norman Housley, Religious warfare in Euroupe, 1400-1536, New York: Oxford University Press, 2002.

- Osler Edward, Esq., The Life of Admiral Viscount Exmouth, London: Smith, Elder And Co., Cornhill, 1835.

- Ovando Juan De, Governing The Spanish Empire in The Reign of Philip, Norman: University of Oklahoma Press, 2004.

- Panzac Daniel, Barbary Corsairs, The End of a Legend 1800-1820, Tr. Victoria Hobson, LEIDEN: Brill, 2005.

- Paule Masson, Histoire des établissement et du commerce Française dans l'Afrique Barbaresque (1560-1793), (Algérie, Tunisie, Tripoliane, Maroc), Paris: librairie Hachette et Cie, 1903.

- Piracy and Privateering in the Golden Age Netherlands, Virginia: Palgrave Maclilian, 2005.

- Plyfair R.L, Scourage of Christiandom, Annals of British Relations with Algiers Prior to the French Conquest, London. Smith Elder & Co., 1840, p90.

- Rang. S, Denis.F, Fondation de la régence d'Alger, Histoire de Barberousse, Chronique arabe du XVIe siècle sur un manuscrit de la Bibliothèque Royale , avec un appendice et des notes Tome2, Paris: ,J. Ange éditeur, 1837.

- Rhoads Murphey, Ottoman warfare, 1500–1700, London: University College London Press, 1999.

- Rodger Nicolas Andrew Martin, The safeguard of the sea: A naval History of Britannia, Vol. 02, London: HarperCollins, 1997.

- Roper H.R. Trevor, The Crisis of the Seventeenth Century, Relegion, The Reformation, and Social Change, USA: Liberty Fund, 1967.

- Salvatore Bono, Les Corsaires en Méditerranée, Paris: Ed. La Porte, 2000.

- Samuel F. Holbrook, Threescore Years: An Autobiography, Containing Incidents of Voyages and Travels, Including Six Years in a Man-Of-War Details of the War Between The United States And The Algerine Government, Bombardment of Algiers By Lord Exmouth, and its Subjugation by the French. Also, Two Years in California, a Visit to The Crimea During The Bombardment and Capture of Sebastopol, Journey Through Asia Minor, Syria, Palestine and Egypt, Boston: James French and Company, 1857.

- Schuyler Eugene, American Diplomacy and Furtherance of Commerce, New-York: Charles Scribner's Sons, 1895.

- Sears Christine E., American slaves and African masters: Algiers and the Western Sahara, 1776–1820, United States: palgrave macmillan, 2012.

- Sharkey Heathe. Z. J., "American Christians and Islam: Evagelical Culture and Muslims From the Colonial Period to the Age of Terrorism", Princeton: Princeton University Press.

- Standerd Mishler, Catalog of World Coins: 1801-1911, 18Th Ed, New-York: Krause Publications, 1911.

- Stanley Lane-Poole, The Story of the Barbary corsairs, New York: G.P Putnam's Sons, 1890.

- Stanley Lane-Poole, The Story of the Barbary Corsairs, New York, G.P. Putnam's Sons, 1890.

- Sumner Charles, White Slavery in The Barbary States, Boston: William D. Tick Nor And Company, 1847.

- The Order of Blessed Virgin Mary of Mercy (1218-1992), A Historical Synthesis, Rome: Mercedarian Library Vi, 1997.

- Thomas Compell, Journal of a Residence in Algiers, Vol.01, London: Henrey Colbern, 1842.

- Thomson Ann, Barbary and Enlightenment: European Attitudes towardes the Maghreb in the 18th Century, Netherlands: Brill, 1987.

- Tournier Jules, Vachier Jean Le., Prêtre consule de France et Martyre (1647- 1683), Les éditions la porte, Rabat, 1947.

- Trivellato Francesca, and al, Religion and Trade: Cross cultural Exchanges in World History, 1000-1900, Oxford University Press,20007.

- Vitkus Daniel J., Piracy, Slavery, and Redemption, Barbary Captivity Narratives From Early Modern England, New York: Columbia University Press, 2001.

- Vitkus Daniel, Three Turk Plays from Early Modern England: Selimus, a Christain Turned Turk, and the Renegado, New York: Columbia University Press, 2013.

- Walsin Esterhazy, De La Domination Turque Dans la Régence d'Alger, Paris, libraire de Charles Cosselin, 1847.

- Weiss Gillian, Captives and Corsairs, France and Slavery in early Modern Mediterranean, California: Stanford University Press, 2011.

- William Blake O., The History of Slavery and the Slave Trade, Ohio: H. Miller, 1860.

- William Laird Clowes, The royal Navy, A History From the Earliest Times to the Present, Vol.6, London: Sampson Low, Marston and Company, 1898.

- Wilson Peter Lamborn, Pirate utopias: Moorish corsairs & European Renegadoes, Canada: Autonomedia, 1995.

- Wood Alfred Cecil, History of the Levant Company, London, 1935.

in America, San Francisco: Harper and Row, 1986.

5- المجلات:

- "Dumont's Captivity in Africa", Spirit of the English Magazines, Vol.06, Boston: Munroe and Francis, December 15, 1819.

- "On the Slave-Trade", Federal Gazette, March 23, 1790.

- Alexander de Groot. H., Ottoman North Africa and the Dutch Republic in the seventeenth and eighteenth centuries, Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, N°39, 1985.

- Alonso Bonifacio Porres," Libertad a los cautivos, actividad redentora de la orden Trinitarian", Book Review, Secretario Trinitario, Córdoba-Salamanca, 1997-1998.

- Andrés Acosta González, "Moriscos e Inquisición en Canarias Durente el Siglo 16", Revista de la Facultad de Geografia e Historia, N.04, 1989.

- Andrzej Witko, "The Trinitairian Inconography", Folia Historica Cracoviensia, T13, Krakow, 2007.

- Ariel Salzmann, "Migrants in Chains: On the Enslavement of Muslims in Renaissance and Enlightenment Europe", religions, Vol. 03, Sept 2013.

- Audisio. G, Recherches sur l'origine et la signification du mot « Bagne », A. Jourdan, Libraire-éditeur, Alger, R.A, N°101, 1957.

- Banford Paul Walden, "Procurement of Oarsmen for French Galleys, 1660-1748", The American Historical Review, Vol.65, N.01, Oct 1959.

- Ben Rejeb Lotfi, "The general belief of the world': Barbary as genre and discourse in Mediterranean history", European Review of History: Revue européenne d'histoire, Vol.19, N.01, 2012.

- Benguetaf A/Hafid, "The Barbary Treaties between the USA and Algiers (1795 – 1816)", Revue Ossour, N°17-18, Jun-December, 2010.

- Benilde Montgomery, "White Captives, African Slaves: A Drama of Abolition" Eighteenth-century Stadies.

- Berbrugger A, "Charte des hôpitaux Chrétiens d'Alger, 1694", A. Jourdan, Libraire-éditeur, Alger, R.A, N°08, 1949.

- Berbrugger, De l'esclavage musulman en France, R.A, N°1, 1856.

- Bernard Lewis, "Corsairs in Iceland", Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, N.15-16, 1973.

- Boronat Pascual, Borrachina, Los Moriscos Españoles y su Expulsión, Vol.02, Real Colegio de Corpus Christi, Valencia, 1901.

- Bouânani Moulay Ali, "Propaganda for empire: Barbary captivity literature in the US", Journal of Transatlantic Studies, vol. 7, 2009.

- Bower Beth A., "Captivity with ye Barbarous Turk", American Ancestors, Vol. 13, Spring 2012.

- Boyer Pierre, "La chiourme turque des galères de France de 1685 à 1687", Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, N.06.

- Braudel Fernand, " L'economie de la Méditerraneé aux 17 Siecle", C.T, 1956.

- Collenberg Wipertus Rudt de,"Le baptême des musulmans esclaves à Rome aux XVIIe et XVIIIe siècles. Le XVIIIe siècle", Mélanges de l'Ecole française de Rome. Italie et Méditerranée, T.101, N.01. 1989.

- Connell Monique O'., "The Italian Renaissance in the Mediterranean or between East and West?", California Italian Studies, 2010.

- Cook Karoline P., "Navigating Identities: The Case of a Morisco Slave in Seventeenth-Century New Spain", The Americas, Vol. 65, No.01, Jul., 2008.

- Cristine Woodhead, "England, The Ottomans and The Barbary Coast in The Late Sixteenth Century", Durhan, State Paper Online, 2010.

- Dario Fernandez-Morea, "Islam's Christian Captives", (Book Reviews), Modern Age, Winter, 2008.

- David Harris Sacks, "Richard Hakluyt's Navigations in Time: History, Epic, and Empire" Modern Language Quarterly, vol.67, 2006.

- David Wheat, "Mediterranean Slavery, New World Transformations: Galley Slaves in the Spanish Caribbean, 1578–1635", Slavery & Abolition: A Journal of Slave and Post-Slave Studies, Vol. 31, 2010.

- Davis Robert, "Counting European Slaves on the Barbary Coast", The Past and Present Society, Oxford, 2001.

- Deborah Goodwin, "Pirates, Profits and Politics: the Dilemma of Gunboat Diplomacy", Sandhurst Occasional Papers, No 4, Royal Military Academy Sandhurst, 2011.

- Ellen G. Friedman, “Trinitarian Hospitals in Algiers: An Early Example of Health Care for Prisoners of War, Catholic historical review, Vol.66, N°.04, 1980.

- Ernspeter Ruhe, Les Allemands fascinés par l'Algérie Récits de voyages des 18ème et 19ème siècles, Majallat El-Tarikh, (Algiers), N°27, 1987.

- Federico Cresti, Alger à la Période Turque, Observations et Hypothèses sur sa Population et sa Structure Sociale, Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, N°44, 1987.

- Friedman Ellen G., "Cristian Captives at "Hard Labor" in Algiers, 16th-18th Centuries", The International Journal of African Historical Studies, Vol.13, N.04, 1980.

- Friedman Ellen G., "North African Piracy on the Coasts of Spain in the seventeenth Century: A New Perspectiveon the Expulsion of the Moriscos", The International History Review, Vol.01, No.01, Jan 1979.

- Friedman Ellen G., “The Exercise of Religion by Spanish Captives in North Africa", Sixteen Century Journal, Vol 1, N°1, Apr 1975.

- Géraud Poumarède, Rivalités maritime Européennes (16-19 siècle) Revue d'Histoire Maritime, N°4, PUPS, 2005.

- Gheziel Abla, "Captifs et captivité dans la régence d'Alger (xviie- début xixe siècle)", Cahiers de la Méditerranée, 87, 2013.

- Gillian Weiss, "Infidels at the Oar: A Mediterranean Exception to France's Free Soil Principle", Slave and Post-Slave Studies, Vol. 32, 2011.

- Gozalo Maximilliano Barrio, "Los Cautivos Espanoles en Argel Durente el Siglo Illistrado", Caud Diechioch, N. 04, 2003.

- Hachicho Mohamad Ali," Travel Books about the Arab near East in the Eighteenth Century", Die Welt des Islams,Vol.09, N.1, 1964.

- Helgason, Thorstein, "Historical narrative as Collective Therapy: the Case of the Turkish Raid in Iceland Scandinavian", Journal of History, Vol.22, 1997.

- Isom Verhaaren Christine, "Royal French Women in the Ottoman Sultans' Harem: The Royal Uses of Fabricated Accounts from Fabricated - Accounts from the Seexteenth to the Twenty-First Century", Journal of World History, Vol.17, N.02, 2006.

- Jacques Godechot, "La course maltaise le long des côtes barbaresques", R.A, n.96, 1952.

- Jean Mathiex, "Trafic et prix de l'homme en Méditerranée aux XVIIe et XVIIIe siècles", Annales. Économies, Sociétés, Civilisations, 09e année, N.02, 1954.

- José Antonio Martínez Torres, "Europa y el rescate de cautivos en el Mediterráneo durante la temprana Edad Moderna", Historia Moderna, Serie IV, , t. 18-19, 2005-2006.

- Judith E. Tucker, She would Rather Perish: Piracy and Gendered Violance in the Mediterranean", Journal of Middle East Women's Studies, Vol.10, N°03, Fall 2014.

- Kidd Thomas S., "Is It Worse to Follow Mahomet than the Devil?" Early American Uses of Islam, Church History, 72, N°.04, 2003.

- Labo Cabrera Manuel, "La Esclavitud en España en la Edad Moderna; Su Investagac¡on en Los Eltimos Cincunta Años", Hispania, Vol.03, N.176.

- Lucassen Jhon, "The Mobility Revisited, 1500-1900: What the Case of Europe can Offer to Global History?", Global History, Vol. 03, 2009, p10.

- Madeson Peter, "Danish Slaves in Barbary", Copenhagen: Copenhagen University Press, Nov 2010.

- Marconcini Samuela, "Battesmi di "Turchi" a Firenze in Età Moderna" Annali di Storia di Firenzi, Vol.07, 2012.

- Marruy Theresa D., From Baltimore to Barbary: The 1631 Sack of Baltimore, History Irland July/August 2006, p14.

- Matar Nabil, "Muslims in Seventeenth century England", Islamic Studies, Vol.08, 1997.

- Matar Nabil, "The renegade in English Seventeenth century Imagination", Studies in English Literature, 1500-1900, Vol.33, N°03, Summer, 1989.

- Matar Nabil, English Accounts of Captivity in North Africa and The Middle East: 1577-1625, Renaissance Quarterly, 54, 2001, P564-565.

- Matar Nabil,"The Last Moors: Maghariba in Early Eighteen Century Britain", Islamic Stadies, Vol.14, 2003.

- McKee Sally, "Domestic Slavery in Renaissance Italy", Slave and Post-Slave Studies, vol.29, 2008.

- McManamon John, "Maltese seafaring in mediaeval and post-mediaeval times", Mediterranean Historical Review, Vol. 18, 2003, p49.

- Melvin Karen, "Charity without Borders: Alms-Giving in New Spain for Captives in North Africa", Colonial Latin American Review, N°18, Vol.1, 2009.

- Nadalo Stephanie, "Negociating Slavery in a Tolerant Fronter: Livorno's Turkish Bagno (1547-1747)", Mediaevalia, Vol. 32, 2011.

- Norman Robert Bennett, "Christian and Negro Slavery in Eighteenth-Century North Africa", The Journal of African History, Vol.01, No.01 1960.

- Parker Kenneth, "Reading 'Barbary' in Early Modern England, 1550–1685", The Seventeenth Century, Vol.19, N.01, 2004, p90.

- Poupard Sidney G., Baptist Beginnings in Trinidad, ", Historical Social Research, Vol35, N°4, 2010.

- Rejeb Lotfi Ben, Barbary's, "Character" in European Letters, 1514-1830: An Ideological Prelude to Colonization", Dialectical Anthropology, Vol.6, No.4, (June 1982).

- Ressel Magnus, "The North European Way of Ransoming, Explorations into an Unknown dimension, Modern Welfare State", Historical Social Research, Vol35, N°4, 2010.

- Ressel Magnus, "Venice and the redemption of Northern European slaves (seventeenth and eighteenth centuries)", Cahiers de la Méditerranée , Vol. 87, 2013.

- Rheinheimer Marti, "From Amrum to Algiers and Black: The Reintegration of a renegade in the Eighteenth Century", Central European History, Vol. 36, N°02, 2003.

- Salvatore Bono, Achat d'esclaves turcs pour les galères pontificales (XVIe-XVIIe siècles), Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, N°39, 1985.

- Seng Yvonne J., "Invisible Women: Residents of Early Sixteenth-Century Istanbul" Women in the Medieval Islamic World: Power, Patronage, and Piety, New York: St. Martin's Press, 1998.

- Temimi Abdeljelil, "Documents turcs inédits sur le bombardement d'Alger en 1816", Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, N°5, 1968.

- Wombwell_James A., The Long War Against Piracy: Historical Trends, Kansas, Combat Studies Institute Press, 1956.

- Woodward Thomas, "The Costs of State–Sponsored Terrorism: The Example of the Barbary Pirates", National Tax Journal, Vol. 57, N°. 3, September 2004.

6- الأطروحات الجامعية:

- Bernardo Hershenzon Daniel, Early Modern Spain and the Creation of the Mediterranean: Captivity, Commerce, and Knowledge, University of Michigan: A Thesis for The degree of Doctor of Philosophy (History) 2011.

- Dzurec David J., "An Entertaining Narrative of . . . Cruel and Barbarous Treatment" Captivity, Narrative, and debate in The Early American Republic 1775-1816, Ohio State University: A Thesis for the Degree Doctor of Philosophy, 2008.

- Gürkan Emrah Safa, Ottoman Corsairs in The Western Mediterranean and Their Place in The Ottoman-Habsburg Rivalry (1505-1535), A Thesis for the degree of Master in History Ankara: Bilkent University, June, 2006.

- Maameri Fatima, Ottoman Algeria in Western Diplomatic History with Particular Emphasis on Relations with the United States of America, 1776-1816, Faculty of Letters and Languages: A thesis for the degree of doctorat d'Etat, Constantine: 2008.

- Miranda Paul, Captive in Barbary : The Stereotyping of Arabs, Turks, and Islam in Early American Society, 1785-1850, University of Delaware: A Thesis for the degree of Bachelor of Arts in History, Spring 2012.

- Moberly David C., Piracy, Slavery, and Assimilation: Women in Early Modern Captivity Literature, University of Nebraska: A Thesis For the Degree of Master (Arts), April 2011.

- Periañez Gomez Pocio, La Esclavitud en Extramadura (Siglos 16-18), Tesis Doctoral, Departaminió de Historia, Universidad de Extremadura, Cacers, 2008.

- Stacy Meyers, "Emancipation from that Degrading Yoke": Thomas Jefferson, William Eaton and "Barbary Piracy" from 1784 to 1805, University of New Orleans: A thesis for the degree of Master of Arts in History, 2011.

- Toth Johanna, The Muslims of Algiers in Antonio de Sosa's Topographia, E Historia General de Argel (1612), Central European University: A Thesis for the Degree of Master of Arts in Comparative History, Budapest, May 2013.

- Wilcox Zuzana, Charity and Social Reform: Civic Virtue, Spiritual Orthodoxy, and Local Identity in Seventeenth-Century Marseilles, McMaster University: A Thesis for the Degree Doctor of Philosophy, July 2012.

7- الملتقيات:

- Fraga Joana, "The Catalan Revolt of 1640: Between Orality and Memory, international" Conference "Histories and Memories of Early Modern Popular Revolts in Oral Culture", Université de Caen Basse-Normandie, 3-5 April 2013.

- Glete Jan, The Sea Power of Habsburg Spain and the Development of European Navies, 1500-1700, conference Guerra y Sociedad en la Monarquía Hispánica: Politica, Estrategia y Cultura en la Europa Moderna (1500-1700), Madrid, 9-12 March 2005.

8- الموسوعات والقواميس:

- Ágoston Gábor, Masters Bruce, Encyclopedia of the Ottoman Empire New-York: Facts On File, Inc, 2009.

- Benfield Harbottle Thomas, Dictionary of Battles, From the Earliest Date to the Present Time, London: Swan Sonnenschein & Co., 1901.

- Chamber's Cyclopeadia, 1788.

- Concie Encyclopedia of Semantics,by Kelth Allan, Oxford: Elsevier Ltd 2009.

- Coote Charles Henry, "Blount Henry", Dictionary of National Biography, London: Smith, Elder & Co, 1886.

- Cyclopaedia, or an Universal Dictionary of Art and Sciences, London: Ephraim Chambers, 1728.

- Encyclopedia Britanica, A Dictionary of Arts, Sciences, Literature and General Information, (38.Vol), New York: Irtc., 1810.

- Jaques Tony, Dictionary of Battles and Sieges: A Guide to 8,500 Battles from Antiquity through the Twenty-first Century, (3Vol), London: Greenwood Press, 2007.

- Lambert Playfair E., A Bibliography of Algeria, From The Expedition of Charles 5 in 1541 TO 1887.

- Lawrance Hess, The Catholic Encyclopedia, Vol.03, New-York: Robert Appleton Company, 1908.

- Naylor Phillip Chiviges, Heggoy Alf Andrew, Historical Dictionary of Algeria, African Historical Dictionaries, N.66, Scarecrow Press, 1994.

- peter John, A General Dictionary, Historical and Critical: in which a New and Accurante Tr. Mr.Bayle…, Vol08, London, 1739.

- The Encyclopedia of Islam, (13 Vol), (A-B), Leiden: Brill, 1986.

- The Historical Encyclopedia of World Slavery, California: Junius P. Podring, 1997 .

- The History of Science and Religion in the Western Tradition: an Encyclopedia, New York: Garland Publishing, Inc., 2000.

- Weir Wiliam, 50 Battles That Changed the World, The Conflicts That Most influenced the Course of History, U.S.A: Book-Mart Press, 2001.

- william John, A Short Biographical Dictionary of English Literrature, London: J.M Dent and Son,1910.

الفهرس العام